باولو كويليو

بريدا

أسطورة الحب والحرية

المجمع الثقافي المصري

مؤلف الرائعة العالمية الخيميائي

بريـــــدا

أسطورة الحب والحرية

فريق العمل

الترجمـــــة : هند ابو اليزيد
تدقيق لغــوي: مجموعة ضمه
الإخراج الفني: إيمان عبد الشافي
تصميم الغلاف: هشام حسين
كمبيـــــوتر: خالد احمد عبد القادر

المدير العام
وائل احمد عبد القادر



ص.ب ٢٩٣٠

الحرية- هليوبوليس - القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون:٢٢٥٣٨٣٥٩(٢٠٢)+

موبايل:٠١٢٤٨٩٣٣٨٢(٢)+

البريد الإلكتروني

info@ecabook.com

موقعنا علي شبكة الانترنت

www.ecabook.com

حقوق الملكية الفكرية

بطاقة الفهرسة

كويليو ، باولو
بريدا / باولو كويليو. ــ ط١
القاهرة:المجمع الثقافي المصري
٢٢٤ ص ؛ ١٤ × ٢٠
١ ــ القصص البرتغالية
أ ــ العنوان
٨٦٣

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٩ / ١٤٠٧١

الترقيم الدولي ISBN

بريـــــدا

أسطورة الحب والحرية

باولو كويليو

ترجمة: هند ابو اليزيد

تدقيق لغوي: مجموعة ضمه



نشر الكتاب في الأصل باللغة البرتغالية بعنوان:

Brida

المقدمة

اعتدنا على الجلوس ليلًا، في أحد المقاهي في (لوردس). عندما ذهبتُ (حاجًّا) إلى الطريق المقدس في روما، ومازال أمامي أيامًا كثيرة، قبل الذهاب في رحلة البحث عن موهبتي.

كانت هناك ((بريدا إفرن))، المسؤولة عن أحد المناطق في هذا الطريق.

وذات ليلة ، سألتها عمًّا إذا كانت قد شعرت بشيء مميز، عندما ذهبت إلى أحد الأديرة، الذي يكون جزءًا من طريق على شكل نجمة في البيرينيه.

فأجابتني:

- لم يسبق لي الذهاب إلى هناك.

فانتابتني الدهشة؛ فهي امرأة لديها موهبة خاصة.

((كل الطرق تؤدي إلى روما)).

قالت بريدا ذلك المثل القديم؛ لتخبرني أن الموهبة يمكن أن تستيقظ، وتتأجج في أي مكان.

- لقد مشيت طريقي إلى روما، هناك، في أيرلندا.

وخلال لقاءاتنا، أخبرتني بقصة بحثها، وعندما أنهت قصتها، سألتها عما إذا كان يمكنني كتابتها ونشرها يومًا ما ؟

فوافقت مبدئيًّا، إلا أنها، كانت تحاول كلما تقابلنا، أن تبرز الصعاب، والعوائق في الكتابة؛ فقد طلبت مني أن أغير أسماء

شخصيات الرواية، وأرادت أن تعرف نوع الناس الذين سيقرؤون الرواية، وكيف ستكون ردود أفعالهم.

فأجبتها بأنني ليس لدي فكرة عن هذا الأمر، ولكن، لا أظن أن هذا هو السبب الحقيقي، وراء اختلاق كل هذه المشاكل.

فقالت:

- نعم، فهي تبدو لي كقصة شخصية، ولا أتصور أن يطّلع عليها أحد.

- هذه هي المخاطرة التي سوف نخوضها معًا.

النص المجهول للتعاليم يقول:

كل شخص، يمكنه أن يختار أحد اتجاهين في هذه الحياة:

إما أن يبني، أو يزرع.

البناؤون قد يستغرقون الكثير من السنين لإنهاء عملهم، لكن، في يوم ما، سينهونه، وعندها، سيجدون أنفسهم محاصرين بالجدران التي شيدوها بأنفسهم، وتفقد الحياة معناها عندما يتوقف هذا البناء.

أما بالنسبة لهؤلاء، الذين يزرعون، فهم يتحملون العواصف، وتقلبات الجو أثناء تغير المواسم، ونادرًا ما يذوقون طعم الراحة، على خلاف البنائين، فإن الحدائق لا تتوقف عن النمو، وكلما احتاجت من زارعها المزيد من الرعاية والاهتمام، كلما أضفت على حياته نوعًا من المغامرة.

المزارعون يعرف بعضهم بعضًا؛ لأنهم يعلمون، أن في تاريخ نمو كل نبتة، يكمن نمو وازدهار العالم بأسره.

باولو كويليو

أيرلندا

أغسطس ١٩٨٣- مارس ١٩٨٤

الصيف والخريف

أريد أن أتعلم السحر

قالتها الفتاة، بينما كان الساحر يتأملها، ترتدي بنطالا من الجينز باهت اللون، وقميص (تي شيرت).

وتطل من عينيها نظرة تحدٍ، يعهدها كل الأشخاص الذين لديهم ذلك الحياء الفطري، دونما حاجة لإظهارها.

أطرق مفكرًا في صمت:

((لابد أن عمري يفوق ضعف عمر تلك الفتاة)).

وعلى الرغم مما جال بخاطره، فقد أيقن أن تلك الفتاة قد حازت على قلبه، و أسرت فؤاده، وعرف حينها أنه يقف الآن أمام رفيقة روحه.

قالت:

- اسمي بريدا. عذرًا؛ فلم أقدم نفسي فور مجيئي، فلطالما انتظرت تلك اللحظة، منذ وقتٍ طويل، ولم أتصور أنه سينتابني كل هذا القدر من التوتر.

فسألها الساحر:

- لماذا تريدين تعلم السحر؟

- كي أتمكن من العثور على إجابات عن أسرار الحياة، وأن أمتلك طاقة السحر، كي أسافر عبر الزمن، أغوص في أعماق الماضي، وأجوب آفاق المستقبل.

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يأتي إليه إنسان في الغابة؛ ليطلب منه ذلك، فقد كان في الماضي معلمًا للسحر، ذائع الصيت، يحظى بتقدير كل من حوله ، وقد علّم الكثيرين، مؤمنًا أنه يمكن للفرد أن يغير العالم، إذا نجح في تغيير من حوله، ولكنه اقترف إثمًا، ولا يتسنى لمعلمي التراث ونواميس الكون من أمثاله أن يقترفوا آثامًا.

- الا ترين أنك مازلت صغيرة ؟

- أنا في الحادية والعشرين من عمري، وإذا أردت تعلم فنون البالية في هذه السن، فسوف يعتبرني الجميع كبيرة جدًا على فعل ذلك.

أشار إليها أن تتبعه، انطلقا معًا يجوبان الغابة، وقد أشخص بفكره في صمتٍ تام، ألقى بعينيه إلى ظلال الأشجار الدانية، مؤذنة برحيل الشمس، وقال في نفسه:

((يا لروعة جمالها!)).

ثم عادت إلى ذهنه تلك الخاطرة، التي خطرت له سريعا، حين ذكرت الفتاة عمرها، إنه يفكر في أنه قد بلغ من العمر ضعف ما بلغته الفتاة، ولم يبدُ له ذلك الخاطر مريحًا، فقد كان يعني الألم والعذاب.

لم يكن الصمت السائد بينهما مريحًا للفتاة أيضًا؛ فالرجل لم يكلف نفسه حتى عناء التعليق على ما قالته.

كانت أرض الغابة مبتلة، ومغطاة بالأوراق المتساقطة، وقد لاحظت الظلال المتبدلة التي تعلن حلول الظلام، ولم يكن معهما أي شيء للإنارة.

إلا أنها طمأنت نفسها قائلة:

((طالما اعتقدت أن بإمكانه تعليمي فنون السحر؛ فيجب أن أعتقد كذلك، أنه قادر على إخراجي من الغابة بسهولة)).

استمرا في السير، وبدا كأنه يهيم من جانب إلى آخر، بل ويعمد إلى

تغيير الاتجاه، حتى بدون وجود عائق في الطريق، بدا لها أنهما يسيران في دائرة، فقد مرا بنفس الطريق، ونفس المكان، ثلاث أو أربع مرات.

قالت في نفسها:

- ربما يختبرني.

وقررت أن تخوض التجربة حتى نهايتها، فحاولت أن تهدئ من روعها، وتبث الطمأنينة في قلبها، بأن تقنع نفسها، بأن كل ما يحدث، وحتى تلك المسيرات الدائرية، إنما هي أمور طبيعية وعادية.

فقد قطعت الكثير من الأميال من أجل ذلك اللقاء، وقد علقت الكثير من الآمال عليه؛ حيث جاءت من مدينة (دُبلن) التي تبعد حوالي تسعين ميلًا، ولم تكن الأتوبيسات إلى القرية مريحة، والأكثر من ذلك، أن أوقاتها كانت غير ملائمة؛ فقد اضطرت للاستيقاظ مبكرًا، والسفر لمدة ثلاث ساعات، وسألت عنه سكان القرية، أين من الممكن أن تجده، واضطرها ذلك، إلى إيضاح سبب البحث عن رجل بمثل غرابته، وفي النهاية، أخبرها أحدهم عن مكان تواجده في الغابة، في مثل هذا الوقت من النهار، محذرًا إياها، أنه قد حاول سابقًا، إغواء فتاة من أهل القرية.

((يا له من شخص مشوق)).

جال هذا الخاطر برأسها، وهما يسلكان الطريق وسط الغابة، ووجدت في نفسها رغبة شديدة، أن تتباطأ الشمس عن الرحيل في أفق السماء لبعض الوقت؛ فقد خافت أن تزل قدماها على تلك الأوراق الندية، التي تكسو سطح تلك البقعة من الغابة.

- أخبرني بحق عن سبب سعيك لتعلم فنون السحر؟

شعرت بريدا بالسرور والارتياح؛ لمحاولته كسر ذلك الجمود والصمت الذي يغلف المكان، فأجابته بنفس الإجابة السابقة.

ويبدو أن تلك الإجابة لم تقنعه، ولم تشبع فضوله.

- ربما تسعين وراء تعلم السحر؛ لأنه علم يملؤه الغموض والخفاء، أو ربما لأنه يقدم حلولًا وإجابات، قلَّ من يعرفها من البشر، أو ربما لأن السحر يستحضر الماضي الرومانسيّ، المليء بالخيال والعاطفة.

لم تكن تعرف ما الذي يجب عليها قوله، فقد كانت تخشى أن تعطي الساحر جوابًا لا يرضيه، فتمنت حينها أن يعود إلى صمته.

وأخيرًا، بلغا قمة التل بعد أن عبرا الغابة ، كانت الأرض صخرية، عارية تمامًا من أي نبات، لكنها لم تكن زلقة، مثل باقي الغابة، فاستطاعت أن تتبعه بسهولة ويسر.

جلس الساحر على قمة التل، وطلب منها أن تفعل مثله. ثم قال:

- لقد سبقك الكثيرون إلى هنا؛ فقد جاءوا أيضًا كي أعلمهم السحر، وقد قدمت لهم كل ما تعلمته، فأعدت بذلك إلى الإنسانية ما أعطتني إياه.

والآن... أريد أن أكون وحيدًا، أتسلق الجبال، وأعتني بالنباتات، و أناجي ربي .

أسرعت بريدا قائلة:

- هذا ليس صحيحًا.

فسألها مندهشًا:

- ما هذا الذي ليس صحيحًا؟!

قد تكون رغبتك في مناجاة ربك صادقة، ولكن ليس صحيحًا أنك تريد البقاء وحيدًا.

وندمت بريدا على قولها، فعفويّتها دفعتها إلى تلك الكلمات، وقد فات أوان تصحيح هذا الخطأ.فقالت :

- ربما، يوجد بعض الناس الذين يريدون البقاء بمفردهم، وقد تكون حاجة النساء إلى الرجال، أشدّ من حاجة الرجال إلى النساء.

قالت ذلك وهي تتحسس بعينيها في وجهه ما يدل على الغضب من كلامها، فلم تجد إلا اهتمامًا يخلو من أي غضب.

- سأطرح عليك سؤالًا، فإذا استشعرت الصدق في إجابتك، فسوف أعلمك ما تريدين، ولكن إذا كذبتي، فلا تعودي إلى هذه الغابة مرة ثانية.

فشعرت بريدا بالارتياح لهذا الاختبار؛ فكل ما عليها، أن تجيبه بصدق، وهذا كل ما في الأمر، فلابد للمعلم أن يطلب من الشخص مطالب صعبة التحقيق؛ حتى يقبله كطالب عنده، ويضمه إلى قائمة مريديه.

نظر إليها مباشرةً، وقد ركز عينيه في عينيها:

- ماذا لو بدأت تعليمك ما تعلمته، ودعيني أفترض، أني أريتك الكونين المتوازيين المحيطين بنا، قدتك إلى الملائكة، إلى حكمة الطبيعة، وأرشدتك إلى خبايا حكمة الشمس، وحكمة القمر. ثم أتى عليك يوم ما، وذهبت إلى المدينة لشراء الطعام، وفي وسط الطريق، قابلت حبَّك المنتظر، هناك... في وسط الشارع .

قالت في نفسها:

((وكيف أعرف أن هذا هو حبي المنتظر؟)).

ولكنها آثرت الصمت، فقد بدا لها أن السؤال سيغدو أكثر صعوبة مما تصورت.

- ... وقد راوده نفس الشعور تجاهك، وجاء إليك، ووقع كلٌّ منكما في غرام الأخر، بينما تدرسين معي. ففي الصباح، أعلمك حكمة الكون، وفي المساء، يعلمك هو حكمة الحب، ثمّ يأتي يوم،

ولا يعود في إمكان هاتين الحكمتين أن تتعايشا، فيتوجّب عليك الاختيار بينهما...

ثم توقف الساحر للحظات، قبل أن يصيغ سؤاله؛ فقد شعر بالخوف من إجابة تلك الفتاة، فقد علم من أسرار ونواميس الكون، أن مجيء تلك الفتاة إليه في هذا المساء، يعني نهاية مرحلة ما، في حياة كل منهما، فهو يحتاج إليها بقدر ما تحتاج إليه. ولكن، يجب عليها أن تجيب بصدق على هذا السؤال، وليس هناك خيار آخر، فهذا هو السبيل الوحيد.

ثم قال أخيرًا، وهو يشد قامته في محاولة منه لاستجماع شجاعته:

- والآن، أجيبيني بصدق تام على هذا السؤال:

هل ستتركين كل ما تعلمته، وكل السبل والأسرار والنواميس التي يكشفها لك عالم السحر، من أجل البقاء مع حبك المنتظر؟

نظرت بريدا بعيدًا... كانت الجبال والغابات تمتد من حولها، وهناك في الأسفل، كانت أنوار البلدة تسطع شيئًا فشيئًا، وسريعًا سوف تلتف الأسر حول طاولة الطعام؛ لتناول العشاء، فقد عملوا بجد وكفاح طوال اليوم، وراقبوا الله في أعمالهم، وحاولوا مساعدة أقرانهم، فغدا لحياتهم معنى وغاية، فهؤلاء، أدركوا كلّ ما يدور في هذا الكون، من دون أن يسمعوا حتى بحكمة الشمس، وحكمة القمر.

فأجابته:

- لا أرى أي تناقض، بين ما أسعى وراءه وبين سعادتي الشخصية.

فقاطعها في حدة:

- فقط أجيبي سؤالي.

لايزال ينظر إلى عينيها مباشرةً، في حدة واقتضاب:

- هل ستتخلين عن كل شيء من أجل هذا الرجل؟

أحسّت بريدا برغبة جامحة في البكاء؛ فالسؤال لم يكن سؤالًا بقدر ما كان دعوةً إلى خيارٍ، هو أصعب خيار قد يواجهه المرء في حياته.

وقد سبق لها أن تأمّلت في هذا الخيار مرارًا، فهي التي شعرت يومًا بأنه لا شيء في الدنيا يضاهيها أهمية. فقد كان لديها العديد من الرفقاء والمحبين، ومع كلٍ منهم خُيّل إليها أنها وجدت الحب، لكنها في كلّ مرة كانت تشهد زوال الحبّ، مع تلاشي كلّ لحظة.

لقد خبرت بريدا الكثير، لكنها لم تجد أعقد من الحبّ؛ فهي مغرمة بشاب، يكبرها قليلًا في العمر، يدرس الفيزياء، ويملك نظرة إلى الحياة مغايرة كليةً لنظرتها، وقد أولته الكثير من الثقة.

مرة أخرى، آمنت بالحب، ووثقت في مشاعرها، ولكن خيباتها المتكررة، أفقدتها ثقتها بكل شيء. ومع ذلك، كانت في مواجهة أعظم رهانات حياتها.

استمرت في محاولتها لتفادي نظرات الساحر، التي تحاصرها، وشردت بذهنها في القرية، والأضواء المنبعثة منها، وهي تقول في نفسها:

((منذ وُجِد الإنسان، وهو يسعى لفهم الكون من خلال الحبّ)).

و أخيرًا، أجابته:

- سوف أتخلى عن كل شيء من أجل حبي المنتظر.

جال بخاطرها، أن هذا الرجل لا يفهم مطلقًا ما تختلج به قلوب البشر، فقد امتلك الطاقة، وأدرك خفايا السحر، ولكن لا يعلم شيئًا عن البشر.

لاحظت أن شعره يتخلله بعض الشيب، بشرته سمراء أحرقتها خيوط الشمس، ممشوق القوام، لديه بنية رجل يسير لمسافاتٍ طويلة بين الجبال، شديد الجاذبية، عيناه تكشف عن روح تعي الكثير، وتحمل خيبة أمل كبيرة من مشاعر البشر العاديين، وقد أصيبت هي الأخرى

بخيبة أمل في نفسها ، ولكنها لم تستطع الكذب.

قال الساحر للفتاة:

- انظري إلي.

شعرت بريدا بالخجل، ولكنها فعلت ما طلب منها.

- لقد قلت الصدق، ولهذا سوف أكون معلمك.

أرخى الليل سدوله، وتلألأت النجوم في سماء غاب عنها القمر.

أمضت بريدا ساعتين، تروي له قصة حياتها، وهي تحاول عبثًا، أن تجد أى وقائع في حياتها يمكن أن تؤيد اهتمامها بالسحر- مثل رؤى في الطفولة، أو هواجس وتنبؤات، أو هاتف داخلي- ولكنها لم تجد شيئًا من ذلك؛ لأنها ببساطة، تريد المعرفة فحسب؛ ولهذا قد تلقت دروسًا في علم التنجيم، وقراءة أوراق التارو، وعلم الأعداد السحرية.

أجابها الساحر:

- كل ما ذكرته، ما هو إلا عبارات وألفاظ، إلا أنها ليست الوحيدة، فهناك العديد من تلك اللغات، فالسحر ينطق بكلّ لغات القلب.

- إذن، فما هو السحر؟

وبالرغم من هذا الظلام، فإن بريدا استشعرت انصراف الساحر عنها، حيث كان غارقًا في أفكاره، وشاردًا في السماء؛ ربما سعيًا وراء الإجابة.

فأجابها بعد فترة:

- السحر، هو الجسر الذي يسمح لك بالعبور بين العالم المرئي والعالم غير المرئي، ويمنحك دروس العالَميْن وعِبَرهما.

- وكيف السبيل إلى عبور ذلك الجسر؟

- بالاهتداء إلى الطريق، فكل منا له طريقة خاصة ومميزة.

- هذا ما جئت لاكتشافه

ثم أوضح لها الساحر قائلًا:

- أمامك طريقان: الأول، هو حكمة الشمس: التي تكشف مكنون الأسرار، عن طريق الفضاء والعالم المحيط بنا.

والطريق الثاني، هو حكمة القمر: الذي يبوح بما لديه عن طريق الزمن ذاته، وعن طريق الأحداث التي تختبئ في ذاكرة الزمن.

فهمت بريدا ما قاله: فحكمة الشمس، تتمثّل في الليل والأشجار، في الرجفة التي تستحوذ على جسدها، في النجوم المتناثرة في السماء. أما حكمة القمر، فتتجسّد في هذا الرجل الذي يقف أمامها الآن، بما لديه من حكمة الأسلاف والأجداد التي تبرق في عينيه.

- لقد تعلمت حكمة القمر، ولكن، لم أكن مطلقًا معلمًا لها، بل أنا معلم لحكمة الشمس.

- علمني إذن حكمة الشمس.

وقد أصابها القليل من الارتباك؛ لأنها شعرت بلهجة حانية بدأت تتطرق إلى صوت هذا الساحر.

- سوف أعلمك، ولكن، لحكمة الشمس دروبٌ عديدة، أولها، أن يؤمن كل فرد بقدرته على تعليم نفسه.

تأكدت شكوك بريدا، فهناك لهجة حانية تغلف صوته، بعيدًا عن اللهجة التي تُستخدم لبث الطمأنينة، وبدأ ذلك الشعور يثير مخاوفها.

- أنا واثقة من قدرتي على فهم حكمة الشمس.

حوّل الساحر نظره عن النجوم؛ ليركزه على الفتاة، وقد أدرك أنها لم تكن مستعدة بعد لتعلم حكمة الشمس، غير أنه مضطر إلى تعليمها، فبعض الطلاب هم الذين يختارون معلميهم.

- قبل أن نبدأ درسنا الأول، أريد أن أذكرك بأمر هام، عندما تجدين طريقك، يجب الا تخافي، ويجب أن تكون لديك الجرأة الكاملة لترتكبي الأخطاء، ويجب أن تعلمي أن خيبة الأمل، والانكسار، والانهزام، واليأس، هي أدوات يستخدمها الله؛ ليرشدنا إلى الطريق.

فاندهشت بريدا

- يالها من أدوات غريبة، فدائمًا ما تثني تلك الأدوات عزيمة البشر عن المضي قدمًا، والاستمرار في طريقهم.

كان الساحر يعي الباعث وراء هذه الأدوات، فقد سبق أن اختبرها بالجسد والروح.

قالت بريدا في إصرار:

- علمني إذن حكمة الشمس.

فطلب منها أن تتكئ على الصخرة، و تسترخي.

- لا داعٍ لأن تغمضي عينيك، بل واجهي العالم من حولك، بعينين مفتوحتين، وحاولي أن تفهمي، وأن تنظري إلى كل ما يحيط بك؛ فحكمة الشمس تبوح دائمًا، بأسرار المعرفة الخالدة، لكل البشر.

فعلت بريدا ما طلبه الساحر، ولكنها شعرت أنه ينتقل في تعليمها، من مرحلة إلى أخرى، بسرعة كبيرة، ولا يمكنها مجاراته في الفهم.

ثم استطرد في حديثه قائلًا:

- هذا هو درسك الأول، والأهم، وهذا الدرس قد أبدعه متصوّف إسباني، أدرك معنى الإيمان، اسمه (سان خوان دي لاكروز).

نظر إلى وجهها، الذي تعلوه اللهفة والإصرار، وتمنى من أعماق قلبه، أن تكون واعية لما يعلمها إياه، فهي في النهاية رفيقة روحه، حتى وإن لم تعلم بذلك بعد، وحتى وإن كانت لا تزال شابة، يسحرها هذا العالم بما فيه من أشياء وبشر.

وسط الظلام الحالك، استطاعت بريدا أن تدرك عودة الساحر إلى الغابة، وقد اختفى وسط الأشجار، التي تقع على يسارها، فتملكها الخوف؛ فهي وحيدة في هذا المكان الموحش، شديد الظلمة، ولكنها حاولت أن تبقى هادئة؛ فهذا هو أول درس لها، ويجب ألا تبدو مرتبكة.

((لقد وافق على تعليمي، ولا أريد أن أصيبه بخيبة الأمل)).

تسللت الفرحة إلى قلبها؛ عندما استرجعت بذاكرتها تفاصيل حياتها، اندهشت كثيرًا من سرعة ما جرت عليه الأحداث، فأصبحت واثقة من قدراتها، فخورة بنفسها، وسعيدة بقدومها إلى هذا المكان، فكانت على يقين بأن الساحر على مقربة منها، يراقب تحركاتها، وردود أفعالها؛ ليرى مدى استعدادها، لتعلم أول دروس السحر.

حتى وإن شعرت بالخوف، فلابد أن تكون شجاعة، قفزت إلى مخيلتها صور العقارب والثعابين، التي من المحتمل أنها ترقد أسفل تلك الصخرة، يجب أن تحافظ على شجاعتها؛ فبعد قليل سيأتي ليعلمها الدرس الأول.

غمغمت بصوتٍ خافت:

- أنا امرأة قوية، وذات عزم وجلد.

وقد تمنت في تلك اللحظة، أن يكون بجوارها هذا الرجل، الذي يشعر الناس تجاهه بمشاعر متناقضة، إما الخوف أو الحب. تذكرت ذلك الجزء من الليل، عندما كانت بصحبته، واللحظات التي شعرت فيها بصوته وقد امتزجت به الرقة والعذوبة.

((ربما آثرت فضول هذا الرجل، أو ربما يريد أن يقيم معي علاقة)).

لن تكون تجربة سيئة على كل حال.

((يا لحماقة تلك الأشياء التي أفكر بها!)).

لقد تركها هذا الرجل للتأمل، للبحث عن الحقيقة- طريق المعرفة- ولكنها، بدأت التفكير في نفسها كامرأة عادية، حاولت أن تبعد هذه الخواطر عن رأسها، وعندها، أدركت أن وقتًا طويلًا قد مضى، منذ أن تركها الساحر وحيدة.

بدأ الفزع يتسلل إلى قلبها، لقد سمعت آراءً متضاربة عن هذا الرجل فالبعض يقول أنه أفضل معلم، وهو قادر على تغيير اتجاه الرياح، واختراق السحب، وتشتيتها بقوة الفكر فقط.

كم كانت مبهورة مثل باقي البشر، بتلك الخوارق والمعجزات.

والبعض الآخر، ممن جاءوا ليتعلموا مثلها، قد أكدوا لها، أنه يستخدم السحر الأسود، وسبق له أن استخدم قواه في تدمير شخص ما؛ لأنه أحب زوجة هذا الشخص، وأرادها لنفسه، ولهذا السبب، على الرغم من كونه معلمًا، حُكم عليه بالعيش وحيدا في الغابة.

((ربما أثرت العزلة على عقله وزادت من جنونه)).

فكرت بريدا في ذلك، وقد أصابتها نوبة من الفزع والهلع؛ ربما لأنها مازالت صغيرة، ولكنها تعلم ما تسببه الوحدة من أذى للبشر، خاصة عندما يتقدمون في العمر، فقد رأت أشخاصًا فقدوا بريق الحياة؛ لأنهم لم يستطيعوا مقاومة العزلة والوحدة، وانتهى بهم الأمر بأن اعتادوا على تلك العزلة.

فقد اعتقد هؤلاء البشر أن تلك الحياة، ليست مكانًا ملائمًا للعيش فيها، وأن السلامة تكمن في تركها، وأمضوا لياليهم يتحدثون عن الأخطاء التي يقوم بها من حولهم من البشر، فربما قد أصيب هذا الساحر بالجنون؛ من جراء عزلته هذه.

انتفض جسدها بشدة؛ عندما سمعت صوتًا مفاجئًا، تسارعت ضربات قلبها، حتى كاد يتوقف من شدة الفزع، وفقدت كل محاولاتها للحفاظ على توازنها، فتلفتت حولها في توتر بالغ؛ علها تجد من

يساعدها، أو تجد أي شيء يبث الطمأنينة في قلبها، ولكن هيهات؛ ذهبت محاولاتها سُدىً. عندها، تفجر خوف هادر في أعماقها، انطلق من قلبها، ثم امتد إلى عروقها، وجسدها، فقالت في نفسها:

((لابد أن أسيطر على نفسي)).

ولكن دون جدوى؛ تراءت لها، صور الحيات والعقارب و الأشباح، التي كانت تخيفها في طفولتها، واكتست ملامحها بالخوف والرعب لدرجة كبيرة. عليها أن تسكن وتهدأ، تسارعت إلى مخيلتها صورة أخرى، لساحر قوي، تحالف مع الشيطان، وقدمها إليه كقربان.

وعندها صاحت قائلة:

- أيـــن أنـــت؟؟

ولم تعبأ لأي انطباع قد تتركه لدى أي شخص، فهي لا تريد شيئًا، سوى الخروج من هذا المكان المظلم.

و لم يترامَ إلى مسامعها أية إجابة.

- أريد الخروج من هنا ! ســـاعـدنـي!

لم يكن حولها سوى الغابة، وتلك الأصوات الغريبة، فشعرت بريدا بالوهن، من جراء هذا الكم من الخوف والفزع، واعتقدت أنها قد تسقط مغشيًا عليها، لكن لا يجب عليها أن تفقد الوعي؛ فهي تعلم يقينًا أنه ليس بالقرب منها الآن، والإغماء لن يحل المشكلة، بل سيزيد الأمر سوءًا، يجب عليها أن تستعيد رباطة جأشها مرة أخرى، وأن تسيطر على الموقف.

جعلتها تلك الفكرة تظن أن هناك جزءًا منها يصارع؛ من أجل استعادة السيطرة على ذاتها، قالت لنفسها:

((لا يجب أن أنادي وأصرخ)).

فقد تجذب تلك الصرخات، رجالا أخرين يقطنون في الغابة، وأمثال

هؤلاء، أكثر خطورة من الحيوانات المفترسة.

حاولت أن تتمتم بصوتٍ خافت:

((أنا لدي إيمان، فأنا أومن بالله، وأومن بملاكي الحارس، الذي أحضرني إلى هنا، والذي مايزال بجانبي الآن، صحيح أنه لا يمكنني أن أصف شكله، ولكني أعلم أنه بالقرب مني)).

كانت تلك الكلمات مقتبسة من الترانيم، التي تعلمتها في طفولتها، ولم تفكر بها لسنواتٍ طوال، قد علمتها إياها جدتها التي تُوفيَت حديثًا، وبمجرد أن تمنت أن تكون جدتها معها الآن، شعرت على الفور بأُنس غريب.

ها هي الآن تدرك أن هناك فرقًا كبيرًا، بين الخوف والخطر.

((أبانا الذي في السماء...............)).

هكذا تبدأ الصلوات، أدركت أنها بدأت تتذكر الكلمات، كلمة تلو الأخرى، كما لو كانت جدتها تلقنها إياها الآن، تابعت تلاوة صلواتها بدون توقف، وعلى الرغم من مخاوفها، فقد شعرت بالأمان. فلم يكن لها اختيار ثالث، إما أن تؤمن بالله وبملاكها الحارس، أو أن يصيبها اليأس.

فشعرت بالأنس.

((أريد أن أومن بهذا الوجود، لا أعلم كيف أصفه، ولكنه موجود، وسوف يؤنس وحدتي، طوال هذه الليلة؛ لأنني لا أرى أي مخرج من هنا)).

وهي طفلة، كانت تستيقظ في بعض الأحيان من الليل، فزعة، فيحملها والدها إلى النافذة، ويريها البلدة التي يعيشون بها، يحدثها عن الحراس، عن بائع اللبن، الذي ربما يكون خارج منزله الآن ليبيع اللبن، عن الخباز الذي يخبز لهم الخبز يوميًا، كان يحاول والدها بذلك إخراج الوحوش التي ملأت ليلها بهم، ويستبدل بهم أناسًا آخرين، يقضون

ليلهم، متيقظين، وحارسين. ويقول لها:

((إن الليل جزء من اليوم)).

الليل جزء من اليوم، ولذا؛ يمكنها أن تشعر بالأمان في الليل، كما تشعر به في النهار، الظلام هو الذي دفعها إلى استحضار هذا الأنس، ولابد أن تثق به الآن، وهذه الثقة تسمى "الإيمان"، لا يستطيع أحد أن يفهم الإيمان، ولكن، لا شك أن الإيمان هو ما تشعر به الآن، وهي في وسط ليلة شديدة الظلمة؛ فالثقة تأتي بالإيمان، ولا يمكن شرح هذه المعجزات، ولكن المعجزات، والخوارق تحدث فقط، لمن يؤمن بها.

ثم وثبت إلى عقلها فكرةٌ:

((لقد قال شيئًا عن الدرس الأول)).

وفجأة، شعرت بأنها تفهم ما يحدث... لقد كان ذلك الحارس هنا بجانبها، لأنها آمنت به.

زاد شعورها بالتعب والإرهاق؛ من التوتر الذي عانته على مدار الساعات الماضية، بدأت تسترخي مرة أخرى، وتشعر بالراحة أكثر، كلما مرت الدقائق؛ لشعورها بمزيد من الحماية.

لقد دخلت مملكة الإيمان، ولن يسمح هذا الإيمان للحيات والعقارب أن تسكن هذا الجزء من الغابة، فسوف يبقى حارسها يقظًا، ومراقبًا لها طوال الوقت.

استندت إلى الصخرة مرة أخرى، فما لبثت، أن استغرقت في نومٍ عميق، وغرقت كل ذرة من جسدها، في سباتٍ واسترخاء.

بدأت آشعة الشمس تداعب وجهها، فاستيقظت من نومها، وقد أنارت آشعة الشمس كل ما حولها، فانعكس ضوؤها، كأنه صفائح ذهبية، شعرت بالقليل من البرد، رأت أن ملابسها لم تعد نظيفة، إلا أن قلبها كاد يطير من شدة الفرح؛ لأنها قضت ليلة كاملة بمفردها في الغابة.

تلفتت حولها في كل مكان، في محاولة يائسة، لإيجاد الساحر، وهي تعلم أنها لن تجده، فلابد أنه في مكانٍ ما في هذه الغابة، يحاول التواصل مع الرب، وربما يتساءل، إذا ما كانت تلك الفتاة التي جاءت لتراه الليلة الماضية، لديها الشجاعة الكافية لتعلم الدرس الأول من تعاليم حكمة الشمس؟

قالت بصوتٍ مرتفع، مخاطبة تلك الفلاة الصامتة من حولها:

- لقد تعلمت ماهية الليلة المظلمة، لقد تعلمت أن البحث عن الرب، ينبع من جوف الليلة المظلمة، وأن الإيمان يكمن في الليالي المظلمة، فالإيمان يسطع نوره في الظلام، وهذا لا يمثل مفاجأة لأي إنسان؛ لأن كل يوم يحمل بداخله ليلة مظلمة، ولا أحد منا يعرف، ماذا سوف يحدث في الدقيقة القادمة؛ ولهذا مازلنا نتقدم؛ لأن لدينا الكثير من الثقة، ولأن لدينا الكثير من الإيمان.

من يدري... فربما يكون ذلك؛ لأننا لا نعرف ما تخفيه الدقيقة القادمة، لا يهم ذلك، ولكن ما يهم الآن، أنها قد استوعبت الدرس.

إنك تستطيع أن تختار، فإما أن تملأ حياتك بالثعابين والعقارب، أو تملأها بقوى الإيمان الحامية القوية، ولا يمكن تفسير الإيمان؛ لأنه قد تمثل لها ببساطة، في ليلة مظلمة. وكل ما يجب عليها فعله، أن تقبله، أو لا تقبله.

ألقت بريدا نظرة سريعة على ساعتها، فأدركت أن الوقت يداهمها، فمازال أمامها الكثير لتفعله، يجب عليها أن تلحق

بالأتوبيس، وتسافر لمدة ثلاث ساعات، وتختلق أي عذر تقوله لرفيقها؛ لأنه لن يصدق، أنها قد أمضت الليلة الماضية وحدها في الغابة!!

صرخت بأعلى صوتها، وكأنها تريد أن تُسمع كل المخلوقات الموجودة في الغابة، ومن بينها هذا الرجل:

- إن تعلم حكمة الشمس، أمر شاق للغاية. ثم أضافت:

- يجب أن أكون أنا، معلمة نفسي، لم أكن أتوقع ما جرى لي!

ثم نظرت إلى القرية في الأسفل، وتبعت الطريق التي جاءت منه، وقبل أن تغادر المكان، استدارت إلى الصخرة مرة ثانية، و قالت بصوتٍ عالٍ مِلؤه البهجة والسعادة:

- هناك شيء آخر أريد أن أخبرك به، إنك رجل مشوق.

شاهدها الساحر، وهي تختفي وراء الأشجار، بينما هو مستند على جذع شجرة. لقد استمع إلى كل مخاوفها، ومعاناتها، و صياحها في الليل، وللحظة... كاد أن يذهب إليها، ويضمها بين ذراعيه ليحميها من كل ما يخيفها؛ متعللًا بأنها لا تحتاج إلى هذا النوع من التحدي.

والآن، يشعر بالسرور؛ لأنه لم يفعل ذلك، وشعر بالفخر؛ لأن تلك المرأة اليافعة، بكل ما تحمله من حمية الشباب، هي رفيقة روحه.

في وسط دُبلن، يوجد متجر لبيع الكتب المتخصصة في دراسات السحر والتنجيم، لم يتم الإعلان عنه في الجرائد، أو المجلات، زبائن هذا المتجر يذهبون إليه، بتزكية من أشخاص آخرين، وكان مالكه سعيدًا بهذا، وسعيدًا بتخصصه في هذا النوع من العلوم.

وعلى الرغم من ذلك، كان المتجر مكتظًا بالزبائن، وقد سمعت عنه بريدا، وتمكنت أخيرًا من الحصول على العنوان، ذهبت إليه في وقت متأخر بعد الظهيرة، وكانت سعيدة بهذا المكان.

ومنذ تلك اللحظة، دأبت على الذهاب إلى هناك؛ لتقرأ الكتب، ولكنها لم تشترِ أيًا منها، حيث كانت باهظة الثمن؛ لأنها مستوردة من الخارج فكانت تتصفح الكتب، وتدرس العلامات والرموز في بعضها، وتشعر بتناغم بين كل المعلومات التي تراكمت لديها، وشعرت أنها أصبحت أكثر نضجًا، ووعيًا منذ تجربتها مع الساحر، وأحيانًا كانت تلوم نفسها على مشاركتها في أحداث كانت تعلمها مسبقًا، وشعرت أنها تفقد جزءًا من الحياة، وإذا استمرت حياتها على هذه الوتيرة فلن يتغير حالها، وهي لا تملك الجرأة حاليًا لتغييرها، غير أنها تحتاج إلى السعي والمثابرة في البحث؛ حتى تجد طريقها. والآن، وبعد أن خاضت تجربة جديدة، وهي تلك الليلة المظلمة، قد أدركت أنها لا تريد معرفة طريقها بهذه الطريقة، وعلى الرغم من لحظات عدم الرضا عن الذات التي تمر بها، فقد شعرت أنها لا تستطيع أن تتخطى قصورها ونقاط ضعفها.

الكتب أكثر أمانًا؛ فالرفوف مليئة بالكتب، التي أعيد طبعها لدراسات وأبحاث ترجع إلى مئات السنين، حيث لم يجرؤ شخص حتى الآن على اختراق هذا العلم، أو إضافة المزيد إليه، وتجد صفحات تلك الكتب- التي تغلفها المعرفة بعالم السحر، ذلك العالم الخفي، القريب والبعيد- تبدو وكأنها تسخر من الأجيال التي تجشمت كل هذا الجهد، لتحاول حل ألغازها.

وبعيدًا عن النظر في الكتب، كان لدى بريدا سبب آخر يدعوها للذهاب إلى ذلك المتجر؛ وهو رؤية الزبائن الآخرين، ففي بعض الأحيان، كانت تتظاهر بالقراءة، بينما هي تتفحص الرجال والنساء، الذين كانوا عادةً أكبر منها في العمر، وقد اعتادوا ارتياد هذا المحل، ويعرفون ما يريدون بالضبط، و يذهبون إلى الرفِّ الصحيحِ، تخيلت هيئاتهم عندما يختلون بأنفسهم. فبعضهم بدا وكأن لديه درجة بالغة من الحكمة القادرة على إيقاظ القوى التي لا تعرف عنها شيئًا، أما الآخرون، فيبدو أنهم يحاولون في يأس إعادة صياغة الكثير من الإجابات التي نسوها منذ وقت طويل، والتي بدونها لن يكون لتلك الحياة أي معنى.

وقد لاحظت أيضًا، أن معظم الزبائن الدائمين، يعرفون صاحب المتجر ويتحدثون معه عن أشياء غريبة، مثل أطوار القمر، وملكية الأحجار، والنطق الصحيح لكلمات الشعائر والطقوس.

وفي يومٍ ما، بعد الظهيرة، وجدت في نفسها الشجاعة الكاملة، لأن تفعل مثلما يفعل الآخرون، حيث كانت في طريق العودة من عملها، وقد سارت الأمور بشكل جيد هذا اليوم؛ فقررت أن تستغل هذا الحظ السعيد لذلك اليوم.

- أعلم أن هناك الكثير من العوالم الخفية والغامضة.

هكذا بدأت حديثها مع مالك المتجر. وقد رأت أن كلمة (أعلم)، هي أنسب بادئة للحوار؛ لتؤكد أنها تملك حظًا من العلم.

لكن المالك رفع عينيه من قائمة الحسابات، ونظر إليها في دهشة!.

قالت وكأنها لم تعرف ماذا يتوجب عليها قوله لتكمل الحديث:

- لقد كنت مع الساحر في الغابة، وقد شرح لي الكثير عن الليلة المظلمة، وأخبرني أن الطريق إلى الحكمة يستوجب عدم الخوف من ارتكاب الأخطاء.

قال في نفسه:

((إذا كلف الساحر نفسه العناء لتعليمها شيئًا ما، فلابد أنه فعل ذلك؛ لأنها فتاة تتميز بشيء خاص)).

- طالما، أنك تعلمين أن الليلة المظلمة هي الطريق، فلماذا تحتاجين إلي الكتب؟

قال ذلك أخيرًا، فأدركت حينها أن ذكر الساحر لم يكن فكرة جيدة.

فأجابته:

- لأن ذلك لم يكن الطريق الذي أريد تعلمه.

نظر إليها المالك نظرة فاحصة، ثم قال في نفسه :

((إن لديها موهبة خاصة، ولا عجب أن الساحر أولاها الكثير من الوقت، ولكن لابد أن هناك شيئًا آخر، فربما كانت تكذب، ولكنها تحدثت مرة أخرى عن الليلة المظلمة)).

ثم أردف متسائلًا :

- إنك تأتين إلى هنا باستمرار، وتقرئين القليل من الكتب، ولكن لا تشترين أيًا منها.

قالت بريدا، وهي تشعر أن الرجل يرغب في الاستطراد في الحديث:

- إنها باهظة الثمن، ولكني قرأت كتبًا أخرى، وتلقيت دروسًا كثيرة.

وذكرت له أسماء معلميها؛ محاولة إثارة المزيد من الإعجاب بها.

والآن، سارت بعض الأمور كما لم يكن مخططًا لها. فقاطعها المالك؛ وذهب لتقديم خدمته إلى زبون آخر، فزاد توترها واضطرابها، وقد تبعثرت شجاعتها تمامًا، إلا أنها لم تجد خيارًا غير أن تنتظر هذا

الزبون الآخر الذي يتفحص الكتاب؛ لمعرفة ما إذا كان هذا هو المطلوب أم لا، ودفع ثمنه، وأخذ باقي الثمن ثم انصرف، ثم التفت المالك إليها مرة أخرى.

اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت:

- لا أعلم كيف أستمر، وأواصل الحديث معك.

- أخبريني، ما هو الشيء الذي تشعرين أنك بارعة فيه؟

- السعي وراء ما أومن به.

كانت تلك هي الإجابة الوحيدة المحتملة، فقد قضت حياتها وهي تسعى وراء ما تؤمن به، ولكن المشكلة الوحيدة التي واجهتها، أنها كانت تؤمن بأشياء مختلفة، يومًا بعد يوم.

التقط المالك ورقة كان يقوم بعمل حساباته عليها، كتب عليها، ثم مزق الجزء الذي كتب فيه، وحملها في يده للحظة.

- سوف أعطيك عنوانًا، حيث كان هناك زمان يقبل فيه الناس السحر كأمر طبيعي، ولم يكن هناك قديسون، ولا كهنة، ولا يدرك أحد ما وراء أسرار العالم الخفي، والسحر.

لم تكن بريدا متأكدة، إذا ما كان يكلمها هي، أم لا.

- هل تعلمين ما هو السحر؟

- نعم، إنه الجسر الذي يربط بين العالم المرئي والعالم غير المرئي.

فأعطاها المالك قطعة الورق، مدون عليها رقم هاتف واسم (ويكا).

انتزعت بريدا الورقة من يده في لهفة وشكرته، ثم غادرت المكان، وعندما وصلت إلى الباب، استدارت نحو المالك وقالت:

- أعلم أيضًا، أن السحر يتحدث الكثير من اللغات، من بينها.. لغة بائع الكتب، الذي يدعي أنه لا يقدم العون ، ولكنه في الحقيقة كريم

وودود.

ثم اختفت، وعندها توقف المالك عن إجراء حساباته، ووقف يتأمل متجره، وجال بخاطره...

((لقد علمها ذلك الساحر في الغابة، كل ما تحويه تلك الكتب)).

فعلى الرغم من الموهبة المميزة التي تملكها هذه الفتاة، فإنها لا تكفي لأن تثير كل ذلك الاهتمام في الساحر، لابد أن هناك دافعا آخر، وسوف تكتشفه ويكا.

يقع هذا المبنى القديم في وسط المدينة، في مكان لا يذهب إليه سوى السائحين؛ للعثور على بعض الذكريات من القرن التاسع عشر الرومانتيكي، واضطرت بريدا أن تنتظر أسبوعًا كاملًا؛ قبل أن تحظى بموافقة ويكا على مقابلتها.

والآن، ها هي تقف أمام مبنى رمادي اللون، يشوبه الغموض، حاولت بريدا أن تحتوي مظاهر الإثارة والتشويق التي بدت عليها، فهذا المبنى تمامًا كما تخيلته، فهو ملائم لأشخاص من أمثال رواد متجر الكتب.

لم يكن هناك مصعد، فصعدت السلم ببطء؛ حتى لا تشعر بالتعب، وعندما وصلت إلى الطابق المطلوب، دقت جرس الباب الوحيد هناك.

سمعت بريدا نباح كلب في الداخل، وبعد برهة، فتحت الباب امرأة نحيلة، أنيقة، وترتسم على ملامحها الجدية.

قالت بريدا:

- لقد قمت بالاتصال في وقت سابق.

فسمحت لها ويكا بالدخول، وجدت نفسها في غرفة المعيشة، المطلية باللون الأبيض، مع بعض الزخارف للفن الحديث، تم توزيعها لتشمل المكان، مع لوحات على الحائط، وتماثيل، ومزهريات موضوعة على المنضدة، وستائر بيضاء ينفذ الضوء من خلالها، وقد تم تقسيم الحجرة بنجاح إلى أماكن مختلفة، لاستيعاب المقاعد، والأرائك، ومنضدة الطعام، ومكتبة تعج بالكتب المصفوفة بنظام. كل شيء تم تنسيقه بذوق رفيع، ذكرها بمجلات التصاميم والديكور التي اعتادت النظر إليها.

فقالت في نفسها:

((لابد أن ذلك قد كلفها الكثير من المال)).

قادتها ويكا إلى غرفة واسعة، يوجد بها مقعدان إيطاليان مصنوعان من الجلد والفولاذ، و بينهما منضدة زجاجية منخفضة، مصنوعة من الفولاذ عند الأطراف.

وأخيرًا تكلمت:

- إنك مازلت صغيرة جدًّا.

همت بريدا أن تجيب بما سبق وقالته للساحر عن رقص الباليه، إلا أنها التزمت الصمت حتى تسمع المزيد من تلك المرأة، وفي الوقت ذاته تتساءل عما يفعله هذا الأثاث والتصميم الحديث في ذلك المبنى العتيق وقد اهتزت مرة أخرى فكرتها الخيالية عن البحث عن المعرفة.

قالت ويكا:

- لقد اتصل بي.

وفهمت بريدا أنها تشير إلى صاحب المتجر.

- لقد جئت بحثًا عن معلم، فأنا أريد أن أسلك طريق السحر.

نظرت ويكا إليها، كان واضحًا أن لديها موهبة، ولكنها تريد أن تعرف سر اهتمام الساحر بها إلى هذا الحد، فموهبتها وحدها لا تكفي أن تثير اهتمامه لهذا الحد، فالساحر يمتلك خبرة كبيرة، ويعلم يقينًا أن لكل إنسان موهبته الخاصة، فلا يمكن أن ينخدع بهذا.

قامت ويكا من مجلسها، وذهبت إلى أحد الرفوف المخصصة للكتب، والتقطت مجموعتها الورقية المفضلة من ورق اللعب، وسألتها:

- هل تعلمين كيف تفتحين الورق، وتقرئين ما فيه؟

أومأت بريدا برأسها إيجابًا؛ فقد تلقت بعض الدروس في قراءة الورق، وتعلم أن ما بيد تلك السيدة، مجموعة أوراق التارو، التي تتألف من ثمان وسبعين ورقة، وقد تعلمت عدة طرق لفتح وقراءة تلك الأوراق، فسعدت لأن القدر أمهلها فرصة للتباهي بمعرفتها.

ولكنها، لم تعطها الورق لتظهر مهاراتها، فمازالت ويكا تحمله، ثم خلطت الورق، ووضعته مقلوبًا في ترتيب عشوائي، على المنضدة الزجاجية، ولم تكن تلك الطريقة تشبه أيًّا من الطرق التي تعلمتها بريدا خلال دروسها، جلست المرأة تنظر إليهم لبعض الوقت، وهي تقول بعض الكلمات بلغة غريبة، ثم قلبت واحدة فقط من تلك الأوراق.

كانت الورقة رقم ٢٣. و هي (الملك في ورق اللعب)، فقالت:

- حماية جيدة، من رجل قوي، له نفوذ، وشعره أسود.

لم يكن رفيقها قويًّا، أو ذا نفوذ، وشعر الساحر كان رماديًّا يتخلله بعض الشعر الأشيب.

ثم قالت ويكا، وكأنها تقرأ أفكارها:

- لا تهتمي كثيرًا بالوصف الجسدي، بل فكري في رفيق روحك.

فاندهشت بريدا لقولها، ثم سألتها:

- ماذا تعنين بقولك ((رفيق روحك))؟

كان أسلوب المرأة ومظهرها يوحي بالكثير من الاحترام، ولكنه احترام من نوع خاص، يختلف عما شعرت به بريدا تجاه الساحر، وبائع الكتب.

لم تجب ويكا على سؤالها، خلطت الأوراق مرة أخرى ووزعتهم بعشوائية، ولكنها لم تقلب الأوراق هذه المرة، كانت الورقة التي تقع في وسط الترتيب العشوائي، هي رقم ١١، التي تحتوي على صورة (امرأة تحاول فتح فم الأسد).

التقطت الورقة، وطلبت من بريدا أن تحملها، فحملتها بريدا، دون أن تعرف ما هو المطلوب منها، وما الفائدة من وراءه.

قالت ويكا مستطردة:

- في الشعائر والطقوس للتجسيدات السابقة الخاصة بك، كان الجزء الأقوى بداخلك، هو الجزء الأنثوي.

فسألتها بريدا مرة أخرى في اهتمام:

- ماذا تعنين ((برفيق الروح)) ؟

كانت تلك هي المرة الأولى التي تحاول فيها بريدا أن تتحدى تلك المرأة، ولكن جاء تحديها ضعيفاً، فقد خرج على استحياء أمام قوة ويكا.

لم تجب ويكا، وصمتت لفترة، فراودها الشك، وتساءلت في نفسها:

((لماذا لم يخبرني الساحر عن توافق الأرواح؟)).

ثم طرحت تلك الفكرة عن خاطرها، وهي تتمتم ((هراء)).

تابعت ويكا حديثها، لتلك الفتاة المشدوهة بما تسمعه من أساطير:

- إن توافق الأرواح، هو أول الدروس التي يتعلمها الأشخاص الذين يريدون تعلم حكمة القمر، فعندما نفهم توافق الأرواح، نستطيع أن نفهم كيف انتقلت المعرفة عبر الزمن.

شعرت بريدا باستثارة كبيرة أبقتها صامتة، بينما تابعت ويكا:

- نحن خالدون، لأننا خلفاء الله على الأرض، ولأننا إرادة الله. ولهذا؛ فإننا نمر بالعديد من مراحل الإحياء والإماتة، فننشأ من مكان مجهول، ثم نذهب إلى مكان آخر غير معلوم، ولابد أن تعتادي على أن هناك الكثير من الأشياء في عالم السحر لا يمكن تفسيرها، فقد قدّر الله أن يفعل بعض الأشياء الخاصة، بطريقة خاصة؛ وهذا لحكمة لا يعلمها إلا هو.

فوثب إلى ذاكرة بريدا (الليلة المظلمة التي تختبر قوة الإيمان)، فهي موجودة في تعاليم حكمة القمر أيضًا.

ثم تابعت ويكا:

- الحقيقة، أن ذلك يحدث بالفعل، فعندما يفكر الناس في البعث بعد الممات، يواجهون سؤالًا صعبًا. ففي البداية، كان هناك عدد قليل من البشر على سطح الأرض، ولكن في الآخرة، الأعداد كبيرة جدًا، فمن أين جاءت كل هذه الأرواح الجديدة؟

حبست بريدا أنفاسها، فقد سألت نفسها هذا السؤال مرارًا.

ثم قالت ويكا بعد فترة من الصمت؛ لتشعل حماس تلك الفتاة:

- الإجابة بسيطة، ففي مراحل معينة من التجسد ننقسم إلى قسمين، كما تنقسم النجوم والخلايا والنباتات.فتنقسم أرواحنا إلى نصفين، وتلك الأرواح الجديدة تنقسم بدورها إلى قسمين، وهكذا، وبعد أجيال قليلة، نتكاثر، ونملأ مساحة كبيرة من الأرض.

سألتها بريدا:

- هل يعرف جزء واحد فقط، من هذين الجزأين، من يكون نصفه الآخر؟

كان لديها الكثير من الأسئلة، لتسألها، ولكنها أرادت أن تسأل سؤالًا تلو الآخر، وقد أبدت الكثير من الاهتمام لهذا الأمر.

فلم تجب ويكا على سؤالها، وتابعت:

- نحن نشكل جزءًا مما يطلق عليه الخيميائيون ((روح الكون)).

والحقيقة، أن روح الكون إذا استمرت في الانشطار فحسب؛ سوف يزداد عددها، ولكن، سوف تصبح أضعف تدريجيًا، ولهذا السبب؛ فإنه كمقابل لهذا الانقسام فإننا نجد أنفسنا أيضًا، وسبيلنا للعثور على أنفسنا يسمى (الحب)، لأنه عندما تنقسم الروح، فإنها تنقسم إلى

جزأين، أحدهما ذكر، والآخر أنثى.

وهذا هو بالضبط ما فسره (سفر التكوين):

((حيث انقسمت روح آدم إلى قسمين، وخُلقت حواء منه)).

توقفت ويكا فجأة عن الحديث، وطالعت الأوراق المنثورة على المنضدة.

ثم قالت:

- يوجد الكثير من الأوراق، وكلهم جزء من مجموعة واحدة، ولكي نفهم رسالتهم، نحتاجهم جميعًا؛ فكل ورقة منهم على درجة كبيرة من الأهمية، وكذلك الحال بالنسبة إلى أرواح البشر، كلها مترابطة، مثل تلك المجموعة من الأوراق.

وفي كل حياة نعيشها، نشعر برغبة شديدة، وغامضة، في أن نجد واحدًا من تلك الأرواح المتوافقة، وأن محبة الخالق التي فرقت هاتين الروحين، تسعد كثيرًا؛ عند اجتماعهما معًا، مرة أخرى)).

- ولكن، كيف أعرف أن هذا هو رفيق روحي؟

شعرت بريدا أن هذا السؤال، هو أهم سؤال سألته في حياتها.

ضحكت ويكا من سؤال بريدا؛ فقد سبق لها أن سألت نفس السؤال الذي تسأله تلك الشابة الصغيرة، وبنفس الحماس والشوق.

فيمكن للمرء التعرف على رفيق روحه، من ذاك البريق الذي يشع من عينيه، عندما يأتي الوقت الذي يتعرف فيه كل شخصٍ على حبه الحقيقي، وقد استخدمت تعاليم حكمة القمر طرقًا مختلفة، مثل رؤية هالة من الضوء على الكتف الأيسر لأصحاب الأرواح المتوافقة.

ولكنها لن تخبر الفتاة بهذا الآن؛ فربما يأتي عليها يوم من الأيام تستطيع فيه رؤية تلك الهالة من الضوء، أو لا يأتي ذلك اليوم، فسوف تجيب الأقدار عن سؤالها هذا قريبًا.

أجابتها ويكا:

- يمكنك أن تتعرفي على رفيق روحك بالمجازفة، والمخاطرة، بالوقوع في الخطأ، وخيبة الأمل، والرجاء، والتحرر من الأوهام، ولكن، لا توقفي البحث عن الحب، فكلما استمر البحث، يأتي الانتصار في نهاية المطاف.

عندها... تذكرت بريدا الساحر، وهو يقول مثل هذه الكلمات، عندما تكلم عن طريق السحر، فقالت في نفسها:

- ربما تشابه كلا الأمرين.

بدأت ويكا في سحب الأوراق من على المنضدة، وشعرت بريدا، أنه قد انتهى وقتها، ولكن مازال هناك سؤال لم تسأله بعد.

- هل من الممكن أن يقابل الشخص أكثر من رفيق واحد لروحه؟

همت ويكا أن تجيب بـ ((نعم)).

لكنها آثرت الصمت، وفكرت في ذلك بمرارة شديدة؛ فعندما يحدث ذلك، فإن القلب ينفطر، ويعاني أشد المعاناة، يمكن للفرد أن يجد عدة أرواح تتفق مع روحه؛ فنحن عديدين، ومبعثرين، هذه الشابة قد سألت الأسئلة الصحيحة، ولكن على ويكا أن تتجنب الإجابة عليها.

ثم أجابتها:

- إن جوهر الخلق واحد، وهذا الجوهر هو ما يسمى بالحب، فالحب هو القوة التي تجمعنا معًا؛ لتلخص كل التجارب الموزعة على أكثر من حياة، وأكثر من مكان في العالم.

إننا مسؤولون عن العالم بأسره؛ لأننا لم نعلم أين يوجد رفقاء أرواحنا، لقد كنا هؤلاء في بداية الكون، فإذا كانت أرواحهم بخير، فسنكون سعداء، وإن لم تكن كذلك، فسوف نعاني نحن أيضًا.

وبدون أن نشعر، سنتحمل نصيبا من آلامهم، والأهم من ذلك، فإننا مسؤولون عن إعادة لقائهم مرة واحدة على الأقل في كل تجسيد؛ فالروح المتوافقة هي التي تسلك نفس الطريق الذي نسلكه، حتى ولو كانت للحظات فقط؛ لأن تلك اللحظات تجلب معها حبًا قويًا، يبرر وجود ما تبقي من حياتنا.

انتبهت ويكا لنباح الكلب في المطبخ، فأنهت التقاط الورق، ونظرت ثانية إلى بريدا، مستطردة حديثها:

- ويمكننا أيضًا، أن نسمح لرفقاء أرواحنا أن يهجرونا، بدون أن نقبلهم، أو نلاحظهم، وعندها، سوف نحتاج إلى تجسيد جديد كي نجدهم، وبسبب أنانيتنا هذه؛ يُحكم علينا بأقسى عقاب اخترعه البشر لأنفسهم، وهو (الوحدة).

ثم قامت ويكا من مجلسها، ورافقت بريدا إلى الباب الخارجي.

وقبل أن تودعها قالت لها:

- بالطبع، إنك لم تأت إلى هنا كي تكتشفي رفيق روحك.

ثم أردفت قائلة:

- إن لديك موهبة، وعندما أكتشفها، سوف أعلمك حكمة القمر.

حينها... شعرت بريدا بالتميز؛ فقد كانت في أمسِّ الحاجة إلى هذا الشعور من تلك المرأة التي تفرض على محدثيها احترامًا، قلّما تجده عند البشر.

وأطرقت بريدا في صمت، وهي تفكر:

((سوف أبذل قصارى جهدي؛ فأنا أريد تعلم حكمة القمر، فتلك الحكمة لا تحتاج أن يقضي الفرد ليلة مظلمة بمفرده في الغابة)).

ثم قالت ويكا في حزم:

- والآن... انصتي إليَّ جيدًا، ابتداءً من هذا اليوم، عليك أن تقضي ساعة يوميًّا، تجلسين خلالها بمفردك على الطاولة، وتنثرين مجموعة ورق التارو كما رأيتني أفعل، ولا تحاولي أن تفهمي أي شيء، فقط حاولي تعلم تلك الأوراق، وسوف تعلمك كل ما تحتاجين معرفته، في تلك اللحظة.

قالت بريدا في نفسها، وهي تهبط على درجات السلم:

((إنها تشبه حكمة الشمس؛ فأنا الذي سوف أعلم نفسي من جديد)).

ولم تدرك أن المرأة تكلمت عن موهبة خاصة بها، إلا وهي في داخل الأتوبيس.

يمكنها التحدث عن ذلك باستفاضة في مقابلاتهما القادمة.

على مدى أسبوع كامل، خصصت بريدا نصف ساعة يوميًا لقراءة الورق على الطاولة في غرفة المعيشة، حيث كانت تذهب إلى النوم في الساعة العاشرة، ثم تضبط منبه الإيقاظ على الساعة الواحدة صباحًا فتستيقظ، وتعد سريعًا فنجانًا من القهوة، ثم تجلس لتتأمل الورق، وهي تحاول حل ألغاز تلك اللغة الغامضة.

في الليلة الأولى، كانت في قمة الإثارة، وتعتقد أن ويكا قد علمتها نوعًا من الشعائر السرية؛ ولذا حاولت أن توزع الورق بنفس الطريقة التي تعلمتها من ويكا، وهي تتوقع أن تظهر رسالة خفية من جرّاء ذلك، وبعد نصف الساعة... وبعيدًا عن الرؤى القليلة التي تخيلتها، لم تحدث أي ملاحظة تستحق الذكر.

وفي الليلة الثانية، فعلت بريدا الشيء نفسه، فقد قالت ويكا أن الورق هو الذي سيخبرك بقصته، ولتحكم على ذلك بما تلقته من دروس، إنها قصة قديمة جدًا، وقعت أحداثها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، في زمن كان فيه البشر، أكثر قربًا من الحكمة الأصلية.

قالت في نفسها: ((الصور تبدو بسيطة للغاية)).

ورقة تظهر بها امرأة تحاول فتح فم الأسد، وورقة أخرى بها عربة يجرها حيوانان غريبان، وورقة ثالثة بها رجل يجلس أمام طاولة مغطاة بأغراض متنوعة، لقد تعلمت أن الورق هو كتابها.

هذا الكتاب، هو الذي دونت فيه السماء التغييرات الجوهرية التي تحدث لنا أثناء رحلتنا في تلك الحياة، ولكن السماء تعلم أن البشر يتعلمون من الخطيئة، أسرع من تعلمهم من الفضيلة؛ فقررت أن ينتقل هذا الكتاب المقدس من جيل إلى أخر، في شكل لعبة، فتلك الأوراق هي اختراع الآلهة.

((ولكن، لا يمكن أن تكون بهذه السهولة)).

كانت تراودها تلك الفكرة، في كل مرة توزع فيها الورق، فقد

تعلمت طرقًا معقدة، وطرقًا لشرحها، فتوزيع تلك المجموعة الورقية بهذه العشوائية، أصبح يؤثر سلبًا على نظرتها المنطقية للأمور.

وفي الليلة الثالثة، ألقت بالورق على الأرض بغضب شديد، وللحظة ظنت أن ذلك الانفعال الغاضب سينتج من ورائه أي وحي سحري، ولكن النتيجة لم تكن مرضية على الإطلاق، فقط بعض التصورات التي سرعان ما طرحتها عن رأسها.

ولم تفارق رأسها فكرة توافق الأرواح، وللحظات... ظنت أنها ستعود إلى مرحلة المراهقة، أو لفارس الأحلام الذي يقطع المسافات، ويعبر الجبال، والوديان؛ بحثًا عن محبوبته، ذات الحذاء الزجاجي.

((إيجاد رفيق روحك، هو شيء لا يحدث إلا في الأساطير)).

قالت ذلك لنفسها، وكأنها تقول أمرًا فكاهيًا، فقد كانت الحكايات الخيالية والأساطير الخرافية، هي أول عهدها بعالم السحر الذي تسعى لدخوله، وقد سألت نفسها أكثر من مرة، لماذا ينأى الناس بأنفسهم عن هذا العالم؟ و لماذا يحاول الجميع الابتعاد عنه، وهم يعلمون مقدار السعادة التي قدمها لهم في فترة الطفولة؟

((ربما لأنهم لم يشعروا بالرضا لكونهم سعداء)).

وجدت أن تلك الفكرة سخيفة، ولكن، قامت بتدوينها، على أنها فكرة مبتكرة.

وبعد أسبوع كامل، وهي مستغرقة في فكرة ائتلاف الأرواح، سرت قشعريرة باردة كالثلج في جسدها، عندما دار في ذهنها هذا السؤال:

((ماذا لو كنت قد اخترت الرجل الخطأ؟)).

في الليلة الثامنة، استيقظت من نومها لتقوم بتأملاتها في ورق التارو، وقررت أن تدعو رفيقها لتناول العشاء في الخارج الليلة القادمة.

اختارت بريدا مطعمًا، يتميز بأسعاره المعتدلة؛ لأن رفيقها يصر دائمًا على دفع فاتورة الحساب، على الرغم من أن الراتب الذي يتقاضاه من عمله كأستاذ مساعد في قسم الفيزياء بالجامعة، أقل بكثير مما تتقاضاه هي من عملها كسكرتيرة. ومازال فصل الصيف مستمرًا، فجلسا معًا على إحدى الطاولات، على الرصيف الذي يطل على النهر.

قال لورنس بشيء من الدعابة:

- أريد أن أعلم متى ستسمح الأرواح لي بالمبيت معك مرة ثانية؟

نظرت إليه بحنان؛ فقد طلبت منه ألّا يزورها في شقتها لمدة أسبوعين، وقد أجاب طلبها، بعد أن أبدى قليلًا من الاعتراض، ليثبت مدى حبه وشغفه بها.

تناولا العشاء ببطء، في صمتٍ تام، وهما يشاهدان القوارب وهي تبحر في خُيَلاء، ويشاهدان الناس وهم يسيرون على الرصيف، وبعد نصف ساعة أخرى، تغير المشهد قليلًا، فقد تقاربت مقاعدهما سويًا وجلسا، وقد التفت ذراع كل منهما بالآخر، وهما ينظران إلى سماء الصيف الممتلئة بالنجوم.

قال لورنس وهو يربت على شعر بريدا:

- انظري إلى تلك السماء، فما ننظر إليه الآن، هو نفسه الذي كان موجودًا منذ آلاف السنين!.

تذكرت أنه قد أخبرها بنفس الشيء، في أول مرة تقابلا فيها- ولكنها بقيت صامتة- فكانت تلك هي طريقته، ليشركها معه في عالمه.

- لقد اختفت الكثير من النجوم، ولكن ضوءها مازال يسري في أرجاء الكون، قد تولدت نجوم أخرى، ولكن لم يصل ضوؤها إلينا بعد.

- الا يوجد أحد يعرف ما هو شكل السماء الحقيقي؟

لقد سألت بريدا نفس السؤال، في أول لقاء لهما، فشعرت بالمتعة لتذكر تلك اللحظات الحلوة، بإعادة نفس العبارات.

- لا نعرف بالضبط؛ فنحن ندرس الظواهر التي نستطيع رصدها، ولكن ما يمكننا رؤيته ليس بالضرورة أن يكون موجودًا.

- أريد أن أسألك عن شيء:

ممّ خُلِقنا؟ ومن أين جاءت تلك الذرات التي كونت أجسادنا؟

نظر لورنس إلى السماء، ثم قال:

- لقد خُلقنا مع هذه النجوم، و مع هذا النهر، في أول لحظة من الخلق الأول لهذا العالم.

- أهذا يعني، أنه بعد ذلك الخلق الأول، لم يُخلق أي شيء جديد؟

- لا شيء، فكل الأشياء تحركت واستمرت في التحرك، وكلها أيضًا تحولت واستمرت في التحول، وكل شيء موجود الآن، هو نفسه الشيء الموجود منذ بلايين السنين، ولم يتم إضافة أي ذرة إلى العالم.

تأملت بريدا حركة النهر والنجوم؛ فقد كان من اليسير أن ترى حركة أمواج النهر، ولكنه كان من الصعب رؤية حركة النجوم في السماء، على الرغم من تحرك كل منهما.

قطعت بريدا ذلك الصمت، الذي خيم على المكان لفترة ليست بالقصيرة، أثناء مشاهدة كل منهما لقارب يعبر النهر.

- لورنس، دعني أسألك سؤالًا قد يبدو لك سخيفًا:

هل من المحتمل فيزيائيًا، أن الذرات التي تتألف منها أجسادنا قد كانت في جسد شخص أخر، عاش قبلنا؟

حدق فيها لورنس في دهشة، ثم قال:

- ماذا تعنين؟!

- هل ما قلته، هو شيء محتمل؟

لم يجب عليها، ولاذ بالصمت لفترة، ثم قال:

- نعم، إنها كذلك.

ترامى إلى مسامعهم، صوت موسيقى من مركب للرحلات في عرض النهر، ذكرها هذا المشهد بفترة المراهقة التي عاشتها، وأنعش ذكرياتها عن دروس الرقص المدرسية، شعرت أنها تستطيع أن تشم رائحة سريرها، وتذكرت لون الشريط الذي كانت تربط به شعرها. وقد لاحظت أن لورنس لم يفكر في السؤال الذي طرحته عليه، وربما يتساءل الآن، إذا كان جسده يحمل نفس النواة التي كوّنت أجساد القراصنة الإسكندنافين، أو ربما يحتوي على جزيئات من انفجارات بركانية، أو ربما بعض الجزيئات من حيوانات ما قبل التاريخ.

ولكن أفكارها ذهبت في اتجاه آخر، فكل ما أرادت أن تعلمه هو: هل هذا الرجل، الذي تحبه، كان جزءًا منها في السابق؟

اقتربت الباخرة، وملأت أصوات الموسيقى المكان، وقد صمت الجميع على الطاولات الأخرى؛ وتلفتوا لمعرفة مصدر الصوت، فهم جميعا قد مروا بمراحل المراهقة، وحضروا دروس الرقص، ورأوا في أحلامهم المحاربين والجنيات.

- أنا أحبك يا لورنس.

وقد تمنت، أن يحتوى جسد هذا الرجل الذي يعلم الكثير عن أضواء النجوم، على القليل من التكوين الذي كانت عليه مسبقًا.

أفاقت بريدا من نومها، وجلست على سريرها، تحسست علبة السجائر التي توجد على المنضدة المجاورة للسرير؛ فقد قررت أن تخالف كل عاداتها، وتدخن قبل الإفطار.

بقى على موعدها لمقابلة ويكا يومان، وهي تعلم بهذا الموعد منذ زيارتها الأولي منذ أسبوعين، وقد أوفت بوعدها لويكا، وفعلت كل ما بوسعها، فقد علقت كل آمالها على الطريقة العشوائية لتوزيع الورق التي علمتها إياها تلك السيدة الجذابة الغامضة، وقد حاولت، وبذلت أقصى جهدها، ولكن دون جدوى، فالورق يرفض أن يبوح بأسراره لتلك الفتاة.

في كل مرة، في الليالي الثلاث السابقة، بعد أن تنهي تلك التمارين على الورق، ترغب بالبكاء؛ حيث شعرت أنها وحيدة ومجروحة وعلى وشك أن تتفلت من بين أصابعها فرصة عظيمة، شعرت مرة أخرى أن الدنيا لا تعاملها مثلما تعامل الأخرين؛ فالدنيا تعطيها الفرص التي تستطيع أن تحقق بها آمالها، ولكن... ما أن تقترب من تلك الآمال، حتى تنشق الأرض وتبتلعها، فهكذا كان الحال في دراستها، ومع رفقائها المحبين، وفي بعض الأحلام التي لم تشاركها أحد.

فكرت في الساحر، فربما يستطيع مساعدتها، ولكنها قطعت على نفسها عهدًا بألا تذهب إلى الغابة مرة أخرى، إلا بعد أن تتعلم قدرًا من السحر، تستطيع به أن تواجه هذا الرجل مرة أخرى.

ويبدو الآن، أن ذلك لن يحدث أبدًا.

رقدت لفترة ليست بالقصيرة على سريرها، قبل أن تقرر أن تقوم لتعد فطورها، وأخيرًا... استجمعت قواها لمواجهة يوم جديد، أو بالأحرى.. يوم جديد من لياليها المظلمة.

هكذا قررت أن تسمي تلك الليالي، منذ تجربتها التي مرت بها في الغابة، أعدت فنجانًا من القهوة، ونظرت إلى ساعتها، فوجدت أنه

مازال لديها متسع من الوقت.

اتجهت إلى الرف، وبحثت بين الكتب، عن الورقة التي سلمها إياها بائع الكتب، ولتواسي نفسها قالت:

((مازال هناك الكثير من الطرق الأخرى)).

فقد قابلت الساحر، وقابلت ويكا، وربما يأتي عليها وقت، في نهاية المطاف؛ لتجد من يعلمها السحر، بطريقة تستطيع فهمها.

ولكنها تعلم، أن ما قالته لنفسها، لم يكن إلا عزاءً، وعذرًا واهيًا.

((دائمًا ما أبدأ الأشياء، ولكن لا ألبث أن أتخلى عنها)).

فكرت في ذلك بمرارة شديدة. فربما تدرك الحياة تلك الحقيقة وتكف عن معاملتها بهذه الطريقة، أو ربما لأنها تتخلى عن الأشياء، فور البدء بها، فتجرب كل الطرق بدون أن تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام؛ لأنها لا تمهل نفسها الكثير من الوقت، في كل محاولة.

ولكن... قد اعتادت أن تتعامل مع الحياة بهذه الطريقة، وشعرت أنها تصبح أكثر ضعفًا بمرور الأيام، وأنها لا تملك القدرة على التغيير.

فمنذ سنوات، أصيبت باكتئاب شديد بسبب تصرفاتها، ولكنها على الأقل، تستطيع أن تقوم بأعمال مهمة من وقت لآخر.

والآن.. يجب أن تعتاد على أخطائها، وأن تتكيف معها، فهي تعلم أن كثيرًا من الأشخاص الذين فعلوا ذلك قد اعتادوا على أخطائهم، ولم يمر وقت طويل، حتى اكتشفوا أن تلك الأخطاء، كانت فضائلًا، ولكن حدث ذلك بعد فوات الأوان.

فكرت في عدم الاتصال بويكا، والاختفاء ببساطة، ولكن ماذا عن متجر الكتب؟ فلن تواتيها الشجاعة لدخول هذا المتجر مرة أخرى، إذا لم تذهب إلى ويكا، ولن يكون البائع ودودًا معها في المرة القادمة.

((فقد حدث ذلك معي من قبل، فبعض الأفعال الطائشة من شخص

ما، جعلتني أقطع علاقتي بأشخاص كنت أهتم لأمرهم)).

فلن أستطيع تكرار هذا الأمر ثانية، فقد سلكت طريقًا ليس من السهل المرور فيه، ولن أكتشف فيه الأمور ببساطة.

شدت قامتها في محاولة منها لاستجماع شجاعتها، واتصلت هاتفيًا بالرقم الموجود في تلك الورقة، حتى أتاها صوت ويكا.

قالت بريدا:

- لن أتمكن من الحضور غدًا.

أجابتها ويكا:

- لا، فلن يستطيع السباك المجيء هو الآخر إلى هنا.

وللحظة... شعرت بريدا بأنها لا تفهم ما تعنيه تلك المرأة.

ثم بدأت ويكا في الشكوى من مشكلة ما في مطبخها، وأنه يغرق، وقد حددت أكثر من موعد مع السباك ليصلح ما به من عطب، ولكنه لم يأت، وذكرت قصة طويلة عن المباني القديمة، التي قد تبدو لها إطلالة مهيبة، ولكن يكتنفها كل أنواع المشاكل، وفي أثناء حديثها عن السباك سألت ويكا بغتة:

- هل تحملين أوراق التارو في يدك؟

فاندهشت بريدا لذلك، وأجابتها بالإيجاب، فطلبت ويكا منها أن تنثرها على الطاولة، لأنها سوف تعلمها طريقة تعرف بها إذا ما كان هذا السباك سوف يأتي في اليوم التالي، أم لا.

شعرت بريدا بمزيد من الدهشة، ولكنها نفذت ما طلبته منها، وزعت الأوراق، وجلست تشاهد الطاولة بذهن خالٍ، وتنتظر التعليمات التي سيصدرها الطرف الآخر على الهاتف، وقد تلاشت شجاعتها لتقديم سبب لاتصالها بويكا.

مازالت ويكا تتكلم، وعندها قررت بريدا أن تستمع إليها بصبر، فريما تصبح صديقتها، وعندها سوف تصبح أكثر تسامحا، وتعلمها أسهل الطرق لفهم أسرار حكمة القمر.

ظلت ويكا تتنقل من موضوع إلى آخر، فبعد أن أنهت شكواها من السباكين، انتقلت للحديث عن حوار دار بينها وبين مدير المبنى عن مرتبات الصيانة، ثم انتقلت إلى مقالة قرأتها عن معاشات كبار السن.

وقد صاحبت بريدا كل هذا الحديث، بهمهمات خافتة، تدل على الموافقة والمتابعة لما تقوله تلك السيدة الأخرى، واستمرت ويكا في الحديث، لكن بريدا لم تستطع الاستمرار في الاستماع، فقد شعرت بملل شديد؛ حيث تطرقت المحادثة الهاتفية مع امرأة مازالت حديثة عهد بها إلى السباكين، والصيانة، والمعاشات في تلك الساعة المبكرة من الصباح فهذا شيء يدعو للملل، حاولت بريدا أن تشتت انتباهها بالأوراق الموضوعة على الطاولة، وقد استرعى انتباهها بعض الأشياء التي لم تلحظها من قبل.

وهنا... سألت ويكا، عما إذا كانت تنصت إليها أم لا، فتمتمت بنعم، ولكن عقلها كان بعيدًا عن تلك المحادثة تمامًا؛ فقد سافر إلى أميال وأميال تبعدها عن هذا المكان، إلى مكان لم تره من قبل، وقد جذب انتباهها كل التفاصيل الموجودة في تلك الأوراق، إلى خوض تلك الرحلة.

فجأة، وبسرعة شديدة، أشبه بمن كان داخل حلم، أدركت بريدا أنها لن تستطيع أن تواصل الاستماع لما تقوله ويكا؛ فقد سمعت صوتًا - يبدو وكأنه من الداخل، ولكنها تعلم أنه من الخارج- بدأ يهمس إليها:

- هل تفهمين؟

فأجابته بريدا بالإيجاب

فأعاد هذا الصوت السؤال مرة أخرى:

- هل تفهمين؟

وعلى الرغم من هذا الصوت، فإن بريدا لم تتأثر كثيرا.

بدأت أوراق التارو، تعرض مشاهد جذابة: رجال ذوو أجساد برونزية، يرتدون سيرًا جلديًا، وبعض الأقنعة مثل الرؤوس العملاقة للأسماك، وتسارعت السحب في وسط السماء، كما لو كانت الأمور تسير أسرع من المعتاد، وقد انتقل هذا المشهد فجأة، إلى ميدان محاط بمبانٍ كبيرة، حيث كانت بعض العجائز، يلقن مجموعة من الأطفال بعض الأسرار بإلحاح شديد، كما لو كانوا يفعلون ذلك لعلمهم بأن هذا العلم القديم سوف يضيع للأبد، وأن هؤلاء الأطفال هم آخر أمل لهم في حفظ تلك العلوم والأسرار.

((ضف سبعة إلى ثمانية؛ فسوف تعرف رقمي، أنا الشيطان، وقد وقعت على الكتاب)).

قال ذلك طفل، يرتدي ملابس تعود إلى القرون الوسطى، في مكان بدا أنه احتفال، ورأت أيضًا رجالًا ونساءً ثملين يبتسمون إليها، واختلف المشهد مرة أخرى، وانتقل إلى البحر، ليكشف عن تلك المعابد التي تم نحتها من الصخور، وعندها بدأت السماء تُغطى بالسحب السوداء، التي اخترقتها بعض الأشعة الساطعة للبرق.

ظهر باب ثقيل، يبدو أنه باب قلعة قديمة، أتى الباب بالقرب من بريدا، وقد راودها إحساس أنها تستطيع أن تفتح هذا الباب.

فسمعت صوتًا، يقول لها:

- عودي، عودي.

أتى ذلك الصوت من الهاتف، لقد كان صوت ويكا، فشعرت بريدا بالحنق منها؛ لأنها قطعت عليها رحلة مميزة، لمجرد أن تسمع المزيد من

حكاياتها المملة عن رواتب الصيانة والسباكين؛ فامتقع وجهها لذلك بشدة.

ثم أجابتها بريدا:

- لحظة واحدة من فضلك.

كانت تحاول أن تجد ذلك الباب، ولكن... كل شيء قد اختفى.

- إنني أعلم ماذا يحدث.

أخبرتها ويكا بذلك، فصُعقت بريدا، تصلبت، واتسعت عيناها، ولم تستطع أن تفهم ماذا يحدث.

كررت ويكا ما قالته، ردًّا على صمت بريدا:

- أعلم ماذا حدث. ثم أضافت:

- لن أتحدث عن السباك، فقد جاء الأسبوع الماضي، وأصلح كل شيء.

وقبل أن تغلق الهاتف، قالت أنها تتوقع أن ترى بريدا في الموعد المحدد.

أغلقت بريدا الهاتف، دون أن تنطق بحرف واحد، ولا حتى لتوديع تلك السيدة، وجلست لفترة طويلة، وهي تحدق في حائط المطبخ، قبل أن تتنهد تنهيدة أودعتها كل ما تحمل في داخلها من توتر ودهشة.

قالت ويكا لبريدا الخائفة الوجلة، عندما جلستا مرة أخرى على تلك المقاعد الإيطالية.

- لقد كانت خدعة، وأعلم تمامًا ما هو شعورك الأن.

ثم أردفت قائلة:

- أحيانا نسلك طريقًا بسهولة؛ لأننا لا نؤمن به، ونحاول بمنتهي البساطة، أن نثبت أن هذا الطريق لم يكن هو الأفضل لنا، ولكن عندما تبدأ الأشياء في الحدوث، ويبدأ الطريق في البوح عن نفسه، وكشف أسراره، نصبح خائفين من مواصلة السير فيه.

ثم قالت ويكا، أنها لا تفهم لماذا يقوم الناس بتدمير الطرق التي لا يختاروها لأنفسهم، بدلًا من الانشغال بسلوك الطريق الآخر، الذي اختاروه.

قالت بريدا، وقد اكتسى صوتها بنبرة احتجاجية، وقد فقدت توازنها وتحديها، ولكن ازداد احترامها لويكا بشكل ملحوظ:

- لا أستطيع أن أصدق أنها كانت مجرد خدعة.

- لا لا، لم تكن تلك الرؤى خدعة، بل أعني بالخدعة المكالمة الهاتفية.

لقد اعتدنا منذ ملايين السنين، أن نتكلم مع الأشخاص ونحن نراهم وجهًا لوجه، ثم في أقل من قرن، قام الهاتف بالفصل تمامًا بين «الرؤية» و «التحدث»، ونحن الآن نعتبره أمرًا طبيعيًا ، بينما لا ندرك التأثير القوي الذي يُحدثه ذلك فينا، فأجسامنا لم تعتد بعد على ذلك.

فعندما نتكلم في الهاتف، ندخل في حالة أشبه بأطوار السحر، وتنتقل عقولنا إلى مرحلة أخرى من الترددات الناتجة من العالم غير المرئي، فأنا أعلم بعض الساحرات اللاتي يحتفظن دائمًا بورقة وقلم بجانب الهاتف وعندما يتكلمون إلى شخص ما هاتفيًا، يقومون بعمل

(شخبطة)، كتابة غير منتظمة لا تعني شيئًا، وعندما يغلقون الهاتف وينظرون إليها يكتشفون أنها رموز وعلامات من حكمة الشمس.

- ولكن، لماذا تكشف أوراق التارو أسرارها لي؟

- هذه هي المسألة الكبرى، التي يجب على من يرغب بدراسة السحر حلها.

أجابتها ويكا بذلك ثم أضافت:

- عندما نمضي في طريقنا، فنحن دائمًا ما نملك فكرة واضحة عن الشيء الذي نأمل العثور عليه، فالمرأة تسعى دائمًا لمعرفة رفيق روحها والرجل يبحث عن القوة والسلطة والنفوذ، كلاهما يريد تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

ولكن طريق السحر- مثل طريق الحياة - هكذا، ودائما، سيكون طريق الغموض والأسرار؛ فتعلم شيء ما، يعني أن تكون على اتصال بالعالم الذي لا تعرف عنه الكثير، ولكي تتعلم لابد أن تكون متواضعًا.

قالت بريدا:

- مثل الانغماس في ليلة مظلمة.

قالت ويكا، بنبرة يبدو فيها التوتر:

- لا تقاطعيني.

لكن بريدا شعرت بأن سبب هذا التوتر، لم يكن بسبب مقاطعتها.

و فكرت بريدا: ((ربما هي غاضبة من الساحر)).

ثم استطردت في فكرها.

((فربما كانت على علاقة حب معه؛ فهما في نفس العمر تقريبًا، أو

ربما أحدهما يكبر الآخر بقليل)).

ثم قالت:

- آسفة.

- لا عليك. وقد بدت ويكا مندهشة من ردود أفعالها.

- لقد كنت تخبريني عن ورق التارو !!!؟

- عندما كنت توزعين الورق، كان لديك دائما، تصور مسبق عما يحدث، ولم تدعي الورق يحكي قصته، لقد كنت تحاولين، أن تجعلي الورق يؤكد تصورك لما تعرفين.

لقد أدركت هذا عندما بدأنا حديثنا على الهاتف، وقد أدركت أيضًا أنها كانت إشارة، إلى أن الهاتف حليفي؛ ولهذا قمت بمحادثة مملة للغاية، وطلبت منك أن تنظري إلى الأوراق، وقد دخلت أطوار السحر بفعل الهاتف، وقادتك الأوراق إلى عالم الخيال.

ثم اقترحت ويكا عليها، إذا سنحت لها الفرصة بالبقاء مع شخص يتكلم هاتفيًا، أن تنظر نظرة فاحصة إلى عينيه؛ فسوف تندهش لما تراه.

وبينما ترتشف بريدا الشاي في مطبخ ويكا، قالت لها:

- أريد أن أسألك سؤالًا آخر، أريد أن أعرف، لماذا لم تدعيني أترك هذا الطريق؟

ففكرت ويكا: ((لأنني...... أريد أن أكتشف السر الذي اكتشفه فيك الساحر، بعيدًا عن تلك الموهبة التي تمتلكينها)).

أرادت أن تقول ذلك، لكنها تمالكت نفسها، واكتفت بقولها:

- لأن لديك موهبة.

- وكيف عرفت؟

- إنه أمر سهل للغاية. من أذنيك.

قالت بريدا في نفسها: ((بواسطة أذني! إنه شيء محبط! لقد كنت أظن أن هناك هالة خاصة بي، وأنها تستطيع رؤيتها))

استطردت ويكا:

- كل منا له موهبة، ولكن البعض يولد بموهبة أكثر تقدمًا من الآخرين- مثلي أنا على سبيل المثال- وتلك الفئة من الناس، يجب عليها أن تبذل قصارى جهدها في تنمية مواهبهم، فالأشخاص الذين لديهم مواهب خاصة لديهم شحمة أذن صغيرة.

وبحركة غريزية، تحسست بريدا شحمة أذنها، وقد كان هذا صحيحًا.

- هل لديك سيارة؟

أجابتها بريدا بالنفي.

- إذن عليك أن تستعدي لإنفاق الكثير من النقود على سيارات الأجرة.

ثم قالت ويكا، وهي تنهض من مجلسها:

- حان وقت الخطوة الثانية.

قالت بريدا لنفسها، وهي تقف استعدادًا لمغادرة المنزل:

((أصبحت الأمور تسير بسرعة، فجأة)).

أصبحت الحياة، تشبه تلك السحب التي رأتها بريدا سابقًا في الأوراق.

وصلتا بعد الظهيرة إلى الجبال، التي تبعد حوالي خمسة عشر ميلاً جنوب دبلن، فغمغمت بريدا، وهي تدفع الحساب للسائق قائلة:

- كان بإمكاننا أن نقطع نفس الطريق، بالأتوبيس.

أحضرت ويكا معها حقيبتها الخاصة، وبعض الملابس.

فقال سائق السيارة:

- يمكنني الانتظار إذا أردت؛ فمن الصعب العثور على سيارة أجرة هنا.

قالت ويكا لتطمئنها:

- لا تقلقي؛ فنحن دائمًا نحصل على ما نريد.

نظر السائق إليهما بدهشة، واستغراب، ثم انطلق بسيارته.

وقفتا أمام مجموعة من الأشجار، تبعد حوالي قدمًا عن أقرب جبل.

قالت ويكا:

- اطلبي الإذن بالدخول؛ فأرواح الغابة تقدر الذوق في التعامل.

فطلبت بريدا السماح، وأصبحت الأشجار التي كانت مجرد أخشاب، كما لو أنّ الحياة قد دبت فيها فجأة.

بينما كانتا تعبران الطريق بين الأشجار، قالت ويكا:

- احرصي على البقاء دائمًا على الجسر، بين المرئي وغير المرئي، فكل شيء في هذا العالم له حياة، ويجب عليك دائمًا أن تكوني على اتصال بتلك الحياة؛ فهي تفهم لغتك، وسوف يتغير العالم من حولك، ويأخذ منحنى لم تعهديه من قبل.

اندهشت بريدا من ويكا كثيرًا؛ فقد خُيل إليها أن قدما ويكا لم تطأ الأرض، كانت تمشي برقة شديدة، كملاك طائر على الأرض،

ولم تسمع لقدميها صوتًا يذكر.

وصلتا إلى منطقة خالية بجوار صخرة كبيرة، وعندما حاولت أن تفهم، كيف وصلت تلك الصخرة الكبيرة إلى ذلك المكان، لاحظت بريدا رمادًا من آثار نيران كانت مشتعلة، في وسط هذه المنطقة الخالية.

كان المكان خلابًا، ومازالت هناك بعض الساعات حتى حلول المساء، والشمس مشرقة بأشعتها الذهبية، بعد الظهيرة في فصل الصيف، والطيور تتغنى، وتشدو بأعذب الأصوات، وأصبح الجو نديًّا؛ بسبب أوراق الأشجار الرطبة ، وتمكنت بريدا من رؤية الآفاق.

أخرجت ويكا ما يشبه العباءة من حقيبتها، وارتدتها فوق ملابسها، ووضعت الحقيبة بجانب الأشجار؛ كي لا يراها أحد.

ثم قالت:

- اجلسي.

أصبحت ويكا مختلفة إلى حدٍ ما، ولم تستطع بريدا معرفة سبب هذا التغير، هل هو بسبب تلك العباءة، أم بسبب تلك الرهبة والإجلال الذي يلقيه عليها هذا المكان؟.

- أولًا، يجب أن أشرح لك ما سأفعله، سوف أكتشف كيف تُظهر الموهبة نفسها عليك، سوف أفعل ذلك، فور معرفتي بماهية تلك الموهبة التي تمتلكينها.

طلبت ويكا من بريدا أن تسترخي، وأن تستسلم لجمال الطبيعة الخلابة التي تحيط بها، مثلما فعلت مع ورق التارو.

- في مرحلة ما في حياتك السابقة، سلكت طريق السحر، أعلم ذلك تمامًا من رؤى التارو التي وصفتيها.

أجفلت بريدا عينيها، ولكن ويكا طلبت منها أن تفتح عينيها.

ثم تابعت:

- أماكن السحر تكون دائمًا خلابة، وتستحق التأمل؛ فشلالات المياه والغابات، كلها أماكن تتجمع فيها أرواح الأرض لتلعب، وتلهو، وتتحدث إلينا، أنت في مكان مقدس؛ اشكري الله على ذلك، ولازمي ذلك الجسر، الواقع بين المرئي وغير المرئي.

قالت ويكا ذلك، بنبرة تحمل الكثير من الراحة؛ فدفعت بريدا إلى الاسترخاء أكثر فأكثر، وشعرت حينها بقدسية هذا المكان.

- في اليوم السابق، حدثتك عن سر عظيم من أسرار السحر: رفيق الروح. ويمكن أن تُلخص حياة الإنسان على سطح الأرض في البحث عن رفيق الروح؛ فقد يدعي المرء أنه يسعى وراء الحكمة، أو المال، أو السلطة، ولكن الحقيقة، أنه مهما حقق من آمال، فلن يكتمل شعوره بالرضا عن الذات، إلا إذا وجد رفيق روحه.

وعندها، لاحظت بريدا أن الرياح قد اكتست بطاقة غريبة، ولبعض اللحظات، لم تستطع تفسير ذلك؛ فاغرورقت عيناها بالدموع. بينما تابعت ويكا حديثها:

- في وقت من الزمان، عندما تنفصل أرواحنا، فإن جزءًا منها يكون مسئولا عن المعرفة: وهو الرجل، ويستمر في فهم الزراعة، والطبيعة، وحركة النجوم في السماء، فالمعرفة هي القوة التي تحفظ الكون في موقعه، وتحفظ حركة النجوم في مدارها، وهنا تكمن عظمة الرجل لاستقاء المعرفة والحفاظ عليها، ولهذا السبب ظل الجنس البشري باقيًا.

أما بالنسبة للمرأة، فقد مُنحت شيء أكثر بساطة ، ولكن بدونها لا تبدو المعرفة منطقية، وهذا الشئ يسمى بالتحول، فالرجال يتركون التربة مخصبة، ونحن نبذر البذور، وتتحول التربة إلى أشجار ونباتات.

فالتربة تحتاج إلى بذور، والبذور بدورها تحتاج إلى التربة، ولا معنى لأحدهما دون الآخر، وينطبق الأمر على البشر، عندما تتحد معرفة

الذكور مع تحول الإناث، ينشأ هذا الإتحاد السحري، ويُطلق عليه (الحكمة)، فالحكمة تعني كلًا من المعرفة والتحول.

لاحظت بريدا أن الرياح ازدادت سرعتها وقوتها، وأن صوت ويكا يقودهـا إلى طور جديد من أطوار السحر، وبدا وكأن الأرواح التي تسكن الغابة، قد عادت إلى الحياة، ومتأهبة للدخول في مغامرة مع هاتين المرأتين.

قالت ويكا:

- ارقدي.

فرقدت بريدا، وهي مسترخية تمامًا، وممدة الأرجل، وفوقها بدت السماء صافية، خالية من السحب، أو الغيوم، وكانت شديدة الزرقة.

- اذهبي، وابحثي عن موهبتك الخاصة؛ فأنا لا أستطيع الذهاب معك اليوم؛ فكلما فهمت نفسك أكثر، كلما فهمت العالم أكثر، فتصبحين أكثر قربًا من رفيق روحك.

جلست ويكا على الأرض بجوارها، وهى تنظر إليها بحنان، ثم مر بفكرها:

((أن بريدا تمر الآن بنفس المراحل، التي سبق ومررت بها؛ بحثًا عن معنى لكل شيء، ولديها قدرة على النظر إلى العالم، نظرة قوية يملؤها التحدي، مثل النظرة التي تحملها النساء في قديم الأزمان، اللاتي بلغن من السعادة مبلغًا كبيرًا، عندما حكمن مجتمعاتهن)).

مالت ويكا نحوها، وفكت حزام بنطالها الجينز، ثم فتحت بنطالها قليلًا، وعندها تصلبت بريدا في حركة غريزية، وتوتر جسدها، وكأنما يهم باتخاذ موقف دفاع.

فقالت ويكا بحنان وعطف:

- لا تقلقي

رفعت قميص بريدا الفوقي قليلًا، فكشفت بطنها، ثم أخرجت من جيب عباءتها بلورة شفافة، ووضعتها على بطن بريدا، فوق السُرة تمامًا.

وقالت بنبرة رقيقة حانية:

- والآن، أطلب منك أن تغلقي عينيك، وأريدك أن تتخيلي لون السماء وأنت مغلقة العينين..

ثم أخرجت من عباءتها، حجرًا كريمًا أرجواني اللون، ووضعته بين عيني بريدا المغمضتين.

- من الآن فصاعدًا، افعلي ما أطلبه منك بالضبط، ولا تقلقي من أي شيء؛ فأنت في مركز الأرض، حيث يمكنك رؤية النجوم من حولك، وبعض من الكواكب البراقة، جربي الوجود وسط هذا المكان الساحر، فشعورك بهذا المكان البديع المحيط بك، يختلف تمامًا عن شعورك حينما تنظرين إليه من خلال صورة، فاشعري بالسعادة بالتأمل في هذا الكون

وليس هناك داع للخوف أو القلق على أي شيء آخر، أمعني النظر والتركيز على سعادتك الخاصة، بدون الشعور بالذنب.

نظرت بريدا إلى السماء المليئة بالنجوم، وأدركت أنها تستطيع أن تقترب منها، وأن تخطو بداخلها، وهي تستمع إلى صوت ويكا، وقد طلبت منها أن تتخيل وجود كاتدرائية واسعة في وسط هذا الكون، وبعدها، رأت بريدا كاتدرائية قوطية، مبنية من أحجار داكنة اللون، تبدو كجزء من إحاطة الكون.

- سيري نحو الكاتدرائية، واصعدي الدرج، وادخليها.

فعلت بريدا، صعدت سلم الكاتدرائية، وقد أدركت أنها حافية القدمين على تلك الأرضية المصنوعة من حجارة باردة، وفي لحظة، شعرت بأن هناك شخصًا ما يؤنسها في رحلتها، ولكنه يحمل نفس صوت ويكا، وقد سار خلفها، ثم مر بفكرها:

((ربما تكون تلك الأشياء من نسيج خيالي)).

ولكنها تذكرت نصائح الجميع لها، بأن تلتزم ذلك الجسر بين المرئي واللا مرئي، وألا تخشى من الفشل.

أصبحت الآن على مقربة من باب الكاتدرائية، أمامه مباشرة، كان بابًا ضخمًا، مصنوعًا من الحديد، ومزينًا بصور القديسين، وكان مختلفًا، عن الباب الذي رأته في رحلتها عبر أوراق التارو.

- افتحي الباب، ثم اعبري إلى الداخل.

شعرت بريدا ببرودة المقبض المعدني في يدها، وعلى الرغم من كبر حجم الباب، فقد تمكنت من فتحه بسهولة، وعندما تقدمت بعض الخطى، وجدت نفسها داخل كنيسة كبيرة.

فقالت لها ويكا:

- لاحظي كل شيء من حولك.

وعلى الرغم من الظلام الدامس داخل تلك الكاتدرائية، إلّا أن الضوء تسلل عبر نوافذها الزجاجية المليئة بالبقع، فاستطاعت أن ترى المقاعد الخشبية، والمذابح الجانبية، والأعمدة المزخرفة، وبعض الشموع المضاءة، كانت الكنيسة خاوية، وكأنها هُجرت منذ زمن بعيد، ويظهر ذلك من الغبار الذي غطى تلك المقاعد الخشبية.

- تقدمي ناحية اليسار، فستجدين بابًا آخر، ولكن هذه المرة، سيكون صغيرًا جدًا.

سارت داخل الكاتدرائية، وأصابها الضيق؛ لسيرها حافية على أرض يكسوها الغبار، كان يقودها صوت مألوف، هو صوت ويكا، ولم تعد تستطيع السيطرة على مخيلتها لمزيد من الوقت، كانت واعية ومدركة ولكنها، لم تستطع مخالفة أو عصيان ما يُملى عليها.

فوجدت الباب الآخر.

- ادخلي منه، فهناك سلالم حلزونية ستقودك إلى الأسفل.

اضطرت إلى الانحناء لتتمكن من العبور، كان السلم مضاءً بالمشاعل المثبتة على الحائط، وكانت درجات السلم نظيفة جدًا، فيبدو أن شخصًا ما كان هناك قبل مجيئها؛ ليوقد تلك المشاعل.

- أنت هنا بحثًا عن حياتك السابقة، في قبو تلك الكاتدرائية توجد مكتبة، ستذهبين إليها الآن، وسأنتظرك في آخر درجات السلم.

استمرت في الهبوط أكثر فأكثر، وقد أصابها هذا الهبوط المتواصل بالدوار، فقد خُيّل إليها لبعض الوقت أن درجات السلم لن تنتهي، وعندما وصلت أخيرًا إلى أسفل الدرج، وجدت ويكا مرتدية عباءتها، فشعرت بالراحة، وأن الأمور ستكون أسهل الآن، شعرت بالأمان وهي مازالت تتغشاها تلك النوبة من نوبات السحر.

فتحت ويكا بابًا آخر أمام هذا الدرج.

- سأتركك هنا بمفردك، وأنتظرك بالخارج، اختاري كتابًا وسوف يريك ما تريدين معرفته.

لم تلحظ اختفاء ويكا، فقد حدقت في تلك الكتب التي كساها الغبار حتى صار جزءًا منها، وشعرت بالأسى؛ لأنها لم تقرأ أيًّا منها، فربما اشتملت الكتب على دروس مهمة، قد أصبحت طيّ النسيان، وكان من الممكن أن تستفيد من تلك المعلومات في حياتها.

نظرت إلى الكتب على الرف، وفكرت:

((كل هذه الأرواح!!، لو كانت قديمة جدًا، فينبغي أن تكون أكثر حكمة)).

وتمنّت أن تقرأ كل تلك الكتب، ولكن، ليس لديها ما يكفي من الوقت، ولابد أن تثق في حدسها، فيمكنها أن تأتي كلما أرادت ذلك، بعد أن عرفت الطريق.

ثم وقفت برهة، ولم تعرف أيّ كتاب تختار، ثم اختارت كتابًا متوسط الحجم، فأخذته وجلست على الأرض.

فانتابها شعور بالخوف؛ من ألا يحدث شيء، أو ألا تستطيع أن تقرأ منه شيئًا، ولا تستطيع أن تجد بُغيتها.

((لا بد أن أخوض المجازفة، أريد أن أشعر بالخوف من الفشل)).

هذا ما فكرت فيه، وهي تتأهب لفتح الكتاب، وما إن فتحته، ونظرت إلى صفحاته حتى شعرت بالوهن، وأصابها دوار شديد.

((سوف يُغشى عليّ)).

تلك الجملة، هي آخر ما نجح عقلها في صياغته، قبل أن تغيم الدنيا من حولها.

أفاقت والماء يقطر من وجهها، فقد راودها حلم غريب، ولا يمكن فهمه؛ رأت فيه كاتدرائيات تطير في الهواء، ومكتبات مكتظة بالكتب، بالرغم من أنها لم تذهب إلى مكتبة قط في حياتها.

- لوني، هل أنتِ بخير؟

لا، فلم تكن بخير؛ فهي لا تشعر بقدمها اليمنى، و تعرف أن هذه علامة سيئة، ولم تشعر برغبة في التحدث أيضًا؛ لأنها أرادت ألَا تنسى هذا الحلم.

- استيقظي يا لوني.

لابد أن الحمى أصابتها؛ فهي تهذي، ويبدو أن ما رأته في هذيانها، كان أقرب إلى الحقيقة، تمنّت أن يتوقف هذا الشخص الذي يناديها عن الكلام والنداء؛ لأن الحلم الآن يتسلل منها ويختفي قبل أن تدرك معناه.

كانت السماء ملبدة بالغيوم، ودنت السحب من الأرض، حتى كادت تلمس أبراج القلعة، فرقدت وهي تنظر إلى السحب، ولحسن حظها، لم تستطع رؤية النجوم؛ فقد قال الكهنة: "أن النجوم لا تبشر بخير".

وتوقفت الأمطار قبل أن تفتح عينيها، فسعدت لوني عندما رأت المطر؛ لأن المطر سيملأ صهاريج القلعة بالمياه. وقد بدلت نظرها بتثاقل وتباطؤ من السحب، إلى برج الكنيسة، إلى المشاعل التي تُضرم في الهواء، والكتل البشرية التي تتكدس من مكان إلى آخر.

ثم نادت بمنتهى الرقة والنعومة:

- تاليو.

فطوقها تاليو بذراعيه، وشعرت ببرودة درعه عندما ضمها إلى صدره، وتنسمت رائحة شعره المليئة بالدخان.

- كم مضى من الوقت؟ وفي أي الأيام نحن؟

فقال تالبو:

- لقد نمت لثلاث ليال.

فنظرت إليه، وقد شعرت بالأسى من أجله؛ فقد بدا أكثر نحافة، ووجهه يغطيه الدخان، وبدا جسده كله متسخًا، فليس هذا هو تالبو الذي وقعت في حبه.

- أنا ظمأى يا تالبو.

- لا يوجد ماء، فالفرنسيون اكتشفوا الممرّ السري.

سمعت ثانيةً ذلك الصوت الذي لا يصمت في رأسها، لقد كرهت تلك الأصوات التي لا تهدأ.

كان زوجها تالبو محاربًا مأجورًا، يمضي معظم الوقت من العام في الحروب، وكان ينتابها الخوف؛ من أن تنقل إليها تلك الأصوات خبر وفاة زوجها في إحدى المعارك، وقد وجدت وسيلة تسكت بها تلك الأصوات، وهي أن تصب تركيزها على شجرة بالغة القدم، فتصمت تلك الأصوات تمامًا، و قد عادت الآن تلك الأصوات بقوة، على الرغم مما يصيبها من وهن شديد.

تقول الأصوات:

- سوف تموتين، وسوف ينجو ويحيا هو.

فقالت مسرعة لتالبو:

- ولكن السماء قد أمطرت يا تالبو، وأنا أحتاج إلى الماء.

- إن المطر لم ينزل بكمية كافية، لقد كانت بعض القطرات.

نظرت لوني ثانية إلى السماء، متوسلة، ضارعة، ثم نظرت إلى السحب، تلك السحب الضعيفة، التي لا تستطيع فعل شيء، غير أنها

تحجب أشعة الشمس؛ لتجعل الشتاء أكثر برودة، وتجعل القلعة أكثر ظلمة وكآبة، ربما كان الفرنسيون الكاثوليك على صواب، ربما كانت عقيدتهم هي الصواب، ولهذا كان الله في عونهم.

وفجأة، أتى إليهم بعض المحاربين المأجورين، وأضرموا النيران من حولهم في كل مكان، وعندها شعرت لوني كما لو كانت في الجحيم.

ثم قال أحدهم مخاطبًا تالبو:

- إن القساوسة يجمعون الناس جميعًا في مكان واحد يا سيدي.

فقال الآخر:

- لقد جئنا إلى هنا لنحارب، لا لأن نموت.

فأجابهم تالبو:

- لقد قدّم الفرنسيون إلينا شروطا للاستسلام، وهم يقولون أن الذين سيعودون إلى الكاثوليكية، لن يُصابوا بسوء.

فهمست لها تلك الأصوات:

- إن الصالحين لن يقبلوا بهذا الشرط.

إنها تعلم ذلك تمامًا، وتعرف الصالحين جيدًا، فهم السبب وراء وجودها هنا بدلًا من بيتها، حيث تنتظر مجيء تالبو من المعارك، فالصالحون هم الذين حوصروا في تلك القلعة لأربعة أشهر، وأثناء الحصار، استخدمت نساء القرية نفقًا سريًا يربط بين القلعة والقرية؛ لتزويدهم بالطعام والمؤن، وفي الوقت نفسه، يحظين برؤية أزواجهن. واشتعلت نيران الحرب؛ بسببهن، وتم اكتشاف ذلك الممر السري.

وهكذا، فلن تستطيع لوني، والنساء الأخريات مغادرة القلعة.

حاولت أن تقف، ولم تعد تشعر بأيّ ألم في قدميها، فأخبرتها الأصوات أن هذه علامة سيئة ونذير شؤم.

قال جندي آخر :

- لا علاقة لنا بإلاههم، فلن نموت في سبيل ذلك.

ثم بدأت الأجراس تدق في تلك القلعة، وقام تالبو هو الآخر.

ثم قالت لوني لتالبو، بلهجة متوسلة ضارعة:

- رجاءً، خذني معك، لا تتركني هنا وحدي.

تأثر تالبو بكلامها، فنظر إلى رفقائه، ثم أعاد النظر إلى المرأة التي ترتجف أمامه، وللحظة... شعر بالحيرة، ماذا عليه أن يفعل، فأصدقاؤه المقاتلون معتادون على الحروب، وهم يعلمون تمامًا، أن المقاتلين الذين يقعون في الحب، غالبًا ما يختبئون في المعارك والحروب.

- رجاءً يا تالبو، خذني معك، فسوف أموت.

رمقه أحد الجنود بنظرة، تحمل الكثير من المعاني. ثم قال له:

- لا تتركها هنا وحيدة؛ فربما يقذف الفرنسيون النيران مرة أخرى.

وعندها، أومأ تالبو برأسه إيجابًا، متظاهرًا بموافقته على هذا الحديث، لكنه قد علم أنه تم الإعلان عن هدنة للتفاوض، وفهم هذا الجندي ما يدور بذهن تالبو، فلابد أن يكون واقعًا هو الآخر في الحب.

ثم قالت الأصوات ثانية :

- هو يعلم أنك ستموتين.

ضم تالبو محبوبته في حنان، وجذبها إلى أعلى برفق، فأوقفها على قدميها، رفضت لوني أن تنصت لتلك الأصوات التي تصرخ في رأسها، فصمتت تلك الأصوات؛ عندما تذكرت لوني يومًا، كانت تسير فيه بجانب حبيبها تالبو في حقل للقمح، وشعرت بالعطش، فذهبا معًا، وشربا ماءً عذبًا يتدفق من مجرى الجبل.

تجمع الكثير من الرجال، والنساء، والأطفال، حول صخرة كبيرة كونت جزءًا من الحائط الغربي لقلعة مونسيجر، وهم في صمت تام، ولكن لوني علمت أن هذا الوجوم، والصمت، لم يكن سببه الاحترام الذي يكنه الناس للقسيسين والرهبان؛ بل سببه الخوف من المجهول.

وصل القسيسون، وقد ارتدى كل منهم عباءة سوداء مزينة بصليب كبير أصفر اللون، وجلسوا على الصخرة، وعلى درجات السلم، وعلى الأرض في أسفل البرج، وكان آخر من جاء، رجل أشيب الشعر، تسلق إلى أعلى جانب من الجدار، وكانت النيران تضفي بعض الضوء على هيئته، والرياح تعبث بعباءته السوداء.

انحنى الحاضرون جميعهم، وانعقدت أياديهم للدعاء والصلاة، ثم ضربوا رؤوسهم على الأرض ثلاث مرات، وقد ظل تالبو ورفقاؤه واقفين مكانهم؛ فقد تم استئجارهم من أجل الحرب فقط.

قال الكاهن:

- لقد استسلمنا، وأنتم الآن أحرار.

فانفرجت شفاه جميع الحاضرين، وانطلقت منها تنهيدة راحة عظيمة، أودعوا فيها كل ما مر بهم من خوف ورعب.

- الأرواح التي اتبعت الإله الآخر ستبقى في مملكة الحياة الدنيا، أما الأرواح التي آمنت بالله، فستعود إلى رحمته اللانهائية، وسوف تستمر الحرب، ولكنها ليست حربًا أبدية؛ لأن الإله الآخر سوف يُهزم، ولن يتم القضاء عليه، بل، سيخلد في الجحيم، مع الأرواح التي قام بإغوائها.

حدق الجميع في الرجل الذي يعتلي الجدار، إنهم ليسوا متأكدين تمامًا الآن أنهم قد أرادوا الهروب، وهكذا، سينالهم العذاب الأليم.

- فكنيسة الكاثار هي الكنيسة الصحيحة، وعقيدتنا هي العقيدة الصحيحة. ثم استطرد هذا القس قائلًا:

- نشكر السيد المسيح، والروح القدس، فلقد ارتبطنا برباط مقدس مع الله من خلالهما، فلا نحتاج إلى التجسد، ولا نحتاج إلى الرجوع إلى مملكة الإله الآخر.

لاحظت لوني، أنه قد تقدم إلى الأمام ثلاثة من الكهنة، يحملون أناجيل.

- الآن... سوف نقوم بتعميد كل من أرادوا الموت معنا، النيران مضرمة هنا في الأسفل، ستكون ميتة بشعة، ومؤلمة لأقصى درجة، ميتة بطيئة، والألم الذي ستشعرون به، وألسنة النار تلتهم أجسادكم، لن يضاهيه أي ألم شعرتم به من قبل.

وعلى كل حال، لن تنالوا جميعكم هذا الشرف، فقط الكاثار الحقيقيون، أما الآخرون، فسوف يُحكم عليهم بالحياة.

قامت امرأتان على استحياء، حتى وصلتا إلى الكهنة الذين يحملون الأناجيل، ولحق بهما فتى صغير حرر يده من ذراع والدته التي كانت تمسك به.

ثم اقترب أربعة جنود من تالبو.

- نريد أن نحظى بهذا السر المقدس يا سيدي، نريد أن يتم تعميدنا.

قالت الأصوات:

- هكذا تبقى وتحيا المعتقدات؛ لأن الناس مستعدون للتضحية بحياتهم في سبيلها.

انتظرت لوني حتى تسمع قرار تالبو، لقد حارب هؤلاء الجنود طيلة حياتهم من أجل المال، حتى قابلوا هؤلاء الناس، المستعدين للقتال، فقط؛ من أجل ما يعتبرونه صحيحًا.

وأخيرًا، أومأ تالبو لهم بالإيجاب، حتى وإن كان ذلك يعني خسارة

البعض من أفضل رجاله.

قالت لوني:

- دعنا نرحل بعيدًا عن تلك الجدران، فقد سمحوا بالرحيل.

- من الأفضل أن نرتاح يا لوني.

فبثت تلك الأصوات في نفسها قائلة:

((سوف تموتين))

- أريد أن أرى (البرينية)، و أن أرى الوادي مرة أخرى يا تالبو؛ فأنت تعلم أني سأموت.

نعم، إنه يعلم ذلك، فهو معتاد على المعارك، ويدرك بخبرته أن جرحها خطير، ويفضي إلى الموت، فقد ظل مفتوحًا ثلاثة أيام، يبث خلالها السمّ إلى جسدها، ولن يتبقى لها في الحياة سوى أسبوعين، أو ثلاثة على الأكثر، ما لم يندمل هذا الجرح.

كانت لوني مشرفة على الموت، فقد أعيتها تلك الحمى، ثم اختفت آثارها فجأة، فعلم تالبو أنها علامة سيئة، فآلام قدميها، ومعاناتها من الحمى، كانا دليلًا على مقاومة جسدها للمرض، وبعد أن توقفت المقاومة، أصبح الأمر برّمته مسألة وقت.

فقالت لها الأصوات:

((أنت لست خائفة)).

لم تكن لوني خائفة؛ فقد علمت أن الموت ما هو إلا بداية لحياة جديدة، وفي هذه الأثناء شعرت لوني أن الأصوات هي أقرب رفقائها، فكل صوت له وجه وجسد، لم تكن مرئية لأحد غيرها، كانوا أشخاصًا من عالم آخر؛ فقد تكلموا إليها ولم يشعروها أبدًا بالوحدة؛ فقد قضت طفولة ممتعة وهي تلعب مع الأطفال الآخرين، وكانت تستخدم أقرانها غير المرئيين لتحريك الأشياء، ولعمل أصوات غريبة تبث

الرعب في نفوس أصدقائها من الأطفال، وكانت أمها سعيدة بأنهم يعيشون في قرية تتبع عقيدة الكاثار، حيث كانت تقول دائمًا:

((لو كان الكاثوليك هنا، لألقوا بك في النيران وأنت حية، ولكن قريتنا لا تفعل ذلك، فهم يؤمنون أن الخير هو الخير، والشر هو الشر، وأنه لا يمكن لأي قوي في العالم أن تغير ذلك)).

لقد وصل الفرنسيون، وهم يعتقدون أنه لم يبق أحد من هؤلاء الكاثار في هذه القرية، ومنذ أن بلغت الثامنة من عمرها، لم تعرف شيئًا سوى الحرب في حياتها.

فقد جلبت لها الحرب شيئًا جيدًا: زوجها، الذي أستأجره الكهنة الكاثار، الذين لم يسبق لهم حمل السلاح، ولكنها جلبت لها شيئًا آخر سيئًا، وهو الخوف من أن تُحرق وهي حية؛ لأن الكاثوليك كانوا يقتربون من القرية، وبدأت تخاف من أصدقائها غير المرئيين؛ الذين اختفوا من حياتها تدريجيًّا، برغم استمرار أصواتهم، وإخبارهم إياها بما سيحدث من الأمور، وما ينبغي عليها فعله، ولكنها لم ترد صداقتهم تلك، ثم علمها أحد هذه الأصوات، خدعة النظر إلى الشجرة العتيقة، فلم تعد تسمع تلك الأصوات منذ الحملة الأخيرة التي شنها الكاثوليك عليهم، وبعدها استمر الكاثوليك في الانتصار، معركة تلو الأخرى.

واليوم، هي لا تقوى على التفكير في الشجرة، فعادت إليها الأصوات، ولم تمانع بوجودهم معها، فهي تحتاج إليهم الآن أكثر من أي وقت مضى؛ فمن الممكن أن يساعدوها في رؤية طريقها إلى الموت.

قالت لوني:

- تالبو، لا تقلق عليّ؛ فأنا لا أخشى الموت.

وصلا إلى قمة الجدار، وبدأت رياح عاتية تعصف بقوة، فشد تالبو عباءته بإحكام؛ ليشعر بالدفء، ولكن لوني لم تعد تشعر بالبرد على

الإطلاق، وقد استطاعت أن ترى الأضواء تنبعث من مدينة في الأفق، وأضواء المخيم أسفل الجبل، حيث كانت المشاعل مضاءة على امتداد الوادي؛ لأن الفرنسيين ينتظرون القرار الأخير.

وسمعت أصوات موسيقى، تنبعث من أسفل الجبل.

قال تالبو:

- إنهم الجنود، فهم يعرفون أنهم من الممكن أن يموتوا في أي لحظة؛ ولهذا لا تمثل لهم الحياة سوى احتفالًا وقتيًّا.

شعرت لوني بالغضب من تلك الحياة؛ فقد أخبرتها الأصوات، أن تالبو سوف يلتقي بامرأة أخرى، وينجب منها أطفالًا، وسيصبح ثريًّا من جراء الغنائم التي يكتسبها من البلدان.

((ولكنه لن يحب أي امرأة أخرى، مثلما أحبك؛ لأنك جزء منه)).

هذا ما باحت به الأصوات إلى لوني.

بقيا - لوني وتالبو- وقد التف ذراع كل منهما بجسد الآخر، ينظران إلى المشاهد الخلابة، ويستمعان إلى تلك الأغاني.

- نحن خالدون يا تالبو، هذا ما اعتادت الأصوات أن تقوله لي، منذ أن كانت تظهر لي في صورة أشخاص.

وقد عرف تالبو عن موهبة زوجته، ولكنها لم تتكلم عن تلك الموهبة منذ فترة بعيدة؛ ربما كان ذلك من تأثير الحمى.

- ولكن، ليس هناك حياة تشبه الأخرى؛ فربما لن نلتقي ثانية، لذا أريد أن تعلم مقدار حبي لك، فلقد أمضيت حياتي كلها في حبك، لقد أحببتك، حتى قبل أن أراك، فأنت جزء مني.

سوف أموت، وحيث أن الغد يوم مثل غيره؛ فإني أفضل الموت مع الكهنة، وعلى الرغم من أني لم أفهم أفكارهم عن العالم قط، ولكن أعتقد أنهم يفهمونني، وأريد أن أكون بصحبتهم في الحياة

الأخرى، فربما أكون مرشدًا جيدًا؛ لأنه قد سبق لي زيارة تلك العوالم من قبل.

ثم شردت بفكرها، وأخذت تنسج في مخيلتها تلك الأفكار:

((يا للسخرية!؛ فقد كنت خائفة من تلك الأصوات التي تطاردني؛ لأني ظننت أنها ستقذف بي إلى الجحيم، والآن ها هي النار تنتظرني)).

فنظر تالبو إلى زوجته، بنظرة مليئة بالألم والحسرة؛ فالحياة تغيب عن عينيها تدريجيًا، ولكن مازال لديها تلك الملامح الساحرة التي أغرقته في حبها، لم يسبق له أن أخبرها عن النساء اللاتي قد استحوذ عليهن كجزء من الغنائم، والنساء اللاتي قابلهن أثناء رحلاته حول العالم، واللاتي ما زلن ينتظرنه، ويتوقعن رجوعه؛ لأنه على يقين بأنها تعلم بذلك، وتسامحه على ما اقترف من آثام، فهو الحب الأعظم في حياتها، ودائمًا ما يكون الحب الأعظم فوق كل شيء، وفوق كل الأمور الدنيوية.

ولكن، هناك شيء آخر لم يسبق له البوح به، وقد لا تعلمه: وهو أن كل ما تحمله في قلبها من حب وحنان، قد ساعده في فهم و اكتشاف المعنى الحقيقي للحياة، وأن فيض حبها قد قاده إلى خوض المعارك في كل بقعة من الأرض؛ لأنه أراد أن يمتلك مالًا وفيرًا؛ ليشتري قطعة أرض ويعيش مع زوجته في سكينة وسلام لباقي عمره، فقد فعل كل ما فعل؛ من أجل هذا الجسد الهزيل، الذي تغيب عنه الحياة.

ثم أخذته من أفكاره فجأة، وهي تقول:

- اذهب يا تالبو، وأحضر القسيسين، أريد أن يتم تعميدي الآن.

تردد تالبو للحظة، فالمحاربون هم وحدهم الذين يختارون موتتهم، ولكن تلك المرأة وهبت حياتها للحب والعطاء، فربما بالنسبة لها، كان الحب لونًا غريبًا من ألوان الحرب.

فوقف، ونزل على الدرجات الموجودة على هذا الجدار، وحاولت لوني

أن تركز على أنغام الموسيقى التي تنبعث من مخيمات الجنود، والتي تجعل الموت أسهل وأيسر، بينما استمرت الأصوات في الحديث، قائلة:

((تستطيع المرأة في حياتها، أن تستفيد من الخواتم الأربعة للوحي ولكنك استخدمت واحدًا فقط، وقد اخترت الخاتم الخطأ)).

فنظرت لوني إلى أصابعها، كانت ضعيفة، و بها تشققات، ولم تكن نظيفة، وخالية من الخواتم، فضحكت الأصوات.

((أنت تعلمين ما تعنيه الخواتم: العذراء، القديس، الشهيد، الساحرة))

وقد عرفت لوني بقلبها، ما تقوله تلك الأصوات، ولكنها لم تستطع تذكر ما تعنيه؛ فقد سمعت عن ذلك منذ زمن بعيد، في العصور التي كانت ترتدي فيه الناس ملابس مختلفة، وتنظر إلى العالم بطريقة مختلفة، وكان لها اسم آخر.

فقالت الأصوات:

((تلك هي الطرق الأربعة، التي يستطيع بها الفرد الاتحاد والاجتماع مع تلك الحياة في هذا الكون))ثم استطردت الأصوات قائلة:

((فالعذراء، لديها قوة الرجل والمرأة معًا؛ ولهذا حُكم عليها بالعُزلة، ولكن للعزلة أسرار وأنوار، وهذا هو الثمن الذي دفعته العذراء، فلم تكن في حاجة إلى أحد، بل وزعت طاقة الحب التي لديها على الآخرين، فقد اكتشفت حكمة العالم عن طريق العزلة والوحدة)).

مازالت لوني تنظر إلى المخيمات في الأسفل، فهي تعرف ذلك جيدًا.

ثم أردفت الأصوات:

((والشهيد، لديه القوة، بأن لا يمسه ألم ولا عذاب؛ فلقد استسلم وذاق المعاناة، فاكتشف حكمة العالم عن طريق التضحية)).

فنظرت لوني ثانية إلى يديها، وقد برق أحد الخواتم بشكل غير

مرئي، فهاهو خاتم الشهادة يحيط بإصبعها.

((كان بإمكانك اختيار الوحي عن طريق القديس، مع أنه ليس الخاتم الملائم لك)). ثم أردفت الأصوات قائلة:

((فلدى القديس الشجاعة، التي يتحلى بها أولئك الذين يمثل لهم العطاء الطريقة الوحيدة للأخذ؛ فهم بئر لا قرار لها، يستطيع كل شخص أن يدلي بدلوه ليشرب منه، وإذا ما جفت تلك البئر من الماء، فسوف يقدم القديسون دماءهم، لئلا يظمأ أحد، و بالاستسلام، يكتشف القديس حكمة العالم)).

صمتت الأصوات، وسمعت لوني وقع أقدام تالبو على الدرج، إنها تعلم أي من تلك الخواتم سوف ترتديه في هذه الحياة؛ لأنه هو نفسه الذي ارتدته في كل حيواتها السابقة، عندما كانت لها أسماء مختلفة، وتتكلم بلغات مختلفة، وبهذا الخاتم، سوف تكتشف حكمة العالم عن طريق السعادة، ولكنها لا تريد التفكير في ذلك الآن؛ فقد أصبح خاتم الشهادة يبرق في يديها ومرئيًّا للجميع.

اقترب منها تالبو، فرفعت نظرها إليه، وشعرت أن الليل أصبح براقًا، لدرجة توحي بأن هناك شمسًا أشرقت في هذه الليلة.

فقالت الأصوات: ((استيقظي)).

ولكنها كانت أصواتًا مختلفة، لم تعهدها من قبل، شعرت بشخص يهز يدها، يمينًا ويسارًا؛ ليوقظها من نومها.

((بريدا، هيا يا بريدا، استيقظي)).

فتحت عينيها، ثم أغلقتهما على الفور؛ لأن النور الساطع في السماء كان قويًا جدًا، يا لغرابة الموت !!!.

قالت لها ويكا:

- افتحي عينيك.

ولكنها، ترغب في العودة إلى القلعة مرة ثانية؛ حيث يوجد الرجل الذي أخبته بجنون، والذي انطلق بحثًا عن الكاهن، فلا تستطيع الهرب؛ لقد كان وحيدًا، وهو يحتاجها الآن.

- أخبريني عن كنه موهبتك.

ولم تمهلها ويكا الوقت لتفكر، فهي تعلم يقينًا، أنها قد مرت بشيء لم تعهده من قبل، شيء يفوق قوة التجربة التي حدثت لها مع ورق التارو، وعلى الرغم من ذلك، لم تمهلها لكي تفكر، فلم تحترم ويكا مشاعرها، فكل ما أرادته هو اكتشاف موهبتها.

وكررت ويكا سؤالها، ولكن، هذه المرة، بصرامة وإصرار:

- أخبريني عن موهبتك.

تنهدت بريدا تنهيدة عميقة، تحمل ضيقًا يفور بقلبها، وحاولت عبثًا

أن تكظم غيظها، وتسيطر على غضبها، ولكن دون جدوى، فسوف تستمر تلك المرأة في الضغط عليها، حتى تخبرها ما تريد.

- لقد كنت امرأة واقعة في حب...

فسارعت ويكا إلى وضع يدها على فم بريدا؛ لإسكاتها، ثم وقفت، ورسمت بعض العلامات، والإيماءات في الهواء، و قالت:

- الرب كلمة، فيجب أن تنتبهي للكلمات التي تنطقين بها، في أي موقف، وفي أي وقت، فلكل حادث حديث.

لم تفهم بريدا لماذا تتصرف ويكا بهذه الطريقة.

- فالرب يظهر في كل شيء، و الكلمة هي أفضل الطرق لظهور الرب؛ لأن الكلمة هي: فكرة، تحولت إلى ترددات صوتية. وأنت تنشرين في هذا الهواء الذي يحيط بك، شيئًا، كان مجرد طاقة في الماضي ، فاحذري وأولي ما تقولين الكثير من الاهتمام.

وكررت ويكا كلماتها، محذرة:

- الكلمة لها تأثير أقوى من الشعائر.

لم تزل بريدا غير واعية، لما تعنيه ويكا بتلك العبارات، فالطريقة الوحيدة للتعبير عن التجربة التي مرت بها، هي الكلمات.

ثم قالت ويكا لتضفي مزيدًا من الإيضاح لعقل بريدا الحائر، بين الألغاز التي تسمعها، والتجربة التي مرت بها:

- عندما تتذكرين تلك المرأة، فأنت لم تكوني هي بذاتها، بل كنت جزءًا منها؛ فهناك آخرون يمكن أن يكون لديهم مثل تلك الذكرى.

شعرت بريدا أن جزءًا من حقها يُسلب منها إذا شاركها أحد في تلك

المرأة، لقد كانت تلك المرأة قوية جدًّا، ولا تريد بريدا أن يشاركها أحد فيها، كما لا تريد أن يشاركها أحد في تالبو أيضًا.

ثم كررت ويكا سؤالها في إصرار شديد:

- حدثيني عن موهبتك.

لن تسمح ويكا، أن تُفتن بريدا بهذه التجربة، فهذا النوع من السفر والانتقال عبر الأزمان؛ غالبًا ما يجلب الكثير من المضار.

فقالت بريدا بتوسل:

- لدي الكثير لأخبرك به، وأحتاج أن أتكلم معك؛ لأنه لن يصدقني أحد غيرك فيما أقول، فرجاءً استمعي إليّ.

و بدأت تروي لها، بدءًا من الماء الذي كان يتقاطر على وجهها، فكان لديها فرصة- ولم تشأ أن تضيعها- أن تكون مع شخص يؤمن بما وراء الطبيعة، فلن يستمع إليها أحد بنفس القدر من الاحترام؛ لأن الناس تخشى من المجهول، ومن السحر، فقد اعتادوا على منازلهم، ووظائفهم، وتطلعاتهم، و نمط حياتهم التقليدي.

فإذا سمعوا أن شخصًا ما، قام بالسفر والانتقال عبر الزمن، وأنه رأى القلاع تتحرك وتتطاير، وأوراق التارو، التي تروي الكثير من القصص. سيشعرون أن الحياة قد خانتهم، فذلك الجزء من الحياة التي يعرفونها لا يتغير، بل هو ثابت على حاله كل يوم وكل ليلة.

وإذا كان صحيحًا أن الرب كلمة، وأن الكلمات تنتشر في الهواء؛ فيجب عليها أن تسجل رحلتها عبر الزمان في هذا الأثير، حتى إذا ما كذبها أحد، أو حسبه أوهامًا من نسج خيالها، أو عندما يتقدم بها الزمن، وتشعر أن كل هذا كان ضلالات، فإن تلك الكلمات سوف يتردد صداها في الهواء، وعلى الأقل سيشهد شخص ما، مثل ويكا، أن كل ذلك قد وقع بالفعل، وأنه ليس ضلالات وأوهامًا.

ثم استرسلت بريدا في حديثها بنهم مفرط، وأخذت تصف القلعة، والكهنة بملابسهم السوداء، والوادي المملوء بالنيران، وهذا الزوج (تالبو) الذي تستطيع قراءة أفكاره دون أن يفصح عنها، حاولت ويكا أن تستمع لها بصبر، ولم تظهر أي اهتمام، حتى تحدثت بريدا عن الأصوات التي كانت تظهر في عقل لوني، فقاطعتها متسائلة:

- ما جنس هذه الأصوات؟ وهل هي لذكورٍ أم إناث؟

- لقد كانوا من كلا النوعين.

- وهل أظهروا أي مشاعر خاصة، عدوانية أو متعاطفة؟

- لا، كانوا محايدين، وكانت انفعالاتهم غير شخصية.

- هل تستطيعين استدعاء تلك الأصوات وقتما تشائين؟

- لا أدري؛ فلم يمهلني الوقت لاكتشاف هذا الأمر.

أوقفت ويكا سيل الأحاديث الذي بدأ ينهمر من بريدا قائلة:

- حسنًا، يمكننا المغادرة الآن.

قالت ذلك، وهي تنزع عنها معطفها، وتضعه في حقيبتها، فشعرت بريدا بالإحباط؛ فقد توقعت أن تسمع منها بعض عبارات الثناء، أو توضيحًا لبعض الأمور.

إن ما فعلته ويكا، يشبه عمل الطبيب، الذي يهتم بملاحظة أعراض المرض، أكثر من تفهمه لما يسببه المرض من آلام.

استغرق طريق العودة وقتًا طويلًا، وكلما أرادت بريدا أن تتحدث عن الأمر ثانية، أخرستها ويكا، باهتمام واهٍ بغلو الأسعار وازدحام الطريق في فترات الذروة، وخلافاتها مع مدير المبنى الذي تسكن به.

ولكن، عندما جلستا على المقعدين المتجاورين، في منزل ويكا،

بدت الفرصة سانحة للتحدث عن الأمر، فقالت ويكا:

- أريد أن أخبرك أمرًا: لا تعبئي بشرح مشاعرك، بل عليك أن تعيشي كل لحظة بكل ما تحمله من معانٍ، واحتفظي بما تشعرين به، واعتبريه هبة من الله، وإذا شعرتِ بأنك لا تستطعين المضي قدمًا في عالم، مجرد الحياة فيه أهم بكثير من الفهم؛ فعليك أن تتركي عالم السحر الآن، و أفضل طريقة لتدمير ذلك الجسر الذي يربط بين العالم المرئي واللامرئي، هو أن تحاولي شرح مشاعرك وعواطفك.

العواطف دائمًا ما تكون جامحة، وسبق لبريدا، أن عرفت أن العقل لا يستطيع أن يكبح جماح تلك العواطف، فعندما هجرها رفيقها، لزمت المنزل لشهور، وهي تحاول أن تتذكر عيوبه الكثيرة، وتعيد تكرارها مرة بعد مرة؛ كي لا تشعر بالأسى لفراقه، وتذكر نفسها بآلاف المساوئ في علاقتهما، علها تجد في نفسها القدرة على نسيانه، وبالرغم من كل هذا، فهي لا تزال تفكر فيه كل صباح، وتعلم أنه لو حدث أن كلمها هاتفيًّا، فإنها ستوافق، وتذهب للقائه.

وهنا، سمعت بريدا صوت نباح الكلب ينبعث من المطبخ، فعلمت بريدا أن وقت زيارتها قد انتهى، فصاحت بلهفة و رجاء:

- إننا لم نتحدث، ولدي سؤالان، أريد الإجابة عليهما.

فقامت ويكا من مجلسها، فبادرت بريدا بسؤالها:

- هل الكهنة الذين رأيتهم موجودين بالفعل، أم لا؟

فقالت لها ويكا وهي تتجه إلى رفوف الكتب:

- لقد قمنا بتجربة خارقة، وبعد أقل من ساعتين، نحاول أن نقنع أنفسنا، بأن كل هذا من نسج خيالنا.

فتذكرت بريدا، أنهم عندما كانوا يسيرون في الفلاة، قد سخرت

من البشر الذين يخافون الاقتراب من الخوارق، وشعرت بالخجل من نفسها.

عادت ويكا وهي تحمل كتابًا في يديها.

- إن الطائفة التي تؤمن بتطهير النفس والروح- وأعني الصالحين منهم- كانوا قسيسين ورهبانًا في كنيسة نشأت في جنوب فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر، لقد آمنوا بإعادة الإحياء والبعث، وآمنوا بوجود الخير المطلق، والشر المطلق، فالعالم ينقسم إلى فريقين: المصطفَين الأخيار ، والأشقياء، مما يعني، أنه لا سبيل إلى هداية أحد.

و عدم مبالاة طائفة الكاثار بالأمور الدنيوية، دفع الكثير من الملوك الإقطاعيين في منطقة لانجودوك لإتباع دينهم؛ ليتجنبوا دفع الضرائب التي فرضتها عليهم الكنيسة الكاثوليكية، وكان الكاثار متسامحين في نظرتهم لجنس الفرد، وبخاصة في نظرتهم للمرأة، ولم يتشددوا في شيء، سوى في اختيارهم لمن سينصبونه قسيسًا أو كاهنًا.

وسارت الأمور على ما يُرام، حتى بدأ الكاثار في الانتشار، وعندها ساءت الأمور؛ فقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بالتهديد، ونادت بإبادة هؤلاء الهراطقة، واعتبرتهم خارجين عن الدين المسيحيّ، وعلى مدار أربعين عامًا، خاض الكاثار والكاثوليك حربًا طاحنة، وقد نجح الكاثوليك في تدمير كل المدن التي اعتنقت الدين الجديد، ولم يبق سوى قلعة مونسيجر في البيرينيه، فاختبأ الكاثار بها، إلى أن علم الفرنسيون بأمرهم، واكتشفوا الممرّ السري الذي يتلقون الإمدادات من خلاله، وفي صباح يوم في شهر مارس عام ١٢٤٤، بعد استسلام تلك القلعة، ألقى مائتا وعشرون شخصًا أنفسهم، وهم يُغنون في أفران كبيرة مشتعلة في أسفل الجبل الذي بُنيت عليه تلك القلعة.

قالت ويكا كل ذلك دون أن تنظر إلى الكتاب، فقد كان مغلقًا في حجرها، ولم تفتحه إلا عندما أنهت قصتها بأكملها، وتصفحت

ورقات هذا الكتاب، لتبحث عن صور فوتوغرافية.

فرأت بريدا المباني المهدمة، مع البرج الذي يكاد يكون مدمرًا بأكمله، ولكن الجدران لم تُمس بسوء، رأت الساحة التي صعد عليها لوني وتالبو، تلك الصخرة التي كونت جزءًا من الجدار والبرج.

- لقد قلت أن هناك سؤالًا آخر أردت أن تسأليه...

لم يكن هناك فائدة من هذا السؤال، فلم تستطع أن تفكر بصواب، وشعرت بغرابة تفكيرها، وحاولت جاهدة أن تتذكر سؤالها.

- أريد أن أعرف لماذا تضيّعين وقتك معي، لماذا تريدين تعليمي؟

فأجابتها ويكا:

- لأن ذلك؛ ما تحتني عليه التعاليم، ففي كل تجسيد، تتغيرين قليلًا، فأنت تنتمين لنفس المجموعة التي أنتمي إليها، فنحن مسؤولون عن الحفاظ على تعاليم حكمة القمر؛ فأنت ساحرة.

لم تلقِ بريدا بالًا لما قالته ويكا، ولم يرد على ذهنها أن تتفق مع ويكا على ميعاد آخر للقاء، فكل ما أرادته في تلك اللحظة، أن تغادر هذا المكان، لتلتحم مرة أخرى بالأشخاص، والأشياء العادية، التي تسمح لها بالعودة إلى نمط الحياة المألوفة، مثل بقعة رطبة على الحائط، والسجائر الملقاة على أرضية الغرفة، وبعض الخطابات المتروكة على مقعد البواب.

ثم أصبحت مهتمة فجأة بالوقت.

((يجب أن أعمل في الغد)).

ظلت تفكر أثناء العودة، في النظام المحاسبي للشركة التي تعمل بها، وتوصلت إلى فكرة من شأنها تبسيط بعض الإجراءات المحاسبية والإدارية للشركة، وفرحت فرحًا شديدًا؛ فقد يوافق رئيسها في العمل

على تلك الفكرة، وينفذها ، ومن يدري، فربما كافأها بعلاوة.

وصلت إلى منزلها، ثم تناولت العشاء، وشاهدت التلفاز لقليل من الوقت، ثم دونت ما جال بخاطرها على قصاصة من الورق، وشعرت بالتعب، فغرقت في نومٍ عميق، فقد كان يومًا شاقًا.

فنظام محاسبات الصادرات قد لعب دورًا كبيرًا في حياتها، فهو في نهاية المطاف، ما تتقاضى أجرها بسببه.

فلا يوجد شيء آخر أهم من عملها، الذي تتكسب منه، وكل شيء آخر كان كذبة.

لمدة أسبوع كامل، عملت فيه بريدا بكفاءة، وبدون توقف، في الشركة التي تعمل بها، وقد تلقت العلاوة المستحقة من رئيسها في العمل، ولم تفوت أيًّا من دروسها، واهتمت بكل شيء، فكل ما احتاجت إليه، هو أن تتجنب التفكير، وحينما تهم بالتفكير في مقابلتها مع الساحر ، تطرح تلك الأفكار بعيدًا، وتذكر نفسها دائمًا بأن لديها اختبارا في الأسبوع المقبل، أو تذكر نفسها بملاحظة قد قالتها إحدى صديقاتها.

جاء يوم الجمعة، وقابلها رفيقها خارج الجامعة؛ للذهاب إلى السينما، وبعد ذلك، ذهبا إلى الحانة التي اعتادا الذهاب إليها، تحدثا عن الفيلم، عن زملائهم، وظائفهم المنتظرة، ثم تقابلا مع بعض الأصدقاء، وهم عائدون من الحفلة، ومن أجمل الأشياء في دُبلن، أنك تستطيع أن تجد مطعمًا مفتوحًا طوال الوقت.

في الساعة الثانية صباحًا، قررا مغادرة المكان إلى شقة بريدا، بعد أن ودعا أصدقاءهم، وحالما وصلا إلى الشقة، وضعت بريدا تسجيلًا لإيرون باترفلاي، وسكبت لكل منهما كأسًا، واستلقيا على الأريكة، وقد التف ذراع كل منهما بالآخر في صمت ووجوم ثم قالت:

- لقد كان هذا الأسبوع مشحونًا بالنسبة لي؛ فقد عملت فيه بدون توقف، وأعددت نفسي للاختبارات، وقمت بكل رحلات التسوق.

انتهى الوجه الأول من التسجيل، فقامت بريدا لتقلبه ثم أردفت:

- لقد أخذت موعدًا مع عامل الصيانة؛ ليصلح باب الخزانة بالمطبخ، وقد اضطررت للذهاب إلى البنك عدة مرات؛ لكي أجلب الأموال التي أرسلها أبي، ولأودع بعض الشيكات ثم...

وعندها لاحظت أن لورنس يحدق في وجهها.

فسألته بعنفٍ شديد:

- لماذا تحدق في هكذا؟

من يكون هذا الرجل الراقد أمامها على الأريكة، ويحدق في وجهها هكذا، وهو غير قادر على أن يتفوه بأي كلمة تثير الاهتمام، لقد كان الأمر سخيفاً، فهي لا تحتاج إليه، ولا تحتاج إلى أي شخص.

فسألته مرة ثانية وبإصرار:

- لماذا تحدق في هكذا؟

لم ينطق بشيء، فقط، قام، وذهب إليها، ثم قادها بحنان إلى الأريكة.

فردت بريدا وهي مرتبكة:

- إنك لا تستمع إلى أي شيء مما أقوله.

فطوقها لورنس بذراعيه.

ثم فكرت:

((إن العواطف جامحة، كجموح الجواد الشارد))

فقال لها لورنس بصوت حانٍ ودافئ:

- أخبريني بكل شيء، سأستمع إليك، وسأحترم أي قرار تتخذينه، حتى إذا اتخذت لك حبيبًا غيري، أو كان هذا هو لقاء الوداع بيننا، إننا بصحبة بعضنا منذ فترة كبيرة، والآن، قد لا أكون أعرفك جيدًا، أعني، قد لا أكون أعرف من أنت بالتحديد، فأنت لست الشخص الذي عرفته طوال هذه الفترة.

عندها، شعرت بريدا بحاجة ملحة في البكاء، ولكنها قد ذرفت الكثير من الدمع على الليالي المظلمة، وعلى أوراق التارو الناطقة، وعلى الغابات الغناء، فالعواطف جامحة بالفعل، وكل ما تستطيع فعله الآن، هو أن تطلق العنان لتلك العواطف.

جلست أمامه؛ لتروي له ما حدث، فأخبرته بتفاصيل ما جرى، منذ لقائها مع الساحر في الغابة، وقد أصغى إليها لورنس في صمتٍ تام، وعندما أخبرته بصورة المونسيجر، فسألها عما إذا كانت قد درست شيئًا عن الكاثار في دروسها بالجامعة.

فأجابته:

- إنني على يقين تام، بأنك لا تصدق كلمة واحدة مما أقول، وتعتقد أن هذا من وحي خيالي أو عقلي الباطن، وأنني فقط أتذكر أشياءً أعلمها بالفعل، ولكن، لا يا لورنس، فلم يسبق لي أن سمعت عن طائفة الكاثار من قبل، ولكنك أنت من يملك تفسيرًا لكل شيء.

وقف لورنس، وأحضر قصاصة من الورق، وصنع ثقبين يفصل بينهما ثمان بوصات، ثم وضع قطعة الورق على الطاولة بطريقة رأسية.

ثم ذهب إلى المطبخ، وعاد حاملًا قطعة من الفلين، وجلس على رأس الطاولة. ثم قال لها:

- تعال إلى هنا.

فقامت بريدا من مجلسها، وهي تحاول أن تخفي يديها المرتعشتين.

- دعينا نتخيل أن قطعة الفلين هذه هي الإلكترونات، وهي أحد الجزيئات الصغيرة التي تتكون منها الذرة. هل تفهمين؟

فأومأت برأسها.

- حسنًا، اسمعيني جيدًا، إذا كان لدي الآن جهاز ما ذو تقنية عالية يسمح لي بأن أقذف الإلكترون في اتجاه قطعة الورق، فسوف يمر الإلكترون عبر الثقبين في تلك الورقة، دون أن ينقسم إلى قسمين.

فأجابته بدهشة شديدة:

- لا أصدق ذلك، هذا مستحيل.

- ربما، لا يمكنك تصديق ذلك، ولكنه أمر صحيح، ويعرفه كل العلماء، ولكن لا يستطيعون شرحه، وبالمثل، فأنا لا أصدق أي شيء مما أخبرتني به، ولكن، أعلم تمامًا أنه صحيح.

ما زالت يداها ترتعشان، ولكنها لم تجهش في البكاء، وقد لاحظت أن آثار الكحول قد تلاشت، وأن ذهنها يقظ تمامًا فسألته:

- ولكن، ما الذي يفعله العلماء عندما تواجههم هذه الألغاز؟

- يدخلون في الليلة المظلمة، ويستخدمون المصطلح الذي علمتني إياه، فالغموض لا يذهب هباءً، ولهذا؛ نتعلم كيف نتقبل الأمر، ونتعايش معه، وأعتقد أن هذا الأمر يحدث في الكثير من مواقف الحياة.

فالأم عندما تلد مولودًا، فإنها تشعر بالليلة المظلمة، والمهاجر الذي خرج سعيًا وراء العمل أو المال، كلًا منهما يعرف أنه سيُكافأ على صنيعه وأنه سيأتي يومٌ ما، يفهمون فيه ما حدث على طريق حياتهم، فليس التفسير هو ما دفعنا لهذا العمل، وإنما، رغبتنا في الاستمرار.

شعرت بريدا بإرهاق شديد، و بحاجتها للنوم؛ فالنوم بالنسبة لها كان المملكة السحرية الوحيدة، التي تستطيع الدخول فيها بحرية.

وفي تلك الليلة، راودها حلم، رأت فيه أنهارًا تجري، وبحارًا تسير وجزرًا مورقة، فاستيقظت مبكرًا وهي تشعر بالسعادة؛ لأن لورنس كان يسير بجانبها في الحلم، ثم اتجهت نحو نافذة غرفتها؛ لترى مدينة دبلن النائمة، وقد غرقت في سباتٍ عميق.

فتذكرت والدها، الذي اعتاد أن يفعل معها نفس الشيء، عندما كانت تفزع من نومها، واسترجعت بعض المشاهد من طفولتها.

فعندما كانت في الخامسة من عمرها، وهي مع والدها على الشاطئ، طلب منها أن تلمس الماء؛ لتعرف درجة حرارته، فغمست إصبع قدمها في الماء وهرعت إليه لتخبره بالنتيجة:

- لقد غاصت قدمي في المياه، ووجدتها باردة.

فحملها والدها، وألقى بها في الماء، فهالتها الصدمة، ثم لم تلبث أن ضحكت بصوت عالٍ.

ثم سألها والدها مداعبًا، كيف حال الماء ؟

فأجابته:

- إنها ممتعة!

- من الآن فصاعدًا، إذا أردت اكتشاف أمر ما، فعليك الخوض فيه مباشرة، واكتشافه بنفسك.

ولكنها سرعان ما نسيت الدرس، فبالرغم من صغر سنها، فقد مرت بالكثير من الأحداث المثيرة، ولكنها لم تعد تحمل تلك الإثارة لاعتيادها عليها، ولم تشعر بالخوف من الصعاب، ولكن ما كان يخيفها، هو أن يتم إجبارها على اختيار طريق معين لتسلكه...

اختيارها لطريق، يعنى أن تفقد بعضًا ممن حولها، فلديها حياة كاملة لتعيشها، كانت تفكر دائمًا، أنها في المستقبل سوف تندم على اختياراتها الآن، ثم فكرت:

«إنني أخشى من إلزام نفسي»

لأنها دائمًا، ما تسلك كل السبل، والطرق المتاحة، وينتهي بها الأمر إلى عدم اتباع أي شيء.

وحتى في أهم الأمور في حياتها، وهو الحب؛ فشلت بريدا في إلزام نفسها بأي شيء، فبعد أول تجربة فاشلة لها في الحب، رفضت أن تجود بكل مشاعرها، وأن تسلم نفسها كليًّا إلى أي شخص آخر، لقد كانت تخشى من الألم والخسارة، فكانت الطريقة الوحيدة لتجنبها تلك الآلام؛ هي ألا تسير على هذا الطريق مطلقًا.

فلكي لا تشعر بالمعاناة؛ عليك أن تدير ظهرك للحب، مثلما تغمض

عينيك؛ حتى لا ترى الأشياء السيئة في هذه الحياة.

لقد تذكرت ويكا، عندما أخبرتها أن بعض الأشخاص يسلكون بعض الدروب، ليثبتوا فقط أنها ليست الاختيار الصحيح. ولكن الأسوأ من ذلك، أن تختار طريقًا، ثم تقضي بقية حياتك تتساءل إذا ما كنت قد قمت بالاختيار الصحيح؟ فلا يستطيع أحد أن يقوم باختيار ما، أو أخذ قرار ما، دون الشعور بالخوف.

هذا هو قانون الحياة، وهذه هي تعاليم الليلة المظلمة، ولا يمكن لأي فرد، أن يفر من الليلة المظلمة، بدون أن يحظى بكنوزها الخفية.

من المحتمل، أن يكون لورنس على صواب، وفي النهاية سوف يسخرون من مخاوفهم، مثلما فعلت من قبل، مع الحيات والعقارب التي تخيلت أنها تعيش في الغابة، وهي في غمرة يأسها، حيث نسيت ملاكها الحارس الذي كان يطرد كل الحيات والثعابين.

نظرت إلى لورنس، نظرة أودعت فيها الكثير من الحنان، ثم قالت بصوتٍ خفيض مليء بالعذوبة والرقة:

- أنا سعيدة بوجودك معي يا لورنس.

وقد عمدت إلى خفض صوتها، حتى لا يسمعها.

ثم عادت إلى مهدها، وسرعان ما غرقت في نومٍ عميق.

سارت بريدا لبعض الوقت، وسط أشجار الغابة، قبل أن تجد الساحر، حيث كان جالسًا على صخرة، بالقرب من قمة الجبل، يتأمل الوادي والجبال، كان مشهدًا مليئًا بالجمال حقًا، وتذكرت بريدا أن الأرواح تفضل تلك الأماكن.

فسألته وهي تقترب منه:

- هل الرب هو إله الجمال فحسب؟ وإذا كان كذلك، فماذا عن هؤلاء الأشخاص ذوي الوجوه القبيحة؟ وماذا عن باقي الأماكن الموحشة والخالية من الجمال في هذا العالم؟

لم يجب عليها الساحر، فشعرت بالخجل .

- من المحتمل أنك لا تتذكرني، لقد سبق لي أن كنت هنا منذ شهرين، وقضيت الليلة بأكملها في الغابة، فقطعت على نفسي عهدًا بألا أعود إلى هنا، إلا عندما أكتشف طريقي، وقد قابلت امرأة تدعى ويكا.

فتوتر الساحر وتصلبت عروقه للحظة، ثم أدرك أنها لم تلاحظ عليه ما جرى، فارتاح لذلك، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة.

ثم تابعت الفتاة:

- لقد أخبرتني ويكا بأنني ساحرة .

- ألا تثقين بها؟

كان أول سؤال يطرحه الساحر على الفتاة منذ وصولها، فسعدت بذلك؛ فقد علمت أنه يصغي إليها، بعد أن شكت في ذلك.

- نعم، أثق بها، وأثق في حكمة القمر، ولكني أعلم أن حكمة الشمس قد ساعدتني كثيرًا كذلك؛ فقد أجبرتني على فهم الكثير عن الليلة المظلمة، بالخوض فيها، ولهذا عُدت إلى هنا.

فقال الساحر:

- فلتجلسي إذن، ولتستمتعي بغروب الشمس.

فأجابته بريدا:

- ولكن، لن أمضي ليلة أخرى في الغابة بمفردي، فالمرة الأخيرة التي كنت فيها هنا...

فقاطعها الساحر في حدة:

- لا تقولي هذا، فالرب كلمة .

فاندهشت بريدا؛ فقد سبق لويكا أن قالت نفس العبارة.

- هل قلت شيئًا خاطئًا؟

- إذا قلتي المرة الأخيرة؛ قد يتحقق ذلك، وتصبح تلك هي المرة الأخيرة ولكن ما تعنيه هو ((أقرب مرة كنت فيها هنا)).

تملكها الكثير من القلق، فمن الآن وصاعدًا، يجب أن تتوخى الحذر في حديثها، وأن تنتقي كلامها؛ فقررت أن تجلس في هدوء، وتفعل ما قاله الساحر لها، بأن تشاهد الغروب.

ولكن صمتها كاد أن يدفعها إلى الجنون، فلن يحل الظلام إلا بعد ما يقرب من ساعة من الآن، وهي لديها الكثير لتتحدث وتسأل عنه، بينما هي تشاهد الشمس في صمت تام، راودها شعور بأنها تضيع وقتًا ثمينًا؛ يمكن أن تستغله في عمل شيء أو مقابلة شخص ما، فيجب أن تقضي وقتها بطريقة أفضل؛ لأنه مازال أمامها الكثير لتتعلمه، وبينما تغرق الشمس في أفق السماء، وتتلون السحب بمزيج من اللونين الذهبي، والوردي، وكأنها لوحة فنية بارعة الجمال، راودها شعور بأن ما كانت تصارع من أجله في هذه الحياة، كان هو بالضبط ما تفعله الآن، أن تكون لها القدرة على الجلوس وهي تتأمل غروب الشمس.

فسألها الساحر:

- هل تعرفين كيف تتلين الصلوات؟

بالطبع كانت تعرف، فكل إنسان يعرف كيف يصلي.

- بمجرد أن تلمس الشمس الأفق، ابدئي في تلاوة صلواتك؛ فتعاليم حكمة الشمس تخبرنا، أنه من خلال الصلوات يمكننا التواصل مع الرب، وفي الدعاء، عندما تتوافق الكلمات مع الروح، وتجد لها مكانًا فيها، فإنها تكون أقوى بكثير من أي طقوس أو شعائر.

قالت بريدا:

- لا أعلم كيف أصلي؛ لأن روحي صامتة.

ضحك الساحر ضحكة ساخرة من جملتها السابقة، ثم قال:

- هؤلاء الأشخاص الذين يحملون أرواحًا مضيئة، هم فقط الذين تسبح أرواحهم في بحور الصمت.

- إذن، لماذا لا أستطيع أن أصلي بروحي هذه؟

- لأنه ينقصك التواضع لتستمعي إلى روحك، وأن تكتشفي ما تريده نفسك؛ لأنك تخجلين من الاستماع إلى طلبات، واحتياجات الروح، وتشعرين بالخوف، من أن تطلبي هذه الأمنيات من الرب؛ لأنك تعتقدين أنه لا يملك وقتًا كافيًا للاهتمام بهذه الطلبات.

كانت تشاهد الغروب وهي تجلس بجوار نبات (المر يميه)، وكما يحدث في تلك اللحظات؛ فقد راودها شعور بالدونية، وأنها لا تستحق أن تكون هنا.

- هذا صحيح، أنني أشعر بعدم النفع، ودائمًا ما أعتقد أن البحث الروحي يصلح لمن هم أفضل مني.

- هؤلاء الأشخاص، إذا صح وجودهم، فلن يحتاجوا للبحث عن أي شيء؛ فهم تجسيد للروح ذاتها، حيث تتجلى فيهم كل معان وسمات الروح، ولكن البحث الروحي، خُلق للأشخاص من أمثالنا.

قال ذلك، وبعدها أصبح أمامها بمسافة طويلة.

- إن الرب هو الرب ذاته، في كلٍّ من حكمة الشمس والقمر.

قالت بريدا ذلك، معتقدة أن الحكمة هي ذاتها في كل من الشمس والقمر، ولكن، تختلف فقط في الطرق التي تُلقى بها.

- فلتعلمني إذن، كيف تتلى الصلوات.

فتوجه الساحر بناظريه، وواجه الشمس، وأجفل عينيه، وقال:

((أيها الرب، نحن بشر ولا نعلم عظمتنا، أيها الرب، امنحنا التواضع لنطلب وندعو بما نريد، لأنه؛ لا توجد رغبة تافهة، ولا يوجد طلب عديم الفائدة، وكلنا يعرف الطريقة المثلى لتغذية أرواحنا، أيها الرب، امنحنا الشجاعة؛ لرؤية رغباتنا، وكأنها نشأت من حكمتك الخالدة؛ فبقبول رغباتنا فقط، يمكننا البدء في فهم موهبتنا .آمين)).

والآن جاء دورك.

((أيها الرب، ساعدني؛ كي أفهم أن كل الأشياء الجيدة التي حدثت لي، قد حدثت؛ لأني أستحقها، وساعدني؛ أن أعتقد أن القوى التي تدفعني للبحث عن الحق والصدق، هي نفس القوى التي تدفع القديسين، وأن شكوكي هي نفس شكوك القديسين، وأن عيوبي هي نفس عيوبهم، ساعدني؛ أن تخشع نفسي؛ حتى تتقبل أنني لا أختلف عن الآخرين .آمين)).

جلسا في صمتٍ تام، يشاهدان الغروب، حتى غادر آخر شعاع للشمس، وكانت أرواحهم تصلي وتطلب تحقيق بعض الأمنيات، وتشكر الأقدار على وجودهما معًا.

قال الساحر:

- لنذهب إلى الحانة.

تذكرت اليوم الأول الذي جاءت فيه للبحث عنه، وقد قررت أنها

سوف تخوض تلك التجربة مرة واحدة، فليست في حاجة إلى التفكير مرارًا وتكرارًا؛ لكي تقنع نفسها.

تفحص الساحر تلك الفتاة التي تسير أمامه، والتي تحاول أن تبدو كما لو كانت تسير بخطوات واثقة، على تلك الأرض الندية، المليئة بالحصى، والأحجار، ولكنها، سرعان ما تتعثر باستمرار، ثم شعر للحظة ببعض النزق، والخفة، قد أصابت قلبه، ولكن سرعان ما عاد قلبه إلى القلاع الحصينة التي بناها لنفسه.

((في بعض الأحيان، تصل بركة الرب، عن طريق غلق كل النوافذ)).

شعر الساحر بالألفة والأنس؛ لأن بريدا تسير بجانبه أسفل الجبل، فهو مثل كل الرجال، يحمل ما بهم من عيوب ونقائص، وأيضًا، ما بهم من فضائل، فلم يعتد بعد على دور المعلم.

في البداية، عندما اعتاد الناس القدوم إلى الغابة من كل أنحاء أيرلندا؛ لسماع دروسه، كان يحدثهم عن حكمة الشمس، ويطلب منهم أن يفهموا ما يدور حولهم؛ لأن الرب أودع حكمته فيما حولهم، وقد تمكن الجميع من فهمها بأداء بعض الشعائر البسيطة، وطريقة تعليم حكمة الشمس قد تم ذكرها منذ ألفي عام، على لسان الحواري بولس، عندما قال:

((لقد كنت معك في لحظات الضعف والخوف، ولم تكن رسالتي لك بكلمات منمقة من الحكمة، ولكن تجسيدًا للروح، وللقوة، وأن إيمانك لا يكمن في حكمة البشر، ولكن في قوة الرب))

ويبدو أن الناس لا تزال غير قادرة على فهمه، عندما يتكلم عن حكمة الشمس، وتصيبهم خيبة الرجاء؛ لأنهم يجدونه رجلًا مثل باقي الرجال.

فكان يقول في نفسه: ((لا يهم)).

فقد كان معلمًا، وكل ما عليه، أن يمنح كل فرد يلجأ إليه الوسائل الضرورية؛ لاكتساب المعرفة، ولكن، ما يحتاجه هؤلاء الناس كان أكثر من ذلك بكثير، فهم يحتاجون إلى مرشد، إنهم لم يفهموا الحكمة من الليلة المظلمة، ولم يفهموا أن كل ما يفعله المرشد في تلك الليلة، هو أن ينير ببطاريته فينقشع الظلام عن الأشياء التي يرغب هو نفسه في رؤيتها، ولكنهم يحتاجون إلى مرشد في كل حال، ويجب عليه أن يحترم رغبات الآخرين.

لذا؛ بدأ شرح تعاليمه بأشياء غير مهمة، ولكنها تحمل الكثير من التشويق والإثارة؛ كي تدفع الجميع إلي قبولها وفهمها، فحققت هذه

الطريقة نتائجًا جيدة، وتعلم الناس حكمة الشمس، وعندما أخبرهم أن الأشياء التي طلبها منهم، لم يكن من ورائها طائل، ولا هدف، سخروا من أنفسهم، فهوى قلبه طربًا من شدة الفرح؛ لأنه نجح في ابتكار طريقة حديثة لتعليمهم.

ولكن بريدا كانت مختلفة؛ فقد أثرت صلواتها على روح الساحر بشدة؛ فقد فهمت أنه لا يوجد شخص أفضل من الآخرين، فالقليل من البشر، استطاعوا البوح بأن المعلمين السابقين، لديهم نفس المزايا، والعيوب، التي يحملها الرجال، ولا يؤثر ذلك على قدرتهم على البحث عن الرب، فحكم الفرد على ذاته أنه أقل من الآخرين، هو تجسيد لأسوأ تطبيقات، وممارسات الكبرياء؛ لأنها أقصر الطرق لتدمير شعور الفرد بالاختلاف.

وصلا إلى الحانة، فطلب الساحر كأسين ويسكي، فقالت بريدا:

- انظر إلى هؤلاء، ربما يأتون هنا كل ليلة، فقد تعودوا على ذلك.

شعر الساحر، أنه ليس متأكدًا أن بريدا لا تشعر بأنها مختلفة عن الآخرين.

- إنك تهتمين بالآخرين كثيرًا، فهم المرآة التي ترين نفسك بها.

- نعم، أعلم ذلك، فقد اعتقدت لفترة، أني أعرف ما يفرحني وما يحزنني، ثم شعرت فجأة، أن هذا غير صحيح وأني بحاجة إلى مراجعة الأمور ثانية، ولكنه شيء شديد الصعوبة.

- وما الذي دفعك إلى تغيير وجهة نظرك؟

- إنه الحب؛ فأنا أحب رجلًا يشعرني بالكمال، ومنذ ثلاثة أيام، أراني جوانب خفية من عالمه، مليئة بالغموض، فشعرت أني لست وحيدة.

لاذ الساحر بالصمت، ولم يبد على وجهه أثر لما يدور بداخله، ثم تذكر :((من نعم الله علينا، أنه يغلق النوافذ أحيانًا)).

- هل تحبينه؟

- ما أستطيع قوله، أني أشعر أن حبي له، سوف يزداد أكثر فأكثر، حتى ولو لم أكتشف أشياءً جديدة عن عالمه، فعلى الأقل سوف أتعلم شيئًا آخر مهمًا: يجب علينا أن نخوض المخاطر.

كان لديه الكثير من الخطط لهذه الليلة، فبينما كانا يسيران أسفل الجبل، أراد أن يوضح لها مدى حاجته إليها، وأنه لا يختلف عن أي رجلٍ آخر، به ما بالرجال جميعًا من نزعات، وأهواء، ويشكي لها من وحدته، ولكنه رأى أن كل ما أرادته، هو الإجابة عن أسئلتها.

قالت بريدا بعد أن شعرت أن الجو قد تبدل:

- أشعر بشيء غريب في الهواء.

فأجابها الساحر في ثبات:

- إنهم الرسل، والشياطين الذين لا يمثلون جزءًا من يد الرب اليسرى، الذين لا يقودونا إلى النور.

فبرقت عيناه؛ لقد أراد منحنى مختلفًا لتلك الليلة، ثم انتهى به المآل للحديث عن الشياطين:

- لقد خلق الرب مساعدين لذراعه الأيسر، وسخرهم؛ ليساعدونا كي نعرف ما نفعله في مهامنا.

ثم استطرد قائلًا:

- إن الرب جعل الإنسانِ مسئولًا عن تركيز قواه، وحشدها في الظلام، وجعله مسئولًا كذلك عن خلق شياطينه بنفسه.

وهذا هو ما يفعله الآن.

قالت الفتاة وقد تملكها الكثير من الحيرة والحذر:

- ولكن، يمكننا أن نحشد قوى الخير أيضًا؟

- لا! لا يمكننا ذلك.

ثم ألمح لها أن تتوقف عن الاسترسال في هذا الحديث؛ فهو لا يريد أن يخلق شيطانًا، وفي حكمة القمر يُطلق عليهم اسم (الرسل)، ويمكنهم فعل أشياء شديدة الخير، وأفعال شديدة الشر، ولا يتمكن أحد من استحضارهم سوى المعلمين، الذين لهم ثقل، وباع طويل في السحر من أمثاله، ولكنه لم يرد أن يستحضر هذا الرسول الآن؛ لأن الرسول من الممكن أن يكون ذا قوى خطيرة، خاصةً عندما يختلط ذلك مع خيبة الرجاء في الحب.

فجاء رد الساحر على نحوٍ غريب ملأ بريدا بالارتباك.

ثم كرر ثانيةً، وهو يحاول أن يركز فيما يقول:

- لا يمكننا أن نحشد كل القوى للخير. فقوى الخير دائمًا ما تنتشر مثل الضوء، فعندما تصدرين ترددات إيجابية، فإنك تنشرين الخير لكل البشر، ولكن، عندما تحشدين قوى الرسل، فستجلبين الخير لنفسك فقط، أو تضرينها وحدها فقط.

ومازال البريق يسطع في عينيه، فأشار إلى النادل، ودفع الحساب.

- فلنذهب إلى منزلي، سوف نعد كوبًا من الشاي، ويمكنك أن تطرحي ما شئت من الأسئلة المهمة عن الحياة.

ترددت بريدا لبعض الوقت؛ فهي امرأة على قدر وافر من الجاذبية، وهو الآخر على قدر كبير من الوسامة، فخافت أن تطوي تلك الليلة آخر صفحاتها مع الساحر كطالبة، وتضيع تلك الصفة إلى الأبد.

تمتمت في نفسها:

((لابد أن أخوض تلك المخاطرة)).

كان الساحر يعيش في منزل، يبعد قليلاً عن القرية، لاحظت أن منزله مختلف عن منزل ويكا، غير أنه مريح بنفس الدرجة، ولديه نفس اللمسات الفنية، وكأن شخصًا واحدًا تولى تزيين المنزلين.

ذهبا إلى المطبخ؛ لإعداد الشاي، ثم عادا إلى غرفة المعيشة.

فسألها الساحر:

- لماذا جئت إلى هنا اليوم؟

- لقد قطعت على نفسي عهدًا بألا آتي إلى هنا، حتى أنال حظًا من المعرفة، وأتعلم بعض الأشياء.

- وماذا تعلمت؟

- تعلمت القليل، ولكني أعلم أن الطريق سهل، على الرغم من أنه أكثر صعوبة مما كنت أتخيله، ولكن، سوف أعمل على تبسيط روحي، وعلى كل حال، فإن سؤالي الأول هو: لماذا تضيع وقتك معي؟

همّ الساحر أن يقول: ((لأنك رفيقة روحي)).

ولكنه تمالك نفسه، فقال:

- لأنني بحاجة إلى من أتكلم معه.

- وما رأيك في الطريق الذي اخترته لنفسي، حكمة القمر؟

شعر الساحر أنه يريد أن يخبرها بالحقيقة، نعم إنه يحتاج إلى ذلك، حتى وإن كان يتمنى ألا تكون تلك هي الحقيقة.

- إنه طريقك، فويكا على صواب. أنت ساحرة، وسوف تتعلمين استخدام ذاكرة الزمن، كي تكتشفي الدروس التي يعلمها لك الرب.

ثم تساءل في حيرة، لماذا تسير الحياة بهذه الطريقة، لماذا يقابل رفيقة روحه، ثم يكتشف أن الطريق الذي تسلكه هي (حكمة القمر)، ليس

نفس الطريق الذي يسلكه هو (حكمة الشمس).

- لدي سؤال آخر. أريد أن أعلم إجابته، وأعلم أن ويكا لن تخبرني بها؛ لأنها امرأة مثلي، أريد أن أعرف كيف أجد رفيق روحي؟

رق قلب الساحر، وفكر... ((إنه هنا بجانبك)).

ولكنه آثر الصمت، ثم ذهب إلى أحد الجوانب، وأغلق الأنوار، ولم يترك سوى ضوءٍ خافتٍ.

- لقد تقابلنا مرتين فقط حتى الآن.

قال ذلك وعيناه مرتكزتان على التحفة المضيئة، ثم تابع:

- لا يُسمح لي بالتعليم إلا عبر حكمة الشمس؛ فتعاليم حكمة الشمس توقظ حكمة الأسلاف والأجداد التي يمتلكها كل فرد.

- كيف لي أن أجد رفيق روحي، عبر طريق حكمة الشمس؟

فرد الساحر مرددًا ما قالته ويكا:

- هذا ما يبحث عنه كل البشر على وجه الأرض.

ثم جال بخاطرها بعد سماع هذه العبارة، وقد سمعتها من ويكا:

((ربما كانا يدرسان لدى نفس المعلم)).

- لقد وُضِعَت حكمة الشمس في هذا العالم لكل فرد؛ ليرى العلامة التي تدل رفيق روحه عليه: وهو بريق معين في العين.

فردت بريدا:

- لقد رأيت أنواعًا كثيرة من البريق في أعين الكثير من الناس، فاليوم، رأيت بريقًا في عينيك، وهذا ما يبحث عنه الجميع.

فكر الساحر، إثر سماعه لتلك الكلمات ((أن بريدا قد نسيت صلواتها، فهي تعتقد أنها مختلفة عن الآخرين، وهي مازالت غير قادرة

على التعرف على النعم التي تكرم الرب بمنحها إياها)).

فردت على الساحر:

- لا أفهم لغة العيون، ولكن أخبرني بدلًا من ذلك، كيف يكتشف البشر رفقاء أرواحهم عبر حكمة القمر؟

فاستدار إليها، وعيناه باردتان، وخاليتان من المشاعر والإحساس.

فقالت له:

- إنك حزين؛ لأني لا استطيع التعلم عبر الأشياء البسيطة، ولكن ما لا تعلمه، أن البشر يعانون، حيث يبحثون دائمًا عن الحب.

لاذ الساحر بالصمت، ولم يبدُ على وجهه أي تأثر بهذا الحديث.

ثم قال أخيرًا:

- هالة من الضوء، على الكتف الأيسر لرفيق روحك، هذه هي الطريقة في حكمة القمر.

وفجأة، قامت من جلستها، وهي تقول:

- يجب أن أغادر الآن.

تمنت حينها أن يطلب منها البقاء؛ فقد سعدت بالحديث معه، لقد أجاب كل أسئلتها.

لكن الساحر قام من مجلسه، وصاحبها إلى الباب. فقالت له:

- سأتعلم كل شيء تعرفه، وسأكتشف كيف أرى هالة الضوء.

انتظر الساحر حتى نزلت على الدرج، وكان هناك أتوبيس سيذهب إلى دبلن بعد نصف الساعة، فليس هناك حاجة للقلق عليها، خرج إلى الحديقة، ليمارس الشعائر التي يقوم بها كل ليلة، ولكنه لم يستطع التركيز هذه الليلة، فقد كان شارد الذهن.

جلس على عتبة بابه، ونظر إلى السماء، وهو يفكر بها، استطاع أن يراها في الأتوبيس، وأعلى كتفها الأيسر هالة الضوء، التي تدل على أنها رفيقة روحه، والتي لا يستطيع أحد رؤيتها سواه، قال في نفسه:

((كم كانت باردة المشاعر، ومشتتة الفكر، عندما وصلت إلى منزله، وكانت علامة جيدة؛ فهذا يعني أنها كانت مشوشة العواطف، فقد كانت تدافع عن نفسها، من شيء لم تستطع فهمه)).

فكر أيضًا، بخوفٍ شديد، أنها على علاقة حب بشخصٍ ما.

- كل شخص يجد رفيق روحه يا بريدا.

قال ذلك، بصوت عال إلى النباتات في الحديقة، ولكن في أعماق نفسه، شعر أنه بالرغم من السنوات التي قضاها في طريق الحكمة، مازال محتاجًا أن يقوي إيمانه، وأنه بالفعل كان يتحدث إلى نفسه.

((في لحظة ما من حياتنا، نتقابل جميعًا مع رفقاء أرواحنا، ونتعرف عليهم، فلو لم أكن ساحرًا، واستطعت رؤية هالة الضوء على كتفك الأيسر؛ لاحتجت إلى مزيد من الوقت كي أتقبلك، ولكنك سوف تناضلين من أجلي، ويومًا ما، سوف أرى ذلك البريق الخاص، في عينيك، وعلى الرغم من أني ساحر، وأنه يحق لي أن أحارب من أجلك، إلا أن معرفتي كلها قد تحولت إلى حكمة)).

جلس لساعاتٍ طوال؛ يتأمل الليل، ويفكر بها، وهي في طريق عودتها، وقد أصبح الجو أكثر برودة، فقريبًا سينتهي الصيف.

((ليس هناك مخاطرة في الحب، ستكتشفين هذا بنفسك، الناس يبحثون عن بعضهم البعض، ويجدون ذويهم منذ آلاف السنين)).

شعر فجأة أنه على خطأ، فدائمًا توجد المخاطر، وأخطرها، أن يتقابل الشخص مع أكثر من رفيق لروحه، في نفس الحياة.

الشّتاء و الرّبيع

على مدى شهرين، لقنت ويكا مبادئ أسرار السحر إلى بريدا، ووفقًا لويكا، فإن المرأة أقدر على تعلم هذه الأشياء بسرعة أكبر من الرجل؛ لأنه في كل شهر، تشهد أجسادهن، دورة كاملة من ميلاد الطبيعة، والحياة، والموت، التي نسميها (دورة القمر).

ولذا... يجب على بريدا أن تدون في مذكرة جديدة، أي تغير جسماني يطرأ عليها، منذ أن قابلت ويكا لأول مرة، ويجب أن يحمل غلافها نجمة ذات خمسة رؤوس؛ الذي يرتبط كل شيء فيها بحكمة القمر، وأخبرتها ويكا أن كل الساحرات لديهن مثل هذا الكتاب، والمعروف باسم كتاب الظلال؛ إكرامًا لأخواتهن الساحرات، اللاتي توفين في الأربعمائة عام الماضية؛ حيث استمر صيد الساحرات، والقضاء عليهن.

- لماذا أحتاج إلى فعل كل هذا؟

- يجب أن نوقظ الموهبة؛ فبدونها لن تستطيعي معرفة سوى الأسرار الصغيرة، فالموهبة هي طريقك إلى خدمة العالم.

فينبغي على بريدا، استغلال ركن معين في منزلها؛ لتجعل منه زاوية صغيرة للتعبد، حيث ينبغي أن تُضاء فيه الشمعة ليلا نهارا، والشمعة، وفقًا لحكمة القمر، كانت رمزًا لأربعة عناصر؛ فهي تحتوي على الأرض من الفتيلة، والماء من الكيروسين، والنار التي تحرق، والهواء الذي يسمح للنار أن تحترق، والشمعة مهمة أيضًا؛ لتذكيرها بأن لديها مهمة يجب أن تُنجزها، وأنها مرتبطة بها، ويجب أن توضع الشمعة في مكان مرئي، ويجب أن يُخفى أي شيء آخر بعيدًا عن الأنظار، إما على رف من الرفوف، أو في الأدراج؛ فبدءًا من العصور الوسطى، طلبت حكمة القمر من الساحرات، أن يحطن أنشطتهن بالسرية المطلقة؛ فهناك الكثير من النبوءات التي حذرت من عودة الظلام في نهاية القرن.

وعندما عادت بريدا إلى المنزل، ورأت لهب الشمعة، شعرت بالغرابة،

والقدسية التي حلّت على هذا المكان.

لقد أخبرتها ويكا كثيرًا، أن تلتفت إلى صوت العالم:

((يمكنك سماع صوت العالم، وأنت في أي مكان؛ إنها ضوضاء لا تتوقف، توجد على قمم الجبال، وفي المدن، وفي السماء، وفي قاع البحار، وهذه الضوضاء - التي تشبه الترددات- هي روح العالم، والتي تحول وتنقل نفسها إلى ضوء، ويجب على أي ساحرة، أن تكون على وعي تام بهذا؛ لأنها جزء مهم من تلك الرحلة)).

أوضحت ويكا أيضًا، أن القدماء قد تحدثوا إلى عالمنا عبر الرموز، حتى وإن لم يستمع إليهم أحد، حتى وإن كانت لغة الرموز قد نسيها معظم الناس، فالقدماء لم يتوقفوا عن الكلام.

سألتها بريدا يومًا:

- هل هم بشر مثلنا؟

أجابتها ويكا: نحن هم.

- وفجأة، نفهم كل شيء تعلمناه في حياتنا الماضية، وكل شيء تركه الحكماء العظام، مكتوب في العالم، فالمسيح يقول:

"إن مملكة الرب، تشبه الرجل، الذي ينثر البذور على الأرض، ثم يبيت ويستيقظ، فيجد النبات قد ازدهر، فلا يعلم كيف تم ذلك".

نحن مسؤولون عن الكون؛ لأننا من يكوّن هذا العالم.

وكلما قضت بريدا مزيدًا من الوقت مع ويكا، كلما أدركت مقدار روعة هذه المرأة.

استمرت ويكا في تعليم بريدا حكمة القمر، وطلبت منها أن تجد خنجرًا ذا حدين، ومتموج الحافة مثل اللهب، بحثت عنه بريدا كثيرًا، ولم تجده، إلى أن حل لورنس الأمر، فطلب من مهندس كيمياء يعمل في الجامعة، أن يصمم الحافة على هذه الطريقة، ثم صمم لورنس بنفسه المقبض الخشبي لهذا الخنجر، وسلمه إلى بريدا كهدية، كانت تلك طريقته الخاصة؛ ليعبر لها عن احترامه لما تفعله.

وقد أضفت ويكا القدسية على هذا الخنجر، بمزيج من الطقوس المعقدة التي تحتوي على كلمات سحرية، ورسمت بعض التصميمات بالفحم على الحافة، وضربت الخنجر عدة ضربات بالملعقة الخشبية، حيث كان الخنجر يُستخدم كامتداد ليدها؛ ليحفظ طاقة جسدها في تلك الحافة، وكانت الجنيات يستخدمن العصا لنفس الغرض، أما المجوس فقد استخدموا السيف للغرض ذاته.

وعندما أبدت بريدا دهشتها من الفحم، والملعقة الخشبية، أخبرتها ويكا، بأنه في أيام مطاردة الساحرات، لجأن إلى اختيار أدوات تستخدم في الحياة العادية؛ كي لا ينكشف أمرهن، وبقيت هذه التقاليد إلى اليوم، ومن بينها طقوس الخنجر، والفحم، والملعقة الخشبية، بينما ضاعت كل المواد الحقيقية التي استخدمها القدماء إلى الأبد.

تعلمت بريدا كيف تشعل البخور، وكيف تدخل الخنجر داخل الدوائر السحرية، وكان هناك طقوس يجب عليها القيام بها، عندما يتغير طور القمر، فتضع كوبًا من الماء على حافة النافذة؛ كي ينعكس ضوء القمر على سطحه ، ثم تقف؛ لتنعكس صورتها هي الأخرى على سطح الماء، بحيث يكون القمر في منتصف جبهتها، ثم تقطع سطح الماء بالخنجر؛ فتقسم بذلك الصورة المنعكسة على سطح الماء؛ لتكون صورًا أكثر عددًا، وأصغر حجمًا، من الصورة الكبرى.

ويجب أن تشرب هذا الماء كله؛ لتنمو بداخلها قوة حكمة القمر.

قالت بريدا ذات مرة:

((ليس هذا كلامًا منطقيًّا)).

فتجاهلتها ويكا؛ لأنها سبق وفكرت بنفس الطريقة، ولكن ذكرتها بكلمات المسيح، عن الأشياء التي تنمو بداخل كل منا، ولا نعلم كيفية أو سبب حدوثها. ثم قالت ويكا:

- لا يهم إذا ما كان ذلك منطقيًا أم لا، فكري في الليلة المظلمة، فكلما تعلمتي المزيد من ذلك، كلما وجد القدماء سبلًا أكثر للتواصل معك، في البداية، سيتصلون بك بطرق لن تفهميها؛ لأن روحك فقط سوف تستمع، ولكن في يوم من الأيام، سوف تُسمع الأصوات مرة أخرى.

لم تكن بريدا ترغب في سماع أي أصوات؛ فهي تريد أن تجد رفيق روحها فقط، لكنها لم تقل شيئًا لويكا.

لقد حُرمت من العودة إلى الماضي مرة أخرى؛ فقد قالت ويكا أن ذلك الأمر ليس له أهمية.

((لا تستخدمي الأوراق أيضًا لقراءة المستقبل؛ فالأوراق تُستخدم فقط؛ لتتعودي على التطور بدون كلمات، هذا النوع من التطور الذي يحدث دون وعي أو إدراك)).

فيجب على بريدا، أن توزع الأوراق على الطاولة ثلاث مرات في الأسبوع، وكانت تراودها الرؤى من حينٍ إلى آخر، وهي تنظر إليهم، ولكن، كانت بعضها غير واضحة، وغير مفهومة، وعندما اشتكت لويكا، قالت لها:

((أن هذه الرُؤى لها معنى أعمق من أن تفهمه)).

- ولماذا لا أستخدم الأوراق في قراءة المستقبل؟

أجابتها ويكا:

- إن الحاضر فقط هو الذي يؤثر على حياتنا، وعندما تقرئين المستقبل من خلال الأوراق، فإنك تخلطين بين الحاضر والمستقبل، مما يجلب الأذى؛ فالحاضر يمكن أن يؤثر على مستقبلك.

كانتا تذهبان إلى الغابة مرة واحدة في الأسبوع، وقد علمت ويكا طالبتها أسرار الأعشاب، وكما تعتقد ويكا ((فإن كل شيء في هذا العالم يحمل توقيع الإله، وخاصةً النبات، فبعض الأوراق تشبه القلب، وتصلح لعلاج أمراض القلب، بينما الزهور تشبه العيون، وتصلح لعلاج أمراض العيون)) ، وبدأت بريدا تعي، أن الأعشاب تشبه بعض الأعضاء البشرية، طالعت كتابًا عن الطب الشعبي، استعاره لورنس من مكتبة الجامعة، فوجدت بحثًا، يؤكد أن الكثير من معتقدات أهل القُرى، والساحرات، من الممكن أن تكون صحيحة.

ذات يومٍ، بينما تستريحان تحت ظل شجرة، قالت ويكا:

- لقد أودع الرب نبوءته في الغابات، والحقول؛ ليتمتع كل الناس بصحة جيدة.

وقد علمت بريدا، أن ويكا لديها طلبة آخرين، ولكنها لم تقابل أحدهم، فالكلب ينبح دائمًا؛ عندما ينتهي وقتها مع ويكا، وقد تقابلت مع أشخاص آخرين على الدرج، أثناء صعودها، وهبوطها من شقة ويكا - امرأة تكبرها في العمر، وفتاة في نفس عمرها تقريبًا، ورجل يرتدي بذلة - تعرفت عليهم بريدا، عندما استرقت السمع إلى وقع أقدامهم، حيث كانت تصدر صريرًا يكشف عن وجتهم، وهي شقة ويكا.

ذات يومٍ، سألتها عن هؤلاء الطلاب. فأجابتها ويكا:

- إن العمل السحري، هو قوة جماعية، وتعمل كل المواهب المختلفة على حفظ الطاقة في عملنا بحركة منتظمة، وتعتمد كل موهبة على المواهب الأخرى.

شرحت ويكا، أن هناك تسع مواهب، وأن كلًا من حكمة الشمس والقمر، اهتمتا بالحفاظ على تلك المواهب على مدار العصور.

- وما هي المواهب التسع؟

أخبرتها ويكا أنها كسولة، ولا تتوقف عن طرح الأسئلة، طوال الوقت، ولكن الساحرة الجيدة، هي التي تهتم بكل أنواع الاستفسارات الروحية، ثم أخبرتها، أنه يجب عليها أن تقضي مزيدًا من الوقت في قراءة الإنجيل، وأن تبحث عن المواهب، في الرسالة الأولى للقديس بولس، التي وجهها إلى الكورنثيين. فعلت بريدا ذلك، فوجدت المواهب التسع: كلمة الحكمة، كلمة المعرفة، الإيمان، الشفاء، عمل المعجزات، النبوءة، رؤية الأرواح، التحدث بعدة لغات، وتفسير تلك اللغات.

الآن فقط... عرفت الموهبة، التي كانت تبحث عنها: رؤية الأرواح.

علمتها ويكا الرقص، حيث تحتاج بريدا أن تحرك جسدها وفقًا لإيقاع الكون، وترددات العالم، لم تكن هناك طريقة خاصة، فببساطة، تقوم بعمل أي حركة ترد إلى خاطرها، وعلى الرغم من ذلك، فقد استغرقت بريدا بعض الوقت؛ حتى تمكنت من الاعتياد على الرقص بهذه الطريقة غير العقلانية.

- الساحر في الغابة، علمك الكثير عن الليلة المظلمة، التي تمثلت في كلٍ من الحكمتين – اللتان في الحقيقة حكمة واحدة- الطريق الوحيد للتطور، وعندما تنطلقين على طريق السحر، فأول ما ستفعلينه، هو أن تسلمي نفسك للقوة العظمى؛ لأنك ستقابلين أشياءً ، وأحداثًا لن تفهميها.

لن تبدو الأشياء منطقية، ستعينها بقلبك، والقلب يبث القليل من الخوف، والرعب في النفس، ولوقتٍ ليس بالقصير، سوف تتضح لك الرحلة، وكأنها ليلة مظلمة، وعندها... سيكون أي بحث هو درب من

دروب الإيمان. ولكن الرب أكثر صعوبة على الفهم، والإدراك، من الليلة المظلمة؛ فهو يقدر الأعمال النابعة من الإيمان، ويأخذ بأيدينا، ويرشدنا؛ لنعرف الصواب من خلال الغموض.

تحدثت ويكا عن الساحر، ولم تبدِ أي تأثرٍ.لقد أخطأت بريدا؛ عندما ظنت أن ويكا كانت على علاقة به، فربما كان انفعالها في أول مقابلة؛ بسبب اتباع كل منهما لطريق مختلف؛ فالسحرة يملؤهم الزهو والغرور؛ فأراد كل منهما أن يثبت أنه الأفضل، وأنه على صواب.

ثم أدركت فجأة ما كانت تفكر به.

لقد استطاعت أن تقرأ في عيني ويكا، أنها لا تكن للساحر حبًّا.

فقد رأت العديد من الأفلام، وقرأت العديد من الكتب، التي تتحدث عن الحب، فالعالم بأسره يمكن أن يعلم، أن شخصًا ما غارق في الحب، بمجرد النظر إلى عينيه.

لقد تمكنت من فهم الأشياء البسيطة، التي تصورت في الماضي، أنها أشياء معقدة. فربما، تتمكن يومًا ما، أن تتعلم حكمة الشمس.

كان الوقت متأخرًا في أول أيام البرد القارص، حينما اتصلت ويكا؛ لتخبرها بموعدهما القادم في الغابة، بعد يومين، في المساء، عند حلول القمر الجديد، قبل الظلام مباشرةً.

قضت بريدا يومين؛ تفكر في هذا اللقاء، فقد أدت الطقوس المعتادة ورقصت تبعًا لإيقاع الكون وتردداته، وتمنت أن تستطيع الرقص على أنغام الموسيقى، ولكنها اعتادت الرقص على إيقاع الكون، وقد أخبرتها ويكا، أنها عندما ترقص على إيقاع الكون، تستريح روحها، و تشعر بالسكينة، ومن ثم يقل التوتر، بدأت بريدا تلاحظ سير الناس في الشوارع، وحركة أجسادهم أثناء السير، هم لا يعرفون كيف يحركونها بشكل صحيح، فأرادت أن تقول لهم أن يرقصوا قليلًا على إيقاع الكون، فسوف يشعرون بتحسن أكبر بكثير.

فهذه الرقصة جزء من حكمة القمر، ولا يعرف أحد عنها شيئًا غير الساحرات، ولابد من وجود مثيلها في حكمة الشمس.

في الموعد المحدد، ذهبت بريدا إلى الغابة، وسارت وسط الأشجار، وقد شعرت بالوجود السحري لتلك الأرواح الموجودة في الطبيعة.

فمنذ ألف وخمسمائة عام، كانت الغابة هي المكان المقدس لكهنة الديانة السيلتية، حتى طرد القديس باتريك الثعابين من أيرلندا، وعندها اختفت الديانة السيلتية، وقد توارثت الأجيال احترامَ وتقديسَ هذا المكان- جيلًا بعد جيل- وإلى الآن، مازال القرويون يحترمون الغابة ويبجلونها.

وجدت بريدا معلمتها ويكا في العراء، ملتفة بعباءتها، ومعها أربع نساء، بملابس عادية، لاحظت آثار الرماد الذي رأته من قبل، ووجدت النار مشتعلة، فنظرت إلى النار، وانتابها شعور بالخوف، ولم تدر إن كان هذا الشعور بسبب الجزء الذي تحمله بداخلها من لوني، أو لأنها عرفت النار في تجسيد حياتها السابقة.

وصل المزيد من النساء، بعضهن في نفس عمر بريدا، والبعض الآخر أكبر سنًا من ويكا، عددهم تسع نساء. قالت ويكا:

- لم أقم بدعوة الرجال اليوم؛ فنحن هنا ننتظر مملكة القمر، ومملكة القمر هي الليل.

التفوا جميعًا حول النار، وهم يتحدثون عن أكثر الأشياء تفاهة في العالم، شعرت بريدا، وكأنها في حفلة شاي خاصة، تحتوي على كثير من الثرثرة، برغم أن المكان كان مختلفًا إلى حدٍ ما.

وما أن اكتست السماء بالنجوم، حتى تغير الجو تمامًا، لم تأمرهم ويكا بالصمت، فقد تلاشت أصواتهم تلقائيًّا.

وبعد صمتٍ لم يُقدر له البقاء طويلًا، تحدثت ويكا:

- في هذه الليلة، التي تأتي مرة واحدة في العام، حيث تتجمع كل ساحرات العالم معًا، يتلون الصلوات، ويقدمن البيعة لأسلافنا، حسب التعاليم، في القمر العاشر في العام، نجتمع حول النار، التي كانت هي الموت والحياة معًا لأخواتنا الراحلات.

أخرجت بريدا ملعقة خشبية من أسفل عباءتها. وقالت:

- ها هو الرمز. وهي تعرض الملعقة على الجميع.

رفعوا أيديهم المتشابكة، ثم جاء صوت ويكا صداحًا:

- فلتحل البركة على رؤوسنا الليلة، من العذراء مريم، وابنها المسيح، وعلى أجسامنا، حيث يرقد رفقاء الروح لأسلافنا.

فلتباركنا العذراء؛ لأننا نساء، ونحيا بعالم، يعشقنا فيه الرجال، ويفهموننا أكثر وأكثر، على الرغم من أننا مازلنا نحمل في أجسادنا علامات الحياة السابقة، التي مازالت تؤلمنا.

فلتخلصنا العذراء من هذه العلامات، وتضع حدًّا لشعورنا بالذنب، فنحن نشعر بالذنب؛ عندما نترك أطفالنا لنذهب إلى العمل، ولكننا

نتركهم لنحصل على المال؛ لإطعامهم، ونشعر بالذنب؛ حين نبقى في المنزل؛ لأننا لا نستفيد بحريتنا. فنحن نشعر بالذنب في كل حال، وعلى كل شيء؛ لأننا حُرمنا من اتخاذ القرارات، ومن السلطة.

فلتذكرنا العذراء دائمًا، بأن الشخص الذي لازم المسيح وصدّقه، وآمن به، كان امرأة، عندما تخلى عنه الرجال، وأنها هي التي بكت لصلبه، ولزمت الجلوس عند قدميه، حتى فاضت روحه، وأنها هي التي زارت قبره الخاوي، وأن لا شيء يدعونا للشعور بالذنب.

فلتذكرنا العذراء دائمًا، بأننا قد تعرضنا للحرق والتعذيب؛ لأننا بشرنا بعقيدة الحب، عندما حاول البعض إيقاف الزمن بقوة الخطيئة، فاجتمعنا معًا لنقيم احتفالات كانت محرمة؛ لنحتفل بكل ما هو جميل في هذا العالم، وبسبب ذلك؛ حوكمنا؛ وأُحرقنا أحياء في الميادين.

فلتذكرنا العذراء دائمًا، بأننا كنا نُحاكَم؛ على ممارسة الفحشاء بينما كان الرجال، يُحاكَمون في نفس الساحات؛ على نزاعات الأراضي.

فلتذكرنا العذراء دائمًا بأسلافنا، مثل القديس جان دارك (عذراء أورليانز) التي أخفت حقيقتها كامرأة، وتمثلت بالرجال؛ كي تتم كلمة الرب، ومع هذا، فقد ماتت حرقًا بالنيران، هي ومن اتبعها.

ثم حملت ويكا الملعقة الخشبية بيدها، ومدت ذراعيها.

- ها هو رمز استشهاد الأسلاف، فليبقى بداخلنا، ويخلد ذلك اللهب الذي التهم أجسادهم؛ لينير، ويضيء أرواحنا. فهم بداخلنا؛ لأننا هم.

ثم رمت الملعقة الخشبية في النار.

استمرت بريدا في أداء الطقوس، وأبقت على الشمعة المحترقة طوال الوقت، ورقصت وفقًا لإيقاع وترددات الكون، ودونت مقابلاتها مع ويكا في كتاب الظلال، واعتادت الذهاب للغابة المقدسة مرتين في الأسبوع، ولاحظت أنها بدأت تفهم المزيد عن الأعشاب والنباتات .

ولكن لم تظهر بعد تلك الأصوات التي تسعى ويكا لإيقاظها ، ولم تتمكن أيضًا من رؤية هالة الضوء أعلى الكتف الأيسر لأي إنسان.

ثم جال خاطر في رأسها أورثها الكثير من الخوف والقلق:

((ربما ، لم ألتق بعد برفيق روحي)).

فهذا مصير من تعلمن حكمة القمر؛ فهن لا يُخطئن أبدًا عند اختيار الرجال في حياتهم، وهذا يعني أنهن منذ اللحظة التي أصبحن فيها ساحرات، لم يقعن في نفس ضلالات الحب مثل باقي البشر وبالفعل، فهذا يعني معاناة أقل، أو عدم معاناة على الإطلاق؛ لأنهن يستطعن الشعور بمزيد من الحب لكل شيء حولهن، فإيجاد رفيق الروح يُعد مهمة إلهية في حياة كل فرد.

لقد أرادت أن تقول أيضًا ، أن المرء عندما يستطيع رؤية هالة الضوء ، فلن يكون هناك ليلة مظلمة في الحب، ثم فكرت في عدد المرات التي عانت فيها من أجل الحب، والليالي التي قضتها تنتظر رنين الهاتف؛ لتسمع صوت من تحب، وعطلة نهاية الأسبوع المليئة بالدفء والحنان، لقد كان كل ذلك جزءًا من عالمها ، وعالم الآخرين الذين عرفتهم، هذا هو الحب.

فمنذ بدء الخليقة، يسعى الناس بحثًا عن هذا البريق الخاص في عيون من يرغبون، لم تكن بريدا تهتم بمثل هذه الأشياء فيما مضى، بل كانت تعتقد أنه لا فائدة من المعاناة بسبب شخص آخر، أو الشعور بالخوف؛ لعدم العثور على شخص يشاركنا الحياة، والآن، على الرغم من أن الفرصة قد جاءتها لتحرر نفسها من هذه المخاوف للأبد، فلم

تكن متأكدة أنها تريد ذلك.

((هل أريد حقًا أن أتمكن من رؤية هالة النور؟)).

فكرت في الساحر، وقد بدأت تعتقد أنه على صواب، وأن حكمة الشمس هي الطريق الوحيد للتعامل مع الحب، ولكنها لا تستطيع التغيير الآن؛ فقد علمت الطريق الذي يجب عليها إتباعه، ويجب أن تسلكه حتى النهاية؛ لأنها لو استسلمت الآن، فلن تقوى على اتخاذ أي قرار آخر في حياتها.

وفي ظهيرة يوم ما، وبعد درس مُطَول، عن طقوس الأمطار التي قامت بها الساحرات، وكان يجب أن تدونها في كتاب الظلال، سألتها ويكا:

- هل ارتديت كل الملابس التي تمتلكينها؟

أجابتها بريدا بسرعة:

- لا، بالطبع لم أفعل.

- حسنًا، من الآن فصاعدًا، ارتدي كل ملابسك التي في خزانتك.

فأحست بريدا أنها ربما أخطأت الفهم.

فشرحت لها ويكا، عندما رأت الحيرة في عينيها:

- كل شيء يحتوي على طاقتنا، لابد أن يكون في حركة دائمة ومستمرة؛ فملابسك هي جزء منك، وهي تمثل الأوقات التي قضيتها أثناء ارتدائها: أوقات السعادة، وأوقات الحزن والأسى.

الملابس دائمًا، تحول العواطف إلى أشياء مادية، وهي أحد الممرات بين العالم المرئي واللّا مرئي، ويمكن لبعض الملابس أن تكون ضارة؛ لأنها صُنعت لشخص غيرك، ولكنها أصبحت الآن من نصيبك.

كانت بريدا تعي تمامًا ما تقوله ويكا، فهناك بعض الملابس التي

لم تستطع إجبار نفسها على ارتداءها؛ لأنها كلما فعلت ذلك يقع مكروه.

ثم واصلت ويكا حديثها قائلة:

- تخلصي من كل الملابس التي لم تُصنع من أجلك، وارتدي كل الباقين، فيجب الحفاظ على تقليب التربة، و تلاطم الأمواج، وعلى كل العواطف في حالة حركة، فالعالم يتحرك من حولنا، ويجب علينا فعل الأمر ذاته.

وعندما وصلت إلى منزلها، نشرت كل ما احتوته خزانتها من ثياب على سريرها، و تفحصتهم جيدًا، بدا لها أن هناك شيئًا قد أغفلته؛ فبعض الملابس أصبحت قديمة الطراز، ولكنها أبقت عليها؛ لأنها تمثل لها ذكريات حلوة، ويوجد أيضًا بعض الثياب التي تمثل ذكريات سيئة، وقد احتفظت بها؛ لترتديها حين يتغير حظها، وقد جربت أن ترتديها ثانية، فهالتها النتيجة، وعدلت عن الاحتفاظ بها.

أدركت أن علاقتها بالملابس أكثر تعقيدًا مما تخيلت، وتقبلت على مضض، تدخل ويكا في أمر يدا وكأنه تطفل منها، ثم تساءلت:

((لماذا أولت ويكا هذا الأمر كل هذا الاهتمام؟)).

لكنها لم تسأل ويكا من قبل عن أي شيء تمليه عليها.

ربما تخطت ويكا، حدود القوى الممنوحة لها.

وبينما يدور هذا الحديث في نفسها، سمعت شخصًا ما يقول:

((إن تغيير المظهر الخارجي، أصعب من تغيير الداخل)).

نظرت بريدا حولها بحركة غريزية، ولكنها واثقة من أنها لن ترى شيئا، ولن تجد أحدًا.

لقد كان صوتًا...!!!!!!

تلك الأصوات، التي أرادت ويكا إيقاظها.

تمالكت أعصابها، والتزمت الصمت، والأمل يملؤها؛ بأن تسمع شيئًا آخر، ولكنها لم تسمع سوى ضجيج الشارع، والأصوات المنتشرة بالخارج، فجلست في وضعها السابق؛ لعل ذلك يجعلها تسمع شيئًا جديدًا، فكرت فيما كانت تفكر به، عندما سمعت صوت هذا الهاتف.

كانت متأكدة تمامًا مما سمعت، لقد قال لها ذلك الهاتف شيئًا، ولو اجتمع البشر؛ لإقناعها بأن ذلك كان وهمًا، وحتى إن عادت مطاردة الساحرات، واضطرت للمثول أمام محكمة، فسوف تتمسك بأنها قد سمعت صوتًا آخر، لم يكن صوتها ولا نابعًا منها.

((إن تغيير المظهر الخارجي، أصعب من تغيير الداخل)).

كان باستطاعة الأصوات أن تقول شيئًا أكثر أهميه؛ فهي المرة الأولى التي تسمع فيها تلك الأصوات، وهي في هذا الجسد، وفي تلك الحياة، غمرتها موجة من السعادة، فأرادت الاتصال بلورنس، وأن تذهب للساحر، وأن تخبر ويكا أنها اكتشفت أخيرًا كنه موهبتها، وأنها أخيرًا، صارت جزءً من حكمة القمر، وجابت الحجرة عدة مرات، ودخنت سيجارة، وبعد نصف الساعة، شعرت بالهدوء، واستطاعت أن تعود لفراشها مرة أخرى، الذي يحتوي على كل ملابسها.

لقد كان ذلك الهاتف على صواب؛ فقد سلّمت بريدا روحها إلى ويكا، فقد كان من السهل على بريدا أن تسلّم روحها إلى تلك المرأة، ولكن لم يكن سهلا عليها، أن تتبعها في زيّها.

في تلك اللحظة فقط، بدأت بريدا تفهم، مدى تأثير تلك الممارسات التي لا معنى لها على حياتها بأكملها، والآن فقط، عندما بدأت التفكير في التغيير الخارجي، أدركت مدى تأثيره على داخلها.

عندما تقابلا ثانية، أرادت ويكا أن تعرف كل شيء عن الأصوات، وكانت سعيدة؛ لأن بريدا دونت كل التفاصيل في كتاب الظلال.

سألتها بريدا :

- صوت من هذا؟

كان لدى ويكا الكثير من الأشياء لتفعلها، وتقولها، أكثر أهمية من الإجابة على أسئلة بريدا الدائمة.

- لقد بينت لك حتى الآن، كيفية العودة إلى الطريق، الذي أبحرت فيه روحك، على مدار التجسيدات المختلفة لحياتك السابقة، لقد أيقظت تلك المعرفة، بالتحدث المباشر إليها- بروحي- من خلال الرموز، والطقوس لأسلافنا، ربما تذمرتِ قليلًا حيال هذا الأمر، ولكن روحك كانت سعيدة بذلك؛ لأنها كانت تعيد تكوين الصلة مع مهمتها، وبينما كنت مستاءة من كل الممارسات، التي اضطررت إلى فعلها، فتشعرين بالملل من الرقص، وتقاومين النوم أثناء أدائك للطقوس، فقد كان الجانب الخفي لروحك ينهل من حكمة الزمن، وهي تتذكر ما تعلمته من قبل، وكما ذُكر في الإنجيل، أن البذور تزدهر وتنمو، بينما لا نعرف كيفية حدوث ذلك.

والآن، جاءت اللحظة، التي تستطيعين فيها البدء بتعلم الأشياء الجديدة، وهذه اللحظة تسمى الاستهلال، فذلك الصوت الذي سمعته يشير إلى أنك أصبحت مستعدة لهذا.

في تقاليد الساحرات، يقام هذا الاستهلال دائمًا في عيد الربيع، في اليومين الذين يتساوى فيهما الليل مع النهار، والاحتفال القادم سيكون في الحادي والعشرين من شهر مارس، أريد أن يكون ذلك هو تاريخ استهلالك؛ لأنه نفس تاريخ استهلالي، و تعرفين الآن طريقة استخدام أدوات الطقوس والشعائر، وتعرفين كل الطقوس التي تحفظ بقاء

الجسر بين المرئي وغير المرئي، وعندما تقومين بواحدة من هذه الطقوس، فإن روحك ستتذكر الدروس التي تعلمتها في الحياة السابقة.

فسماعك لهذا الصوت، يعني أنك استطعت إحضار شيء من العالم اللامرئي إلى داخل العالم المرئي، وهذا يعني، أن روحك أصبحت جاهزة للخطوة الثانية، لقد حققت أولى أعظم أهدافك.

كانت أبلغ أمنيات بريدا، أن ترى هالة النور، التي توضح رفيق روحها، ولكنها كانت تفكر، في البحث عن الحب، وأصبحت تلك الرغبة تتضاءل في أهميتها بمرور كل أسبوع.

- هناك اختبار آخر، يجب أن تخوضيه؛ كي يتم قبولك في طقوس الربيع، وإذا فشلت، فلا تقلقي؛ فأمامك الكثير من أعياد الربيع قادمة.

حتى الآن، قد تعاملت فقط مع جانبك الذكوري:الذي يعني المعرفة، فلديك معرفة بالعديد من الأشياء، ولديك القدرة على فهمها، ولكنك، لم تقتربي من القوة الأنثوية العظيمة، التي تكمن بداخلك، وهي واحدة من القوى التحويلية العظيمة، والمعرفة وحدها، لا تصنع الحكمة بدون ذلك التحول.

لقد ظلت تلك القوة ملعونة بين الساحرات بوجه عام، وبين النساء بشكل خاص، إنها قوة معروفه لكل إنسان، فنحن النساء نعلم تمامًا أننا حراس عظماء لأسرارها، وبسبب تلك القوة؛ حُكم علينا أن نطوف في عالم محفوف بالمخاطر؛ لأننا أيقظنا هذه القوة؛ ولأنها تعتبر في بعض الأماكن، شيئًا سيئًا ومقيتًا، وأي شخص يتصل بهذه القوة، سوف يرتبط بها بقية حياته، دون أن يشعر، يمكن أن تصبح تلك القوة سيدك، أو عبدك، يمكنك تحويلها إلى طاقة سحرية، أو تستخدمها طوال حياتك، دون أن تدرك قوتها، فهي تحيط بنا، و موجودة في كل ما يحيط بنا، وتوجد في العالم المرئي للأشخاص العاديين، وفي العالم غير المرئي للزُهاد والعُباد، ومن الممكن أن تغفل عنها لسنوات عديدة، أو تُنسى، ويُنسى أمرها في مكانٍ ما، ولكن ما أن يمارسها الفرد، لن

ينساها أبدًا.

- ماذا تكون هذه القوة؟

أجابتها ويكا في حدة:

- لا تطرحي الكثير من الأسئلة الحمقاء، فأنت تعلمين تمامًا ما هي.

نعم، إن بريدا تعلم تمامًا تلك القوة.

إنها العلاقة الحميمة.

أزاحت ويكا واحدة من تلك الستائر البيضاء، وأظهرت لبريدا المنظر، فقد أطلت النافذة على النهر، وعلى المباني القديمة فوق التلال البعيدة، حيث يعيش الساحر في مكانٍ ما هناك.

سألت ويكا، وهي تشير إلى أعلى قمة برج الكنيسة:

- ما هذا؟

فأجابت نفسها:

- إنه الصليب، رمز الديانة المسيحية.

لا يمكن للرومان أن يدخلوا مبنىً معلق عليه الصليب؛ فالروماني يظن أنه بيت للتعذيب؛ لأن الصليب يمثل أقسى آلات التعذيب التي اخترعها البشر، وربما لم يتغير الصليب، لكن معناه تغير تمامًا، وبالمثل، فعندما كان البشر أقرب إلى الله، كانت العلاقة الخاصة، وسيلة رمزية للاتصال مع الرب، وهي إعادة صياغة لمعنى الحياة.

- لماذا يتجنب البشر الذين يحاولون التقرب من الله، هذه العلاقة؟

انفعلت ويكا بسبب تلك المقاطعة، ولكنها أجابت على أي حال:

- عندما أتحدث عن هذه القوة، فإنني لا أتحدث عن الفعل ذاته،

فالبعض يستغلها بدون ممارسة الجنس فعليًا، فكل شيء يعتمد على الطريق الذي نسلكه.

فقالت بريدا :

- أعلم بشأن هذه القوة، وأعلم كيف أستفيد منها.

- ربما تعرفين ممارسة الجنس مع شخص ما في الفراش، ولكن الأمر يكون مختلفاً عندما تعرفينها كقوة. إن الرجال والنساء ضعفاء بدرجة كبيرة أمام قوة الجنس؛ لأنه أثناء ممارسته للجنس، تجتمع السعادة والخوف بنسب متساوية.

- ولماذا تجتمع السعادة مع الخوف؟

وأخيرًا شعرت ويكا بأنها قد وجدت سؤالًا جديرًا بالإجابة.

- لأن أي شخص يقدم على هذه العلاقة، يعلم أنه يتعامل مع شيء، لا يحدث بكامل قوته، إلا عندما يفقد القدرة على التحكم بنفسه. فعندما نتشارك العلاقة مع الطرف الآخر، فإننا لا نسمح له بأن يتصل بأجسادنا فقط، بل، يتصل بكامل كياننا. إن قوى الحياة متصلة ببعضها البعض، ومستقلة عن ذاتنا، وعندها لا يمكننا إخفاء حقيقة ذاتنا.

لا يهم الصورة التي نكونها عن أنفسنا، ولا تلك الأقنعة التي نتوارى خلفها. ففي أثناء العلاقة الخاصة، يصعب خداع الطرف الآخر؛ لأن حقيقة الفرد تتكشف عند القيام بها.

تحدثت ويكا كمن يعرف هذه القوة حق المعرفة، عيناها تلمعان، ونبرة الزهو والفخر تكسو صوتها، ربما كان ذلك هو سبب جاذبيتها المستمرة، فشعرت بريدا بالفخر؛ لأن ويكا كانت معلمتها، وسوف يأتي يوم، تكتشف فيه سر هذا السحر، وهذه الجاذبية.

- قبل البدء في طقوس الاستهلال، يجب أن تجربي هذه القوة،

فكل شيء- بطريقة أو بأخرى- ينتمي إلى الأسرار العظيمة، وسوف تعلمين بأمر هذه الأسرار بعد الاحتفال.

- وكيف أجريها، إذن؟

- إنها صيغة بسيطة، وتشبه تلك الأشياء البسيطة التي لها نتائج معقدة جدا، أكثر تعقيدًا من كل الطقوس التي تعلمتها حتى الآن.

اقتربت ويكا منها ، وربتت على كتفيها، ثم نظرت إلى عينيها.

- هذه هي الصيغة: استخدمي كل حواسك الخمس، طوال الوقت، وإذا جاءت كل الحواس معًا، في اللحظة التي تشعرين فيها بالنشوة، سيتم قبولك في الاستهلال.

كانا سويًّا، في نفس المكان، الذي تقابلا فيه بالقرب من الصخور على الجانب الأيمن من الجبل الذي يطل على الوادي من الأسفل، حين قالت بريدا:

- لقد جئت كي أعتذر. أحيانًا أفكر في شيء ما، ثم أفعل غيره، ولكن، لو شعرت بالحب، فستعلم مدى المعاناة من أجل الحب.

أجابها الساحر:

- نعم، أعلم.

كانت تلك هي المرة الأولى، التي يتحدث فيها عن شيء يخص حياته.

- لقد كنت محقًا بشأن هالة الضوء، ليست مهمة إلى هذه الدرجة. والآن، قد اكتشفت أن البحث - في حد ذاته - ممتع جدًا.

- لطالما، كانت لديك القدرة على التغلب على مخاوفك؟

- نعم، هذا صحيح.

سعدت بريدا؛ لأن هذا الرجل بما يمتلك من العلم والمعرفة، مازال يشعر بالخوف.

قضيا طوال الظهيرة، يسيران في الغابة المغطاة بالثلج، يتحدثان عن النباتات، و المناظر الطبيعية الخلابة، وعن الأساليب التي تغزل بهاالعناكب شباكها، وفي وقتٍ ما، رأيا راعيًا يقود ماشيته إلى منزله.

فصاح الساحر بأعلى صوته:

- مرحبًا سينتياجو! ، ثم التفت إليها، قائلًا:

- إن الرب يحب الرعاة؛ فقد اعتادوا على الطبيعة، وعلى الصمت والصبر، فلديهم كل الفضائل الضرورية للتواصل مع العالم.

حتى الآن، لم يناقشا مثل تلك الأمور مطلقًا، ولم تشأ بريدا أن تسبق الأحداث، ثم أدرات دفة الحديث إلى حياتها، وإلى ما يحدث في العالم، وقد أوحت لها حاستها السادسة، أن تتجنب ذكر لورنس، فهي لا تعرف ما الذي ستؤول إليه الأمور، ولم تعرف سبب تودد وملاطفة الساحر لها، ولكنها أرادت أن تبقي النار مشتعلة، إنها القوة الملعونة، كما سمتها ويكا، لقد كان لديها هدف، وكانت تلك هي إحدى الوسائل لتحقيقه.

ثم مرا على بعض الماشية، التي تركت أقدامها أثارًا غريبة على الثلج، ولكن هذه المرة لم يكن هناك راعي، فالماشية تبدو وكأنها تعلم طريقها، وما تبحث عنه، فنظر الساحر إليها لفترة، كأنه يدرس سرًا عظيمًا من حكمة الشمس، لم تستطع بريدا فهمه أو الوقوف عليه.

وكلما خبا الضوء، خبا معه الشعور بالخوف والمهابة الذي يتملكها دائمًا، عندما تكون بصحبة هذا الرجل، ولأول مرة تشعر بالهدوء والثقة وهي بجانبه؛ ربما لأنها ليست مضطرة لإظهار مواهبها، فقد سمعت الأصوات، ودخلت إلى عالم أصبح رجاله، ونساؤه، مجرد ذكرى في تاريخ الزمن، وانتمت هي الأخرى إلى طريق الغموض، فمنذ اللحظة الأولى التي سمعت فيها الأصوات، أصبح هذا الساحر جزءًا من عالمها.

لقد أرادت أن تمسك بيديه، وأن تطلب منه أن يعلمها بعضًا من أسرار حكمة الشمس، كما اعتادت أن تفعل مع لورنس، عندما كانت تطلب منه أن يحدثها عن النجوم، فكانت تلك طريقتها لتخبره أنهما يريان نفس الأشياء، ولكن عن طريق ملاكين مختلفين.

شيء ما أخبرها، أنه يحتاج لذلك، ولم يكن ذلك الشيء هو الصوت الغامض لحكمة القمر، ولكنه صوت قلبها الذي لا يهدأ، والذي لم تنصت إليه أبدًا، منذ أن قادها إلى طرقٍ لم تستطع فهمها.

ولكن العواطف جامحة بالفعل، ولابد من الإصغاء إليها، وللحظة أطلقت بريدا العنان لعواطفها، حتى قتلها التعب، فأخبرتها أن الظهيرة ستكون ممتعة، إذا أحبت هذا الرجل؛ لأن المرء حين يحب فإنه يستطيع أن يتعلم كل شيء، ويعرف الأشياء التي لم يكن يتخيل أن يفكر فيها؛ لأن الحب هو المفتاح لفهم كل هذا الغموض.

ثم هامت بفكرها في العديد من المشاهد مع الساحر، قبل أن تستعيد السيطرة والتحكم في ذاتها، ثم قالت لنفسها، أنه من المستحيل أن تحب رجلًا مثله؛ لأنه يفهم الكون، و كل المشاعر الإنسانية تُرى صغيرة الحجم، إذا نظرنا إليها من بعيد.

وصلا إلى أنقاض كنيسة قديمة، فجلس الساحر على كومة من أكوام الحجارة المتناثرة على الأرض، و أزاحت بريدا بعض الثلج المتكون على حافة إحدى النوافذ لهذه الكنيسة. ثم قالت:

- لابد أنك تنعم بالعيش هنا؛ حيث تقضي كل يومك في الغابة، ثم تعود إلى المنزل؛ لتنعم بالدفء في مكان جميل.

- نعم، إنه جيد، فأنا أعلم كيف أشدو بأغاني الطيور المختلفة، وأستطيع قراءة علامات الرب، فقد تعلمت حكمتي الشمس والقمر.

ثم شعر أنه يريد أن يُضيف:

((ولكني وحيد، ولا يوجد مغزى من فهم العالم بأسره. إذا كنت وحيدًا)).

فخلف تلك النافذة، تقف رفيقة روحه، لقد رأى هالة الضوء على كتفها الأيسر، فندم على أنه تعلم الحكمتين؛ لأنه لو لم ير تلك الهالة، لما وقع في حبها.

ثم جال بخاطره:

((إنها فتاة ذكية، تشعر بالخطر في وقت مبكر، فهي الآن، لا تريد

أن تعرف المزيد عن هالة الضوء)).

قالت بريدا:

- لقد سمعت الصوت، إن ويكا معلمة جيدة.

هذه هي المرة الأولى التي تذكر فيها السحر، في هذه الظهيرة.

- هذا الصوت سيعلمك أسرار الكون، والأسرار المحجوزة في ذاكرة الزمن، والتي تحملها الساحرات من جيلٍ إلى جيل.

تكلم بدون أن يستمع لما يقول؛ كان يحاول أن يتذكر متى تقابل مع رفيقة روحه لأول مرة، فالناس الذين يعيشون في وحدة دائمة، يفقدون حساب الزمن، حتى وإن علم أنه لم يرها سوى مرتين من قبل، فقد كانت بريدا تتعلم بسرعة.

- أعرف الاستهلال، وسيتم استهلالي في الأسرار الكبرى، في عيد الربيع.

ثم بدأت تشعر بالتوتر مرة أخرى.

- هناك شيء واحد أفكر به، أنني لم أختبر حتى الآن، تلك القوة التي يعرفها الجميع، ويعتبرونها سرًا مقدسًا.

فأدرك الساحر سبب مجيء تلك الفتاة إليه في هذه الظهيرة.

- أريد أن أعلم، كيف أوقظ قوة الجنس عبر حواسي الخمس؛ فلم تحدثني ويكا عن هذا، فقط قالت، أني سوف أكتشفها مثلما اكتشفت الصوت.

جلسا لبضع دقائق، في صمت تام، ثم تساءل فكرها، إذا كان من الجائز لها أن تتكلم عن الجنس بين أنقاض الكنيسة، ثم تذكرت أن هناك عدة سبل لاستخدام تلك القوة، فالرهبان الذين عاشوا هناك واشتغلوا بالزهد، سوف يفهمون ما الذي تعنيه بكلامها هذا.

- لقد قمت بتجربة كل الأشياء، وأظن أن هناك خدعة، مثل خدعة الهاتف التي حملتني على رؤية أوراق التارو، وأظن أنه شيء لا ترغب ويكا في أن تعلمني إياه.

- ألهذا السبب، جئت بحثًا عني؟

نظرت بريدا إلى عينيه بعمق، ثم قالت:

- نعم.

لقد تمنت أن تقنعه إجابتها، ولكنها لم تعد متأكدة من أي شيء بعد.

فبعد أن سارت بين الغابة ، ورأت أشعة الشمس على الثلج، وذلك الحوار الممتع، كل هذا، حرك مشاعرها، ويجب أن تقنع نفسها بأنها هنا لسبب واحد، وأنها ستحقق هدفها بكل السبل المتاحة.

قام الساحر من مجلسه على أكوام الحجارة، واتجه إلى الجدار القائم بين الأنقاض، فوقف متكئًا على باب في وسط هذا الجدار.

ثم قال لها:

- هناك شيء لم تعلمك ويكا إياه، فربما نسيت، أو أرادت أن تكتشفيه بمفردك.

- حسنًا، فأنا الآن بمفردي.

سألت نفسها، إذا ما كانت تلك هي خطة ويكا من البداية، أن تجعلها تأتي إلى هنا مع هذا الرجل.

ثم قال أخيرا على مضض:

- سوف أعلمك، تعال معي.

ذهبا إلى مكانٍ بعيد، كانت الأشجار فيه أكثر طولًا، وجذورها أكثر سُمكا، ثم لاحظت بريدا أن بعضًا من تلك الأشجار يحتوي على سلالم صلبة وجاهزة، وتؤدي إلى بعض الأكواخ في أعالي الأشجار.

ثم فكرت:

((لابد، أنه المكان، الذي يحيا به كل ناسك لحكمة الشمس)).

فحص الساحر كل الأكواخ بحذرٍ شديد، ثم طلب منها أن ترافقه.

بدأت التسلق، وفي منتصف الطريق شعرت بالخوف؛ فالسقوط هنا يعني الموت، وبرغم ذلك، قررت الاستمرار، فهي في مكان مقدس، وتحميها أرواح الغابة. لم يسألها الساحر عن رغبتها في فعل ذلك؛ ربما لأنه ليس ضروريًا في حكمة الشمس.

وعندما وصلت إلى القمة، تنهدت تنهيدة عميقة، أودعتها كل مشاعر الخوف والقلق، فقد انتصرت على جزءٍ آخر من مخاوفها.

قال لها الساحر:

- هذا المكان جيد، ويصلح أن أعلمك به طريقك؛ فهو مكان يتم استخدامه ككمين.

- كمين..؟!!!!!

- نعم، هذه الأكواخ يستخدمها الصيادون، حيث يجب أن يكونوا على ارتفاع كبير حتى لا تقتفي الحيوانات أثرهم؛ فعلى مدار العام يتركون الطعام على الأرض للحيوانات؛ حتى تعتاد القدوم إلى هنا، وفي يومٍ ما، يقتلون هذه الحيوانات، ويفترسونها.

وقد لاحظت بعض الطلقات الفارغة على الأرض، فهالتها الصدمة.

قال لها:

- انظري إلى الأسفل.

كان المكان معداً لاثنين فقط، فكادت أكتافهما تتلامس لضيق المكان، وفعلت ما طلبه منها. لابد أن تكون هذه الشجرة هي أطول الأشجار؛ فهي تستطيع أن ترى قمم الأشجار الأخرى، والوادي، والجبال المغطاة بالثلج الأبيض كعروسٍ في ليلة زفافها، لقد كانت مناظراً خلابة، وما كان يجب أن يقول، أن هذا المكان الذي ينطق بكل لغات الجمال، يُستخدم ككمين .

دفع الساحر سطح تلك الخيمة، فامتلأ الكوخ بضوء الشمس، لقد كان الجو شديد البرودة، و خُيل إليها، أنهما في عالم من السحر على قمة العالم، فأرادت عواطفها أن تنطلق مرة أخرى، وكان عليها أن تكبح جماحها التي اشتعلت للحظة ثم عادت إلى سكونها.

فقال لها الساحر:

- لم آتِ بك إلى هنا لأعلمك ما تعلمينه بالفعل، ولكن، أردت أن أعلمك قليلاً عن هذه الغابة، ففي الشتاء، عندما يغادر الصيادون والفرائس، آتي إلى هنا، وأتسلق هذه الأشجار لأتأمل هذه الأرض.

لقد أراد أن يشاركها عالمه؛ فهوى قلبها من شدة الفرح، وشعرت بالراحة والسكينة، فقد خاضت بضع لحظات ظنت خلالها أن الخيار الوحيد الذي تملكه، هو فقدان القدرة على التحكم في زمام الأمور.

- إن علاقتنا بالحياة تأتي من خلال الحواس الخمس. فالانغماس في عالم السحر، يعني اكتشاف حواس أخرى غير معلومة، والجنس يدفعنا إلى أحد هذه الأبواب.

أخذ يتكلم بصوتٍ عالٍ، كما لو كان معلماً لمادة الأحياء.

ثم فكرت بريدا، على الرغم من عدم اقتناعها:

((ربما كان ذلك أفضل)).

- ولا يهم، إذا ما كنت تبحثين عن الحكمة أو عن السعادة، من خلال قوة الجنس؛ لأنها غالبًا ما تكون تجربة شاملة، فهي العلاقة الوحيدة التي تلمس – أو يجب أن تلمس- كل الحواس الخمس؛ فكل منافذ الفرد تتفتح على مصراعيها مع الشخص الآخر. وفي لحظة الوصول للذروة تتلاشى كل الحواس الخمس، وتدخلين عالم السحر، ولا يعد بإمكانك الرؤية، أو التذوق، أو الشم، أو السمع، أو الإحساس، في تلك اللحظات تختفي كل الحواس، وتحلّ محلها النشوة، وهي نفس النشوة التي يحصل عليها الزهاد، بعد سنوات من العبادة ونكران الذات.

وما يدفع الشخص إلى هذه النشوة، هي الحواس الخمس، وبالمزيد من التحفيز والتنبيه لتلك الحواس، تصبح هي وسيلتنا لبلوغ النشوة. هل تفهمين؟

بالطبع هي تفهم، فأومأت برأسها إيجابًا، ولكن هذا السؤال جعل مشاعرها تشرد بعيدًا، وتمنت لو كان يجوب تلك الغابة بجانبها.

- هذا كل ما يتعلق بالأمر.

- أعلم كل هذا، ولكن مازلت لا أستطيع القيام بذلك.

قالت بريدا ذلك، ولكنها لم تجرأ على ذكر لورنس، فقد لاحظت أنه سيكون من الخطر أن تذكره.

- لقد قلت لي، أن هناك طريقة لتحقيق ذلك.

لقد كانت مضطربة، لانفلات عواطفها مرة أخرى.

نظر الساحر إلى الغابة في الأسفل، فتساءلت بريدا إذا ما كان هو الآخر يُقاوم عواطفه، ولكنها لم تشأ أن تصدق ما تفكر به. فلا يجب عليها التفكير في ذلك.

لقد علمت ماهية حكمة الشمس، وعرفت أن معلميها قد تلقوا هذا

العلم عبر الفضاء والزمن، و يجب عليها أن تفكر في هذا قبل أن تأتي للبحث عن الساحر، لقد تخيلت، أنهما يمكن أن يكونا معا في يوم ما، وليس بقربهما أحد؛ فتلك هي طريقتهما دائمًا في تعليم حكمة الشمس؛ فهما يهتمان بالأفعال وليس بالنظريات، ولكنها جاءت، والآن، فإن طريقها أهم من أي شيء آخر، لقد أرادت أن تكمل الحكمة التي تعلمتها في تجسيدات حياتها المتعددة.

ولكنه الآن يتصرف مثل ويكا، التي تتحدث فقط عن الأشياء.

فقالت: علمني.

كان الساحر يتأمل فروع الأشجار المغطاة بالثلج. من الممكن أن ينسى في هذه اللحظة أنه معلم هذه الفتاة، وأنه مجرد ساحر، و رجل مثل باقي الرجال، فهو الآن أمام رفيقة روحه، ويمكنه أن يخبرها بهالة الضوء التي يراها، وسوف تصدقه، وأن لقاءهما غير المتوقع يمكن أن يتم، حتى وإن رحلت، والدموع تملأ عينيها، فستعود ثانية؛ لأنه يقول الحقيقة، فهي تحتاج إليه بقدر ما يحتاج إليها.

ولكنه معلمًا، وقد أقسم قسمًا مقدسًا في يوم ما، في إحدى قرى إسبانيا، على ألا يجبر أي شخص على أي اختيار، فقد اقترف هذا الخطأ من قبل، وبسبب ذلك، قضى كل هذه السنوات في منفى عن العالم، والآن، أصبح الأمر مختلفا، ولكنه لا يريد المخاطرة، وللحظة، فكر أنه يمكنه التخلي عن السحر من أجلها.

ولكنه أدرك في الحال، حماقة تلك الفكرة، وسرعان ما طرحها من فكره. إن الحب لا يتطلب كل هذا القدر من إنكار الذات؛ فالحب الصادق، يدفع كل شخص لإتباع طريقه، وكل منهما يعلم أنه لن يفقد الاتصال برفيق روحه.

يجب أن يتحلى بالصبر، ولابد أن يتذكر صبر الرعاة، وأن يعلم أنه في يوم ما، سيصبح كل منهما برفقة الآخر. هذا هو القانون.

ثم أجابها أخيرًا، بعد أن تمالك نفسه:

((إن ما تطلبيه، هو أمر في غاية البساطة)).

احرصي على توظيف كل حواسك الخمس عندما تلمسين الشخص الآخر، لأن الجنس حياة قائمة بذاتها، وفي اللحظة التي تبدأ فيها العلاقة، تفقدين القدرة على التحكم، وتصبح العلاقة هي المتحكمة، وأيًّا كان ما تجلبينه لهذه العلاقة من مخاوف، أو رغبات، أو مشاعر، فسيبقى ويدوم، ولهذا يعجز عن أدائها بعض الأشخاص.

عندما تمارسين هذه العلاقة، لا تأخذي معك إلى الفراش سوى الحب، وباقي حواسك الخمس كاملة.

نظرت بريدا إلى الطلقات الفارغة على الأرض، فمشاعرها لم تخنها للحظة، لقد عرفت الخدعة الآن، ثم قالت لنفسها:

((هذا هو كل ما كنت اهتم به)).

قال الساحر:

- هذا كل ما أستطيع أن أعلمك إياه.

لم تتحرك، فقد أمسك الصمت بزمام عواطفها الجامحة.

- خذي نفسًا عميقًا، باردًا، سبع مرات، وتأكدي من أن حواسك تعمل قبل الاتصال الجسدي، ودعي كل مرحلة تأخذ وقتها.

لقد كان معلمًا لحكمة الشمس، وقد نجا من اختباره الثاني.

فقد كانت رفيقة روحه تعلمه أشياء أيضًا.

- حسنًا لقد أريتك المنظر من أعلى، دعينا ننزل الآن.

جلست بريدا تشاهد الأطفال وهم يلعبون، فقد أخبرها شخص من قبل، أن كل مدينة بها منطقة سحرية: نذهب إليها، عندما نريد أن نفكر بجدية في أمرٍ من أمور الحياة، وكان هذا الميدان، هو مكانها السحري ويقع بالقرب من الشقة التي استأجرتها فور مجيئها إلى دُبلن، حيث كان لديها الكثير من الأحلام والتطلعات، وقد خططت أن تلتحق بجامعة ترينيتي لتصبح أستاذة الأدب بالجامعة، واعتادت أن تقضي وقتًا طويلًا، على هذا المقعد مستغرقة في كتابة الشعر.

ولكن المال الذي يرسله والدها لم يك كافيًا؛ فالتحقت بالعمل في الشركة، وأصبح عملها من أهم الأشياء في حياتها؛ لأنه يبقيها على الاتصال بالواقع، فيحفظها من الجنون، وقد ساهم أيضًا في حفظ التوازن بين العالم المرئي واللامرئي .

استمر الأطفال باللعب، وهم مثل جميع الأطفال في العالم يستمعون إلى قصص عن الجنيات والساحرات، ولا يتصور أي منهم، أن هناك ساحرة حقيقية تنظر إليهم الآن وهم يلعبون.

في هذه الظهيرة، طلبت منها ويكا أن تقوم ببعض التمرينات، التي ليس لها علاقة بحكمة القمر، ولكنها مفيدة، لأي شخص يريد البقاء على الجسر بين المرئي واللامرئي.

كان تمرينًا بسيطًا، تستلقي فيه على الأرض، وتسترخي تمامًا، وتتخيل مكان السوق في المدينة، ثم تُمعن النظر في إحدى واجهات العرض، وتدقق فيما تحتويه من معروضات وأسعار، وعندما تنتهي من هذا التمرين، تذهب إلى المحل، وتتأكد من صحة ما تخيلته.

والآن، هي تنظر إلى الأطفال في الميدان بعد عودتها من المحل، وقد كانت واجهة المحل كما تخيلتها تمامًا، وتساءلت إذا ما كان يصلح هذا التمرين للأشخاص العاديين، أم أن الشهور التي قضتها في التمرين كساحرة قد أثمرت.

وقد لفت انتباهها ، أن مكان التسوق الذي تخيلته، يقع بالقرب من مكانها السحري، ثم قالت في نفسها : ((لاشيء يحدث بالصدفة)).

شعرت أن قلبها ، قد قابل لغزًا لم يستطع حله- وهو الحب - فقد أحبت لورنس، وهي متأكدة من ذلك، لقد أيقنت أنها حينما تتعلم حكمة القمر، سترى هالة الضوء على كتفه، وتذكرت عندما ذهبا إلى المقهى فقد رأت ضوءًا خاصًا في عينيه.

لقد كان الساحر على صواب، فحكمة الشمس هي طريق الرجال، ولا يستطيع أن يفك رموزها غير شخص يعرف كيف يصلي، وكيف يكون صبورًا ، وكيف ينهل من العلم حتى يمتلئ عقله، وكلما انغمست في حكمة القمر، كلما زاد إعجابها وفهمها لحكمة الشمس.

ثم عادت إلى التفكير في الساحر مرة أخرى، تلك هي المشكلة التي أتت بها إلى هنا (مكانها السحري) إنها تفكر فيه باستمرار، منذ أن ذهبا معًا إلى كوخ الصيادين، و تمنت أن تكون هناك الآن؛ لتخبره عن آخر التمارين التي قامت بها، وهي تعلم أنها حجة واهية، فما تريده بالفعل، هو أن يدعوها للتنزه في الغابة، وكانت متأكدة تمامًا من سعادته لرؤيتها، فقد بدأت تعتقد أنه لسبب غامض- لم تجرؤ على التفكير به- يسعد برفقتها أيضًا.

((إنني دائمًا أتخيل أشياء كثيرة)).

فكرت في ذلك، وهي تحاول أن تطرح الساحر عن أفكارها ، ولكنها ، عاودت التفكير فيه مرة أخرى.

لم ترغب في التفكير كثيرًا في هذا الرجل، فهي امرأة لديها معرفة بأعراض الوقوع في الحب، وهذا ما أرادت تجنبه مهما كلفها الأمر، لقد أحبت لورنس، وأرادت أن تستمر معه الأمور كما هي، ولا تريد أي تغيير آخر، فقد تغير مسار حياتها بما يكفي.

صباح يوم السبت، اتصل بها لورنس هاتفيًّا، ودعاها للذهاب في نزهة بين المنحدرات الصخرية الشاهقة.

أعدت بريدا الطعام، وانطلقا سويًّا في رحلة شاقة. أقلتهما حافلة غير مكيفة، حتى وصلا إلى القرية في حوالي منتصف النهار.

شعرت بريدا بإثارة شديدة. فقد قرأت الكثير في أولى سنوات دراستها للأدب في الجامعة، عن الشاعر الذي عاش هنا. لقد كان رجلًا غامضًا، علم الكثير عن حكمة القمر، وكان عضوًا في مجتمعات سرية، وترك في كتبه رسالة خفية، لهؤلاء الذين يسعون وراء الطريق الروحاني، كان اسمه ((يتس))، ثم تذكرت بيتين من أبيات شعره، الذي بدا منظومًا؛ لمثل هذا الصباح قارص البرودة، مع طيور النورس، التي تحلق فوق القوارب الراسيات في ميناء صغير:

لقد نثرت أحلامي تحت قدميك، وافترشتها لك.

فامشي الهوينى، فإنك تطئين على أحلامي.

ثم ذهبا إلى الحانة الوحيدة بتلك القرية، فاحتسيا شرابًا، ثم انطلقا في الطريق الصغير، الذي يؤدي إلى منزلق شديد الانحدار، وبعد نصف الساعة، وصلا إلى ما يسميه المحليون بالمنحدرات، وهي جزء صخري يبرز من الجبل، ويمتد داخل البحر، وقد بقي طريقًا يجب اجتيازه، فحتى إذا سارا ببطء، فستنتهي مسيرتهم في أقل من أربع ساعات، وسيكون لديهم متسع من الوقت للحاق بالحافلة، والعودة إلى دُبلن.

لقد سرت بريدا بالمنظر الجميل، فضلًا، عن العواطف الأخرى، التي خبأتها الحياة؛ لتظهرها هذا العام، فكانت ترى أن الشتاء لا يُحتمل. فكل ما تفعله هو الذهاب إلى العمل في الصباح، والجامعة في المساء،

ولدور السينما في عطلات نهاية الأسبوع، وتقوم بالطقوس والرقصات التي تعلمتها، ولكنها شغوفة بالخروج إلى العالم، ورؤية الطبيعة عن كثب.

كان الجو ملبدًا بالغيوم، وقد ساعدت الحركة، على طرد البرودة من جسدها، فقد كان الطريق ضيقًا جدًّا، بحيث لا يستطيعان السير فيه جنبًا إلى جنب، فتقدم لورنس إلى الأمام، ثم سارت خلفه، وكان الحديث صعبًا في تلك الحالة، إلا أنهما قد نجحا في تبادل بعض الكلمات، التي تكفي ليشعرا بأنهما قريبان.

كانت تنظر إلى جمال الطبيعة بعيني طفلٍ، يرى هذا الجمال لأول مرة في حياته، فمن المؤكد أن هذا الجمال، لم يتغير منذ آلاف السنين، حيث لم توجد مدن ولا موانئ، ولا شعراء، ولا نساء شابات يسعين لتعلم حكمة القمر، فلا يوجد سوى الصخور، والأمواج المتلاطمة، ثم نظرت بريدا من شفا جرفٍ، فشعرت بعدم توازنٍ، كان البحر يبوح بأشياء لم تفهمها، وكانت طيور النورس ترسم أشكالًا لم تستطع بريدا تتبعها، ثم نظرت إلى العالم البدائي، كما لو كانت الحكمة الحقيقية للعالم تكمن فيه، وليس في أي كتاب قرأته، أو في الطقوس التي قامت بها، وعندما تحركا بعيدًا عن الميناء، تلاشى كل شيء يمثل أهمية لها – حتى أحلامها وحياتها اليومية وأبحاثها- فقد كان هناك فقط، ما أطلقت عليه ويكا ((توقيع الرب)).

فكل ما تبقى، هو تلك اللحظة البدائية، وسط القوى النقية للطبيعة وإحساسها بأنها مفعمة بالحياة، وفي رفقة شخص تحبه.

وبعد ساعتين من السير المتواصل، اتسع الطريق فقررا أن يجلسا للراحة، حيث لم يتوقفا منذ وقتٍ طويل، وفجأة أصبحت برودة الجو لا تطاق؛ فكان عليهما التحرك، ولكنها فضلت البقاء للحظات بجانبه، وهي تنظر إلى السُحُب، وتسمع صوت البحر.

تنسمت بريدا هواء البحر، وتذوقت طعم الملح في فمها. فأدفأت

وجهها في سترة لورنس.

كانت لحظة من الكمال التام، وكانت كل حواسها الخمس تعمل.

نعم !!!! كل حواسها الخمس تعمل.

وللحظة، تراءت لها فكرة الساحر، ثم اختفت؛ فكل ما يشغلها الآن، هو تلك الحواس الخمس. فلابد أن تستمر بالعمل.

هذه هي اللحظة المواتية.

- أريد أن أتحدث إليك يا لورنس.

تمتم لورنس بشيء أو بآخر، لكن قلبه كان خائفاً بينما ينظر إلى السحب بالأعلى، أو إلى الجرف بالأسفل؛ فقد أدرك أن هذه المرأة هي أهم شيء في هذه الحياة، وأنها التفسير والسبب الوحيد لوجود هذه الصخور وهذه السماء، و هذا الشتاء. وإن لم تكن هنا بجواره، فإن تزول كل ملائكة الجنة لمواساته لن يهم، فالفردوس لن يكون له معنى.

ثم قالت بريدا بمنتهى النعومة والرقة:

- أريد أن أخبرك... اني أحبك.... فقد أريتني بهجة الحب.

شعرت بالكمال، وكأن المنظر بأكمله يتسرب إلى روحها.

أخذ لورنس يلمس شعرها بيده، وكانت متأكدة من أنها إذا جازفت، فستختبر الحب، كما لم تفعل من قبل.

فطبعت قبلة على فمه، كانت مدركة لكل حركة، شعرت أنه يشعر بالمثل تماماً؛ لأن حكمة الشمس، تكشف أسرارها فقط، لأولئك الذين ينظرون للعالم كما لو كانوا يرونه للمرة الأولى.

- أريد أن أمارس الحب معك، وهنا يا لورنس.

أفكار عديدة مرت بخاطره، فقد كانا في طريق عام، وربما يمر عليهما أي شخص، أي شخص مجنون لدرجة أن يأتي إلى هذا المكان في منتصف الشتاء، ولكن، أي شخص مجنون لهذه الدرجة، سيكون أيضًا باستطاعته أن يفهم، أن هناك قوى معينة، بمجرد أن تبدأ بالحركة، لا يقوى أي شيء على اعتراضها.

أدخل يده تحت سترتها ولمس جسدها، فاستسلمت تمامًا؛ كانت قوى العالم تخترق حواسها الخمس، وبدأت تتحول إلى طاقة غامرة.

استلقيا على الأرض بين الصخور، والجرف، والبحر، بين حيوية طيور النورس التي تطير فوقهم، وجمود وموت الصخور بالأسفل، وشرعا في ممارسة الحب بلا خوف.

لم يشعرا بالبرد؛ فالدم يتدفق في عروقهما بسرعة، حتى أنها مزقت بعض ملابسها كما فعل هو، فلم يعد هناك ألم، برغم احتكاك جسديهما بالأرض الحجرية، فقد أصبح هذا جزءًا من متعتهما، ومكملًا لها، أحست بريدا أنها تقترب من النشوة، لكنه كان إحساسًا بعيدًا؛ لأنها كانت متصلة كليًّا بالعالم، فقد اختلط جسداهما بالبحر والصخور، بالحياة والموت.

ظلت بريدا في هذه الحالة أطول وقت ممكن، بينما جزء منها كان يدرك بطريقة غامضة، أنها تفعل أشياءً لم تفعلها من قبل، كان ما تشعر به يجمعها مرة أخرى بمعنى الحياة، يعيدها إلى جنة عدن، كانت اللحظة التي أعيد فيها جسد حواء إلى آدم، وبدأ الخلق.

اتصلت هاتفيًا بويكا في اليوم التالي، أخبرتها بما جرى، ولم تعقب ويكا لبعض الوقت على ما قالته بريدا.

حتى قالت أخيرًا:

- أهنئك على اجتيازك لهذا الاختبار.

ثم شرحت لها، أنه بدءًا من الآن، سوف تُحدث العلاقة الخاصة تغييرات كبيرة، على الطريق الذي اتخذته بريدا في هذا العالم.

- لقد أصبحت مستعدة للاستهلال، ولكن هناك شيء آخر.

- شيء آخر؟ لقد قلت أن ذلك هو كل ما في الأمر!

- إنه أمر يسير، يجب عليك ببساطة، أن تحلمي بالرداء الذي سترتدينه في يوم الاحتفال.

- وماذا إذا لم أستطع فعل ذلك؟

- سوف تستطيعين، لقد قمت بالجزء الأكثر صعوبة.

وعندها، وكما يحدث دائمًا، قامت ويكا بتغيير الموضوع، أخبرتها أنها اشترت سيارة جديدة، وتحتاج إلى القيام بالتسوق.

فهل تحب بريدا الذهاب معها؟

شعرت بريدا بالفخر لهذه الدعوة، وطلبت من رئيسها في العمل الانصراف مبكرًا؛ فتلك هي المرة الأولى التي تظهر فيها ويكا بعض الود من جانبها، ومن الممكن أن تمنحها تلك الظهيرة، فرصة لتظهر قدر أهمية ويكا عندها، ومدى رغبتها في مصاحبتها، فقد كان من الصعب على بريدا أن تفصل الصداقة عن البحث الروحي، وشعرت بشيء من الألم؛ لأن معلمتها لم تظهر حتى الآن أي قدر من الاهتمام بحياتها الشخصية، فلم تتعد حواراتهما معًا القدر الذي احتاجته بريدا؛ لتعلم كيف تسير الأمور في حكمة القمر.

وفي الوقت المحدد تمامًا، كانت ويكا تنتظر بالخارج في سيارة مكشوفة، وعلى الرغم من برودة الطقس، كشفت غطاء السيارة.

كانت سيارة إنجليزية الصنع، ذات طراز كلاسيكي، تم الحفاظ عليها بشكل استثنائي، لديها هيكل براق، و لوحة قيادة مصنوعة من الخشب المطلي، ولم تجرأ بريدا على مجرد تخمين ثمن تلك السيارة؛ فقد أخافتها فكرة أن امرأة ساحرة تملك مثل هذه السيارة، ولكن قبل أن تسمع أي شيء عن حكمة القمر، كانت تسمع في طفولتها عن الساحرات اللاتي يقمن بالتحالف مع الشيطان؛ من أجل المال والسلطة.

سألتها بريدا وهي تصعد إلى داخل السيارة:

- أليس من المبكر كشف غطاء السيارة في مثل هذا الطقس البارد؟

أجابتها ويكا:

- لا أستطيع الانتظار حتى الصيف. بالفعل لا أستطيع الانتظار؛ فلطالما حلمت برحلة مثل هذه لسنوات عديدة.

إنها إشارة جيدة، فمازالت تلك المرأة تحلم مثل أي شخص عادي.

انطلقتا عبر الشوارع، وهما يران نظرات الإعجاب من المارة والمشاة، ويسمعان صيحات الإعجاب التي تشبه تأوه الذئاب.

ثم فاجأتها ويكا بقولها:

- إنها إشارة جيدة، أن تشعري بالقلق من عدم تمكنك من الحلم بالرداء.

فتذكرت بريدا على الفور المكالمة التي قد نسيتها تمامًا.

- لا تتوقفي عن الشكوك؛ فإذا توقفت، فهذا يعني أنك لا تتقدمين إلى الأمام، وفي تلك اللحظة، يتدخل الرب ويسحب البساط من تحت قدميك؛ فهذه طريقته للتحكم في أمور خلقه الذين اصطفاهم؛

للتأكد من اتباعهم الطريق المحدد لهم حتى النهاية، وإذا توقفنا لأي سبب، عندها سوف يتدخل الله؛ كي يدفعنا إلى الأمام.

وعلى الجانب الآخر، يجب أن تكوني على حذر، ولا تدعي الشك يعيقك، ودائمًا قومي بالاختيارات التي تحتاجين إليها، حتى وإن لم تكوني متأكدة من أنك على صواب، ودائمًا ضعي نصب عينيك مثلًا ألمانيًا، جعلته حكمة القمر جزءًا من تعاليمها الخاصة :

((إن الشيطان يكمن في التفاصيل)).

تذكري دائمًا هذا المثل، وسوف تستطيعين تحويل الخطأ إلى صواب.

ثم توقفت ويكا فجأة خارج المرآب، ثم قالت:

- وهناك خرافة مرتبطة بهذا المثل، تأتي لتساعدنا دائمًا عندما نحتاج إليها، لقد اشتريت السيارة للتو، والشيطان يكمن في التفاصيل.

ثم خرجت من السيارة، فور وصول فني إصلاح السيارات إليها.

- هل غطاء محرك السيارة معطل يا سيدتي؟

لم تجب ويكا على سؤاله، فقد طلبت منه أن يفحص السيارة، ثم ذهبتا لتناول مشروب الشكولاطة الساخن في مقهى بالجوار، في نفس الشارع الذي يوجد به المرآب.

ثم قالت ويكا وهي تنظر نحو المرآب:

- راقبي ما يفعل هذا الفني، لقد رفع الغطاء عن المحرك، ووقف يحدق في أجزائه، وهو لا يتحرك.

لا يلمس أي شيء، يكتفي بالنظر فقط، لقد قام بهذا العمل لسنوات طوال، و يعلم أن السيارة تتحدث إليه بلغة خاصة، فهو لا يُعمل المنطق الآن، بل يُعمل الحدس.

وفجأة، ذهب الفني مباشرة إلى أحد الأجزاء الخاصة في المحرك، وبدأ العمل بها ، وكأنه يعزف عليها.

واصلت ويكا الحديث قائلة:

- لقد وجد عطبًا، فلم يضع وقتًا؛ لأن هناك تواصلًا كاملًا بينه وبين السيارة، فكل من أعرفهم من فنيي تصليح السيارات المتقنين لعملهم يعملون بنفس الطريقة.

ثم فكرت بريدا:

((وكذلك كل الفنيين الذين عرفتهم)).

ولكنها افترضت أنهم يتصرفون بهذه الطريقة؛ لأنهم لا يعلمون من أين يبدأون، ولم تلاحظ مطلقًا أنهم دائمًا ما يبدأون من المنطقة الواجب البدء من عندها.

- إذا كان لديهم حكمة الشمس، فلماذا لا يحاولون فهم الأسئلة الهامة في هذا الكون؟ ولماذا يفضلون تصليح السيارات أو العمل في الحانات والمقاهي لعمل القهوة؟

- وما الذي يجعلك تعتقدين أننا بطريقنا هذا وبإخلاصنا له، نفهم العالم أفضل من الآخرين؟

لديّ العديد من التلاميذ، وهم خير مثال للأشخاص العاديين: الذين يبكون عند مشاهدتهم للأفلام المؤثرة، ويشعرون بالقلق على أطفالهم حتى وإن كانوا يعلمون أن الموت ليس هو النهاية، فالسحر، هو فقط إحدى الوسائل التي تقربك إلى حد كبير من الحكمة العظيمة، ولكن أي شيء تفعلينه من الممكن أن يوصلك إلى تلك الحكمة، طالما تحملين الحب بداخلك؛ فنحن الساحرات يمكننا أن نتحاور مع روح الكون، وأن نرى هالة الضوء لرفيق الروح، وأن نتأمل اللانهائية عبر بريق وصمت الشمعة المحترقة، ولكن، لا يمكننا فهم المحركات، الفنيون يحتاجون إلينا بقدر حاجتنا إليهم، فقد وجدوا طريقهم إلى العالم

اللامرئي عبر محركات السيارات، بينما نجد طريقنا إليه عبر حكمة القمر.

قومي بدورك في الحياة، ولا تهتمي لما يقوم به الآخرون، ويجب أن يكون لديك إيمان، بأن الرب يتكلم إليهم أيضًا، فلكل واحد منهم دور في هذه الحياة، مثلك تمامًا في اكتشاف معنى الحياة.

قال الفني بعد أن عادتا إلى المرآب:

- إن السيارة في حالة جيدة، غير أن خرطوم المياه كان على وشك الانفجار، والتسبب في الكثير من الأضرار.

ساومته ويكا قليلًا على السعر، ولكنها شعرت بالسعادة؛ لأنها قد تذكرت المثل.

ذهبتا إلى أحد مراكز التسوق في دُبلن، حيث يوجد المحل الذي تخيلته بريدا كجزء من تمارينها، ولاحظت أنه عندما يتطرق الحديث إلى أمور شخصية، تتهرب ويكا من الإجابة وترد ردودًا مبهمة، ولكنها تجيب بحماس شديد على الأمور التافهة، كالأسعار والملابس، ولفت انتباهها أن كل الأشياء التي قامت ويكا بشرائها تنم عن ذوقها الرفيع.

تعلم بريدا أنه ليس من الصواب أن تسأل شخصًا ما عن مصدر دخله، ولكن الفضول كاد يقتلها، ويقتل أولى أسس الأدب واللياقة.

انتهى بهما المطاف إلى مطعم ياباني، وأمام كل واحدة منهن طبق.

قالت ويكا:

- فليبارك الرب طعامنا، فكلنا بحارون في عالم المجهول، وليغرز الشجاعة في داخلنا؛ كي نقبل هذه الأسرار الغامضة.

قالت بريدا:

- ولكنك معلمة لحكمة القمر، وتعلمين إجابات لكل الأسئلة والأسرار الغامضة.

التزمت ويكا الصمت لدقيقة وهي تحدق في الطعام، ثم قالت:

- أعلم كيف أنتقل بين الحاضر والماضي، وأعلم عالم الأرواح، وقد اجتمعت مع قوى هائلة لا تستطيع كلمات العالم أن تصفها، وربما يمكنني القول أنني أمتلك المعرفة، للرحلة الغامضة التي جاءت بالجنس البشري إلى حيث يكون في هذه اللحظة.

ولكن، لأني أعلم كل هذا؛ وأعلم أيضًا أننا لن نعلم مطلقًا السبب المطلق لوجودنا، ربما يمكننا أن نعرف الكيفية والمكان والزمان الذي وجدنا فيه، ولكن الغاية من وجودنا، سوف تظل السؤال الوحيد الذي لا إجابة له، فالسبب الأعظم والحكمة من وراء هذا التصميم البديع لهذا الكون، لا يعلمه سوى الله، ولا أحدًا سواه.

ساد الصمت لفترة، حتى قطعته ويكا حين أردفت بقولها:

- الآن، بينما نجلس هنا لتناول الطعام، فإن تسعة وتسعين بالمائة من البشر على وجه الأرض يصارعون مع هذا السؤال، يظن الكثيرون أنهم قد وجدوا الإجابة في الدين أو المادية، والآخرون يصيبهم اليأس، ويقضون حياتهم لفهم هذا السؤال، والقليلون يتركون هذا السؤال بلا إجابة، ويعيشون حياتهم بغض النظر عن النتائج والعقبات.

والأشخاص الذين يملكون الشجاعة فقط، هم من يفهمون حكمتي الشمس والقمر، ويدركون أن الإجابة الوحيدة لهذا السؤال هي: لا أعلم.

وبتقبلنا لذلك، تأخذ الحياة معنىً مقدسًا، ونجرب نفس الشعور الذي لابد وأن شعرت به العذراء حينما قالت:

((لأحملنّه في داخلي وفقًا لكلمة الرب)).

لأنها فهمت، أن أعظم الأشياء التي يستطيع البشر فعلها، هي تقبل الأسرار الغامضة.

وبعد فترة طويلة من الصمت، استأنفت ويكا وجبتها، شعرت بريدا بالفخر؛ لجلوسها بجانب ويكا، ولم يعد يزعجها أن تعرف كيف تتكسب ويكا أموالها، وإذا ما كانت في علاقة عاطفية مع شخص ما، أو تشعر بالغيرة من أحد الأفراد، لقد فكرت في عظمة أرواح العقلاء الحقيقيين، الذين قضوا معظم حياتهم، في البحث عن إجابات غير موجودة، ولم يغرهم عدم وجودها؛ ليصطنعوا أحدها، ولكن بدلًا من ذلك، فقد حملوا على عاتقهم مهمة إعمار الأرض، التي لن يستطيعوا فهمها، والطريقة الوحيدة التي استطاعوا بها المشاركة، كانت عن طريق إتباع رغباتهم وأحلامهم، وبهذه الطريقة يصبح الفرد أداة الرب.

- إذن، فما الفائدة من البحث عن أجوبة؟

- نحن لا نبحث عن أجوبة، بل نقبل، وعندها تصبح الحياة أكثر جهدًا، وأكثر إشعاعًا؛ لأننا نفهم أن كل دقيقة، وكل خطوة نتخذها، لها مدلول يتعدانا كأفراد، ونحن ندرك أنه في وقت ما، وفي مكان ما سنجد أجوبة لأسئلتنا، وندرك أن هناك سببًا لوجودنا هنا، ويكفي هذا الشعور بالنسبة لنا.

ننغمس في الليلة المظلمة بالإيمان، ونكمل ما يطلق عليه الخيميائيون القدامى بالأسطورة الشخصية، ونحن نعلم دائمًا أن هناك يدًا ترشدنا، وفي النهاية يعود الأمر لنا، أن نقبل ذلك أم نرفضه.

قضت بريدا ساعات طويلة في هذه الليلة، وهي تستمع إلى الموسيقى، أسلمت نفسها لمعجزة الحياة التي تنبض في عروقها، وقد فكرت في المؤلفين المفضلين لديها، من بينهم الشاعر الإنجليزي ويليام بالاك – الذي أورثها إيمانًا ويقينًا لتستمر في البحث عن الحكمة بعبارة واحدة فقط .

((ما تحقق اليوم، كان مجرد خيال وأمنية في الماضي)).

وحان وقت قيامها بالطقوس الخاصة، ستقضي الدقائق القادمة في تأمل شعلة اللهب، وقد قادتها عملية التأمل التي تقوم بها، إلى تلك الظهيرة التي كانت فيها بصحبة لورنس على الصخور، وطيور النورس التي تطير في علو وشموخ كالسحب فوق الأمواج.

لابد أن الأسماك قد تساءلت يومًا، عن تلك المخلوقات الغريبة التي تقتحم عالمهم ثم تغادره. كيف تتمكن من الطيران؟

ولابد أن الطيور قد تساءلت هي الأخرى، كيف تتمكن تلك المخلوقات التي تأكلها وتتغذى عليها من التنفس والبقاء تحت الماء؟

وكلّ من الطيور والأسماك، مخلوقات موجودة، وعالمهما اللذان يسكنان فيه هو جزء من الكون، وأحيانا يتصادمان، ولكنهما لا يستطيعان الإجابة علي أسئلة كل منهما ، ولا يستطيعان فهمها، على الرغم من أن كل منهما لديه أسئلته، والأسئلة لها إجابات .

نظرت بريدا إلى اللهب ، فوجدت عالمًا من السحر يزدهر أمام عينيها ، هذا ما يحدث عادة، ولكن في هذه الليلة، كان إحساسها بذلك أقوى، وإذا ما استطاعت طرح أية أسئلة، فهذا يعنى أنها انتقلت إلى العالم الآخر، الذي يوجد به إجابة على كل أسئلتها ، وحتى إذا لم تعثر على الإجابة، فيكفي أن هناك شخصًا آخر يعلم تلك الإجابة، ويكفيها أن تجد هذا الشخص، وتغفو بين ذراعيه كالطفل، ويكفي معرفة أن هذا الشخص أقوى منك، وسوف يتولى حمايتك من كل

المخاطر والشرور.

وعندما انتهت الطقوس، تلت صلوات الشكر، على ما تعلمته من السحر، وكانت ممتنة؛ لأن أول شخص سألته عن السحر لم يشرح لها الكون، ولكن جعلها تقضى الليل بأكمله في الغابة المظلمة.

لقد شعرت برغبتها في تقديم الشكر لهذا الرجل الذي علمها الكثير.

فكلما ذهبت للبحث عنه، تجد نفسها تبحث عن شيء آخر، وعندما تجد ما تبحث عنه، تغادر حتى بدون كلمة وداع، ولكنه أراها الطريق الذي تأمل أن تعبر من خلاله في عيد الربيع المقبل، وعلى الأقل، يجب أن تشكره .

لا ، لم تشعر بالخوف من الوقوع في حب الساحر، لقد قرأت الكثير من الأشياء في عيني لورنس، توحي بجوانب خفية من روحها، وبينما راودها الشك في قدرتها على الحلم بما سترتديه في الاحتفال، راودها الشك أيضًا في حبه الذي بدا واضحًا.

قالت بريدا للساحر عندما جلسا سويًا في الحانة التي رأت فيها بريق عينيه لأول مرة:

- أشكرك على قبول دعوتي.

لم يجب عليها الساحر، وقد لاحظ أن طاقتها أصبحت مختلفة إلى حد بعيد، فقد تمكنت بوضوح من إيقاظ القوى.

- في تلك الليلة التي قضيتها بمفردي في الغابة، قطعت عهدًا على نفسي، أن أعود مرة ثانية؛ إما لشكرك أو لصب اللعنات عليك، لقد عاهدت نفسي أن أعود عندما أجد طريقي، ولكني لم أف بعهدي، فدائمًا ما آتي للبحث عن المساعدة، ولم يسبق أن خذلتني، ولكن أريدك أن تعرف أنك أداة الرب، وأريدك أن تكون ضيفي اليوم.

وعندما همت بطلب الشراب، قام هو الآخر من مجلسه، ثم عاد حاملًا زجاجتين، الأولى نبيذ، والأخرى مياه، وكأسين. ثم قال:

- قديما في بلاد فارس، عندما يجتمع شخصان، يتم اختيار أحدهما ليكون هو ملك الليلة، وعادة ما يكون هو من يدفع الحساب.

ولم يكن يدري إذا ما بدا صوته ثابتا أم لا، فقد كان غارقًا في الحب.

وضع النبيذ والمياه أمامها.

- إن الأمر متروك إلى ملك الليلة؛ ليحدد الوتيرة التي سوف تسير عليها المناقشة في هذه الليلة، فإذا سكب الكثير من الماء، والقليل من الخمر؛ فهذا يعني أنه يريد التحدث بشكل جدي، أما إذا أفرغ كميات متساوية؛ فهذا يعني أنهم سوف يتحدثون عن أمور جدية وممتعة معًا، وأخيرًا، إذا ملأ الكأس بالخمر، ولم يضف سوى بضع قطرات من الماء فهذا يعني أن الليلة سوف تصبح ممتعة، ومليئة بالراحة.

وعلى إثر ما سمعت بريدا من تصنيفات، ملأت الكأسين بالخمر،

ولم تضع سوى قطرة واحدة من الماء فيهما.

ثم استطردت بقولها:

- جئت لكي أشكرك؛ فأنت علمتني أن الحياة هي درب من دروب الإيمان، وأنني أستحق البحث الذي ساعدني كثيرًا على خوض الطريق الذي اخترته.

احتسيا شرابهما بسرعة؛ لأن الساحر كان يشعر بالتوتر، بينما كانت هي تشعر بالاسترخاء.

ثم أتبعت حديثها قائلة:

- سوف نتحدث عن مواضيع خفيفة فقط.

فرد عليها الساحر بأنها ملك الليلة، الأمر يعود إليها؛ لتحدد ما يتحدثون عنه.

- أريد أن أعرف قليلًا عن حياتك الشخصية، أريد أن أعرف إذا ما كانت هناك علاقة تربطك بويكا.

أومأ برأسه إيجابًا، فسرت موجة من الغيرة والغضب في جسدها، لكنها لم تكن متأكدة من أن هذا الشعور، كان بسبب الغيرة من الساحر، أم بسبب الغيرة من ويكا .

- ولكننا لم نفكر في أمر العيش سويًا.

فكل منهما كان على علم بالحكمتين، وكانا يعلمان أن كلا منهما لم يكن رفيق روح الآخر.

فكرت بريدا:

((أنا لم أرد أن أتعلم كيف أرى هالة الضوء تلك)).

ولكن ذلك آت لا محالة، وهذا هو نمط الحب بين السحرة.

لقد اقتربت من بغيتها، ولم يتبق الكثير على حفل الربيع، وتستطيع أن ترتاح قليلًا، لقد مرّ وقت طويل منذ أن سمحت لنفسها باحتساء الكثير من الخمر، والآن كل ما عليها فعله، أن تحلم بالرداء.

استمرا في الحديث واحتساء الخمر، أرادت بريدا أن تعاود الحديث عن ويكا، ولكنها لم ترد أن تزعج الساحر، بل أرادت له أن يشعر بالاسترخاء أيضًا.

ثم ما لبثت، أن ملأت كأسيهما المرة بعد المرة، فأنهيا الزجاجة الأولى، وهما في غمرة حديثهما عن مصاعب العيش في تلك القرية الصغيرة، حيث كان أهلها يعتقدون بوجود صلة بين الساحر والشيطان.

فشعرت بالسعادة؛ لأنها شعرت بأهميتها لهذا الرجل، فلابد أنه يشعر بالوحدة، وربما لم يزد حديثه مع بعض سكان القرية، عن بضع عبارات مهذبة ومحدودة، ثم فتحا زجاجة أخرى، وانتابتها الدهشة؛ عندما رأت الساحر الذي يقضي كل ساعات النهار سعيًا للتواصل مع الرب، هو نفسه الرجل القادر على احتساء الخمر حتى الثمالة .

وقبل أن ينهيا الزجاجة الثانية، نسيت أنها قد جاءت لتشكره، فقد أدركت الآن، أن علاقتها به كانت دائمًا نوعًا من التحدي الخفي، فلم ترغب أن تراه شخصًا عاديًا، ولكنها كانت على وشك فعل ذلك، لقد فضلت أن تراه في صورة الرجل الحكيم، الذي قادها إلى كوخ عالٍ بين الأشجار، ويقضي الساعات يتأمل الغروب.

ثم استسلمت لرغبتها في التحدث عن ويكا لترى ردة فعله، فأشادت ببراعتها كمعلمة، وأنها قد علمتها كل ما تحتاج إليه حتى الآن، ولكن كانت تعلمها بطريقة سطحية، كما لو أنها كانت تعلم مسبقًا كل الأمور التي تعلمتها من ويكا.

فقال الساحر :

- ولكنك تعلمت، وهذه هي حكمة الشمس.

ففكرت بريدا:

((يبدو أنه لن يعترف بأن ويكا معلمة جيدة)).

شربت كأسًا من الخمر، واستمرت في الحديث عن معلمتها، لكن الساحر لم يبد أي تعليق.

أرادت بريدا أن تستفزه، فهذه أفضل طريقة لتعرف من ردة فعله.

فقالت:

- أخبرني عنك وعنها.

- لقد كان بيننا نوع من الحب الذي مازال وليدًا، فقد كنا جزءًا من جيل، لم يعرف الحدود في البيتلز والرولينج ستونز.

اندهشت بريدا مما سمعت، ولكنها شعرت بالارتياح.

ثم استطرد غير مدرك لمشاعرها:

- حدث ذلك عندما يحث كل منا عن طريقه، وعندما تقاطع الطريقان، وذهبنا إلى نفس المعلم، تقابلنا، وتعلمنا معًا حكمة الشمس والقمر، وقد تعلم كلانا بطريقته الخاصة، ثم أصبحنا معلمين.

- ولماذا انفصلتما؟

- لقد تفرقنا عندما عرفنا توافق الأرواح.

- إذا لم تكتشفي هالة الضوء، أو البريق الخاص في عين الشخص الذي ترافقينه، فهل ستستمرين معه ؟

- لا أعلم، ما أعلمه هو أننا إذا لم نكن رفقاء روح؛ فإن علاقتنا لن تصمد، فنحن نفهم الحياة والكون عندما نجد رفيق الروح.

صمتت بريدا، بينما ارتشف الساحر رشفة واحدة من الزجاجة.

ثم قال:

- لنذهب الآن؛ أريد أن أشعر بنسيم الهواء البارد يتلمس وجهينا.

ثم فكرت: ((لقد شعر بالثمالة، وهو خائف الآن)).

شعرت بالفخر والزهو بنفسها؛ لأنها تستطيع أن تتحكم بنفسها أفضل منه، فلم تشعر بأدنى إحساس بالخوف من أن تفقد السيطرة على نفسها، فقد خرجت الليلة وهي عازمة على قضاء وقت ممتع.

- لنبقي مزيدًا من الوقت، فأنا ملك الليلة.

شرب الساحر كأسًا أخرى، وقد علم أنه تجاوز الحد، ثم سألته بنبرة يملأها التحدي:

- إنك لم تسألني عن نفسي، ألا تشعر بالفضول، أم أنك تستطيع استخدام قدراتك لترى ما بداخلي.

وللحظة، شعرت أنها قد تجاوزت في حديثها، ولكنها شاهدت بريقًا في عيني الساحر، وشعرت بأنه لا يفصل بينهما شيء، وكأن حائطًا يحجز بينهما قد زال وتهدم الآن، وهذا الشعور قد منحها الإحساس بأن كل شيء أصبح مسموحًا، و تذكرت رغبتها الجارفة للبقاء معه في لقائهما السابق، وتذكرت معاملته الجافة معها، والآن، أدركت أنها لم تأت هذه الليلة كي تشكره، لقد جاءت للانتقام، جاءت لتخبره أنها قد اكتشفت القوة مع رجل آخر قد أحبته.

وتساءلت في نفسها:

((لماذا أحتاج إلى الانتقام؟، ولماذا أغضب منه؟)).

ولكن الخمر لم يسمح لها بالإجابة عن هذه الأسئلة بثبات .

أطال النظر إلى بريدا، وظلت تراوده نفسه بإظهار قواه الكامنة، منذ سنوات، ففي ليلة تشبه تلك الليلة تمامًا، تغيرت حياته بأكملها؛ كان هناك الكثير من الأشخاص الذين يسعون إلى الحصول على قوى غامضة لم يؤمنوا بها، فاستخدموا القوى السحرية، وكان يراودهم الشعور بأنهم أقوى من قوى السحر ذاتها، ويعتقدون أن بإمكانهم ترك تعاليم الحكمة بمجرد الشعور بالملل منها، وكان الساحر واحدًا من هؤلاء الأشخاص، فلم يكن استثناءً؛ فقد دخل هذا العالم المقدس عن طريق حكمة القمر، وقد تعلم الطقوس، وعبر الممر الذي يربط بين العالم المرئي واللامرئي.

في بادئ الأمر، استخف الساحر بهذه القوى، ولم يتقن تعلمها؛ لأنه استقى علمه في بادئ الأمر من الكتب، وبدون مساعدة أحد، قبل أن يقابل معلمه، وفي أول لقاء، أخبره معلمه بأن حكمة الشمس هي الطريق الأفضل له أن يسلكه، ولكن الساحر لم يقبل بذلك؛ لأنه كان شغوفًا أكثر بتعلم حكمة القمر؛ لأنها تشتمل على القيام بالطقوس القديمة، وتعلم بالفعل حكمة القمر، غير أنّ معلمه أخبره بأنه ربما يكون هذا هو الطريق الذي يوصله إلى حكمة الشمس.

وعندما شعر بالثقة في نفسه، وبالثقة في الحياة، ووجد أمامه فرصة لعمل باهر، عزم على استخدام قواه، التي تعلمها من حكمة القمر لتحقيق أهدافه، ولكي يتم ذلك وفقًا لتعاليم السحر، فإنه يجب أن يكون معلمًا وأن يقطع على نفسه عهدًا، بألا يخلّ بالحدود الموضوعة لكل معلمي حكمة القمر، وألا يتعداها، وتتلخص كل الحدود في أمر واحد: وهو ألا يتدخل في حرية وإرادة الفرد، فيمكنه أن يتبع طريقه في الحياة باستخدام معرفته السحرية، ولكن لا يحق له- وفقًا لما تمليه عليه شروط السحر - أن يتخلص من شخص ما يقف عقبة في طريقه، أو يجبره على أن يتبع نفس الطريق الذي اختاره لنفسه، وهذا هو التحريم الوحيد أو الشجرة الوحيدة المحرمة.

وسارت الأمور كما ينبغي، حتى وقع في حب إحدى طالبات الحكمة عند معلمه، وقد بادلته الحب أيضًا، وبعد أن تعلم كل منهما الحكمتين، علم الساحر أنه ليس رجلها المنشود، وعلمت هي الأخرى أنها ليست مليكته، وبرغم ذلك، فقد استسلما للحب، وتركا للحياة مهمة التفريق بينهما عندما يحين الوقت، وتشاء الأقدار.

وبعيدًا عن تلك العواطف التي تضاءلت شيئًا فشيئًا، فقد جعلهم هذا الشعور يعيشان كل لحظة وكأنها اللحظة الأخيرة، فزادت مشاعر الحب بينهما، وسجلا لحظات لا تُنسى.

وذات يوم، تقابلت مع رجل آخر، لا يعرف شيئًا عن تعاليم الحكمة، ولم يكن لديه هالة الضوء على كتفه، ولا البريق الخاص في عينيه- فالحب لا يخضع للمنطق- ولكنها وقعت في حبه، و أدركت أن وقتها مع الساحر قد انتهى.

فدبت الخلافات بينهما، وتضرع إليها متوسلًا، وعرّض نفسه لكل صور الذل، والمهانة التي تحدث للبشر في سبيل الحب، فتعلم أشياءً لم يكن يتصور طوال حياته أنه سيتعلمها:الأمل، الخوف، والصبر.

واحتج عليها الساحر؛ بأن هذا الرجل ليس رفيق روحها، فلم تهتم؛ لأنها أرادت أن تعرف العديد من الرجال؛ لتتعرف على الحياة.

وصل شغفه وولعه بها حدًا أعمى بصيرته، وصار يتخبط في بحار الهوى، وظل يتردد على فكره خاطر لم يستطع تجاهله، بل ظل يراوده حينًا بعد حين، وهو أنه لا يجب عليه أن يخسر تلك المرأة.

ولكن، لم يستطع أن يتحداها، فقد كانت معلمة مثله تمامًا، وقد علمت طريقها في كثير من مراحل الإحياء والتجسيد التي مرت بها، وكان بعضها مليئًا بالشهرة والمجد، والآخر ترتسم ملامحه بالمعاناة والألم والنار، لقد عرفت كيف تدافع عن نفسها.

و هناك طرف ثالث مشترك في هذا الصراع العنيف، وهو مصير هذا

الرجل، الذي التفت حوله شبكة غامضة لم يعلم كنهها، ولم يفهمها، فقد كان رجلًا عاديًّا- بالرغم من حبه لامرأة غير عادية- ألقت به الأقدار وسط معركة بين رجل وامرأة يعرفان حكمة القمر.

وذات ليلة، استبد به الألم لدرجة لم يستطع تحملها، فقرر أن يأكل من الشجرة المحرمة، واستخدم قواه ومعرفته؛ للتفريق بين هذا الرجل والمرأة التي أحبها.

لا يعرف حتى هذه اللحظة، إذا ما اكتشفت تلك المرأة هذا الأمر أم لا، ولكن معلمه علم بذلك، فهو يعلم كل شيء، وكانت حكمة القمر عنيدة، أمام كل المبتدئين الذين تم استهلالهم في عالم السحر، والذين استخدموا السحر الأسود، خاصة في أكثر الأشياء أهمية وأكثر المشاعر تأثيرًا، وهو الحب.

وعندما واجهه المعلم، أدرك أنه لن يستطيع الإخلال بالقسم المقدس الذي قطعه على نفسه، وأدرك حينها أن القوى التي ظن أنه يستطيع أن يستخدمها، ويطوّعها لإرادته، أقوى منه بكثير، وأدرك أنه سائر على الطريق الذي اختاره لنفسه، وأن هذا الطريق يختلف عن أي طريق آخر، وأدرك أنه في حياته هذه، وهو على هذا التجسيد، لن يستطيع التخلي عن هذا الطريق.

ولأنه أخطأ؛ يجب عليه أن يدفع الثمن، فتجرع أقسى أنواع السموم التي اصطلحت البشرية على تسميتها (الوحدة)، حتى تحولت مشاعر الحب التي كان يشعر بها، وتجسدت إلى معلم، ونفس مشاعر الحب التي أدمت فؤاده، هي ذاتها التي ستحرره مرة أخرى، وتكشف له أخيرا عن رفيقة روحه.

إنك لم تسألني عن نفسي، الا تشعر بالفضول ؟ أم أنك تستطيع أن تستخدم قواك لترى ما بداخلي ؟

ظهر ماضيه أمام عينيه في لحظة أو أقل، وكانت فترة كافية؛ ليقرر إذا كان سيسمح للأمور أن تسير وفقاً لحكمة الشمس، أم يحدثها عن هالة النور، وعندها سيكون قد تدخل في القدر.

لقد أرادت بريدا أن تصبح ساحرة، ولكنها لم تحقق أمنيتها بعد.

تذكر اللحظات التي قضاها مع بريدا في هذا الكوخ، حينما كان على وشك أن يخبرها، والآن تراوده نفس الفكرة مرة ثانية.

فقال الساحر:

- لنذهب الآن.

شعرت بريدا هذه المرة بالجدية في طلبه، فأشارت إلى النادل ودفعت فاتورة الحساب، ثم ارتديا معطفيهما، وانطلقا في الجو البارد، الذي خفت حدة برودته الآن، فبعد أسابيع قلائل سوف يحل الربيع، وصلا إلى محطة الأتوبيس، حيث كان من المقرر لحافلة ما أن تتحرك بعد عدة دقائق، وفي هذا البرد القارس تبدلت مشاعر بريدا، من الانفعال إلى الارتباك الشديد، فلم ترغب في ركوب الحافلة، وقد بدت مشوشة الذهن، وتشعر أنها أخفقت في تحقيق هدفها الأساسي من هذه الليلة، فأرادت تصحيح الأمور، لقد جاءت؛ كي تشكره، وما فعلته اليوم لا يختلف عما حدث سابقاً، فلم تصعد الحافلة وتحججت بأنها تشعر بالوهن، ثم مضت ربع ساعة فوصلت حافلة أخرى. فقالت بريدا:

- لا أريد أن أغادر؛ وهذا ليس لشعوري بالمرض، ولكن لأني قد أفسدت كل شيء، فلم أشكرك كما ينبغي.

- هذه هي الحافلة الأخيرة.

- سوف أستقل سيارة أجرة، حتى لو كلفتني الكثير من المال.

شعرت بريدا بالندم؛ لأنها لم تستقل الحافلة، فهي مرتبكة بشدة، ولا تدري ماذا تريد، ثم وردت على رأسها عبارة: ((أنا ثملة)).

ثم قالت:

- دعنا نذهب للتنزه سيرًا، أحتاج أن أفيق.

مشيا في شوارع القرية الساكنة، ومصابيح الشوارع المضيئة تشهد على سيرهما، كان كل أهل القرية نيامًا، ونوافذهم المظلمة هي أبلغ دليل، على غرق تلك القرية في سبات عميق، وعلى تأخر الوقت أيضاً.

قالت في نفسها:

((إن هذا الأمر ليس صوابًا، فقد رأيت الضوء في عيني لورنس، وعلى الرغم من ذلك، أريد أن أكون هنا بصحبة هذا الرجل)).

لقد كانت امرأة عادية تتبع الهوى، وما تأمرها به أحلامها، ولم تكن بها مزية تخصها عن سائر النساء؛ لتعلم كل ما تعلمته من فنون السحر ثم تساءلت للحظة، إذا كانت على صواب في أمر لورنس، شككت في أن هذا الضوء في عيني لورنس هو نفسه الضوء الذي تحدثت عنه حكمة الشمس، لكن لا... شعرت بريدا بالحماقة وكأنها تبحث عن ذريعة لنفسها؛ لتكون بصحبة هذا الرجل، فلا يمكن لأحد أن يُخطئ في التعرف على الضوء في عيني رفيق الروح.

فلو كان مقدرًا لها أن تقابل لورنس في مسرح يعج بالجمهور ولم يكن قد سبق لها رؤيته من قبل، ففي اللحظة التي ستتقابل عيناهما، سوف تعلم أن هذا هو الرجل المناسب لها، وستجد طريقة ما للاقتراب منه، وسيرحب هو الآخر بذلك؛ لأنه لا يمكن للحكمة أن تخطيء: لابد لرفقاء الروح أن يجد بعضهم بعضًا في نهاية المطاف، وقبل أن تعرف أي شيء عن توافق الأرواح، سمعت بعض الناس يتكلمون عن ظاهرة غير مفهومة وهي: الحب من أول نظرة.

يمكن لأي إنسان أن يتعرف على هذا الضوء، بدون الحاجة للقوى

السحرية، فقد عرفتها بريدا قبل أن تعرف بوجودها، وقد رأتها في عيني الساحر في أول مرة ذهبا فيها معًا إلى الحانة.

ثم توقفت... وراودتها الفكرة مرة ثانية، ((لقد ثملت)).

يجب عليها أن تنسى كل شيء، فهي تحتاج أن تحسب نقودها؛ لتعلم إن كانت تملك مالًا يكفي أجرة السيارة أم لا.

ولكنها رأت هذا الضوء في عيني الساحر، هذا الضوء الخاص الذي يوضح أنه رفيق روحها.

فقال لها الساحر:

- إنك شاحبة، يبدو أنك احتسيت الكثير من الخمر.

- دعنا نجلس لبعض الوقت؛ حتى يزول تأثير الخمر، وبعدها سوف أغادر إلى منزلي.

ثم تحسست بأناملها الرقيقة داخل حقيبتها بحثًا عن المال، فيمكنها الوقوف وإيجاد سيارة أجرة والمغادرة للأبد، فلديها معلم، وتعلم كيف تكمل طريقها، وقد عرفت رفيق روحها أيضًا، وإذا قررت أن وتغادر المكان، سيتسنى لها إكمال مهمتها التي وضعها الرب لها.

إنها لم تتجاوز الحادية والعشرين من عمرها، ولكنها لم تعلم أنه من الممكن أن تقابل رفيقين لروحها، في نفس مرحلة الإحياء التي تعيشها، ونتيجة ذلك دائمًا تكون مرتبطة بالألم والمعاناة. وهي لا تدري كيف تتجنب ذلك.

فقالت بريدا :

- لن أذهب إلى المنزل الآن، وسوف أبقى معك.

فبرقت عينا الساحر، فما كان يلوح في أفق الخيال، أصبح الآن واقعًا ملموسًا.

استمرا في السير، ولاحظ الساحر تغير لون هالة الضوء لديها عدة مرات، وتمنى أن تسلك الطريق الصواب. لقد أدرك الزلازل التي تعصف بكيان رفيقة روحه، ولكنه يعلم أن هذا الأمر يحدث نتيجة لطبيعة التحول، مثلما تتحول الأرض والنجوم والبشر.

غادرا القرية، وسارا إلى البلدة نحو الجبال، التي كانت دائمًا هي الملتقى بينهما، وعندها طلبت منه أن يتوقف.

قالت له:

- دعنا نذهب من هذا الاتجاه.

انطلقا إلى طريق يقودهم إلى حقل القمح، ولم تعرف السبب الذي دفعها إلى ذلك.

فقد شعرت برغبتها القوية في الإحساس بقوى الطبيعة، وبالأرواح التي تسكن الأماكن الخلابة في هذا الكوكب، وقد بزغ قمر مكتمل في السماء، سطع ضوؤه على المكان، فأنار القاصي والداني من هذا الطريق ومن الأماكن المحيطة.

وبدون أن ينطق الساحر بكلمة واحدة، تبعها في صمتٍ تام، وقد شكر الله من أعماق قلبه؛ على أنه لم يدعه يرتكب نفس الخطأ، الذي سبق وأن فعله، وعلى أنه استجاب لدعائه.

سارا وسط حقول القمح، التي تحول لونها بفعل ضوء القمر إلى بحور من الفضة المتلألئة، وكانت بريدا تمشي بلا هدف، وليس لديها أي فكرة عما ستكون عليه الخطوة التالية، غير أن صوتًا بداخلها يخبرها أنها يجب أن تتقدم، وأنها في مثل قوة أسلافها، ولا داع للقلق؛ لأن أسلافها موجودون ليرشدوها، ويحموها بقوى حكمة القمر.

وقفا في منتصف الحقل، محاطين بالجبال، وعلى أحد هذه الجبال توجد صخرة، يستطيع المرء من فوقها، أن يرى هذه المناظر الخلابة التي

تأسر القلوب لغروب الشمس، كان هناك أيضًا كوخ للصيادين أعلى من باقي الأكواخ، وقد سبق لها أن واجهت الخوف والظلام فيه.

ثم فكرت:

((أنا مستعدة، وعلى يقين بأني محمية تمامًا)).

استدعت، واستحضرت في مخيلتها صورة الشمعة المحترقة، ليلًا نهارًا في منزلها وهي طريقها إلى حكمة القمر.

ثم قالت بعد أن توقفت:

- هنا مكان جيد.

التقطت غصنًا، ورسمت دائرة كبيرة في الأرض، بينما كانت تتلو أسماءً مقدسة قد علمتها ويكا إياها، ولم يكن بحوزتها خنجر الطقوس، ولا أيًّا من أدواتها المقدسة، ولكن كان أسلافها هناك، ويخبرونها أنه لكي لا يتم حرقهم على المحارق، فقد منحوا القدسية لأدوات المطبخ.

فقالت:

- كل شيء في العالم مقدس، وهذا الغصن مقدس أيضًا.

فأجابها الساحر :

- نعم، إن كل شيء في هذا العالم مقدس، ويمكن لحبة رمل أن تكون ممرًا ومعبرًا إلى العالم اللامرئي.

فقالت بريدا :

- في هذه اللحظة، سيكون رفيق روحي هو الممر، الذي سأسلكه إلى العالم اللامرئي.

فاغرورقت عيناه بالدموع:

((يا لعدالة الرب)).

دخلا إلى الدائرة، وقامت ببعض الطقوس؛ لإغلاقها، إنه الإجراء الواقي الذي استخدمه المجوس والساحرات منذ العصور الأولى.

فقالت بريدا:

- لقد بلغت من الكرم درجة عالية، عندما أظهرت لي عالمك، وسوف أقوم بهذه الطقوس؛ لأظهر لك أنّني أنتمي إلى هذا العالم أيضًا.

رفعت كفيها إلى القمر؛ لاستدعاء القوى السحرية من الطبيعة، كانت ترى معلمتها تفعل ذلك عندما يذهبان إلى الغابة، والآن ها هي تتبع الخطى، وهي على يقين بأنها لن تخطئ؛ فكانت القوى تخبرها بعدم حاجتها لتعلم أي شيء، فقط عليها أن تتذكر المرات الكثيرة، التي قامت فيها بذلك الأمر في المراحل المختلفة، من حياتها التجسيدية، ثم توجهت بالدعاء أن يكون الحصاد وفيرًا، وأن تصبح هذه الأرض خصبة، فقد كانت- في مراحل أخرى- كاهنة، وقد ألمت بمعرفة الأرض وتحول البذور، وكانت تصلي بينما يعمل زوجها في الأرض.

سمح الساحر لها بأن تقوم بالخطوات الأولى؛ حيث يعلم أنه سيتولى الأمر عندما تصل إلى مرحلة معينة، ولكنه آثر أن يترك بصمة تسجل في تاريخ المكان والزمان، أن تكون تلك الفتاة هي التي بدأت تلك العملية، فمعلمه الذي يتجول بين الأجسام الطيارة النجمية الشكل، موجود في حقل القمح، كما كان موجودًا في الحانة، وأثناء إغوائه السابق، وكان بلا شك سعيدًا بطالبه الذي تعلم من محنته.

استمع الساحر في صمت إلى دعوات بريدا وعندما توقفت، قالت:

- لا أعلم لماذا قمت بهذا، ولكني أعلم أني قمت بالجزء الخاص بي.

فقال لها:

- سوف أكمل.

اتجه إلى الشمال، وقلّد أصوات وصيحات الطيور الموجودة في الأساطير، فهذا هو الشيء الوحيد الذي ينقص تلك الطقوس، فقد علمتها ويكا كل شيء تقريبًا، ما عدا النهاية.

وعندما استحضر طيور البجع والعنقاء. أصبحت الدائرة مضيئة بأكملها بضوء غامض، ضوء لا ينعكس على أي شيء، ولا على المكان المحيط، ولكنه مازال ضوءًا، فنظر الساحر إلى رفيقة روحه، وقد ظهرت وتألقت في جسدها الخالد، مع هالة ذهبية وخيوط من الضوء، تخرج من رأسها، ومن بطنها، فعلم حينها، أنها ترى نفس الشيء، بالإضافة إلى بقعة الضوء أعلى كتفها الأيسر، التي قد خبا ضوؤها قليلًا؛ ربما من تأثير الخمر التي تناولاها مبكرًا.

ثم قالت بصوتٍ عذب يملأه الرقة حين رأت هالة الضوء:

- رفيق روحي.

فقال لها الساحر:

- سوف أسير معك عبر حكمة القمر.

وفجأة، تحول حقل القمح من حولهم إلى صحراء رمادية اللون، بها معبد يعج بالكثير من النساء اللواتي يتشحن بالبياض، ويرقصن أمام بوابة المعبد الكبرى، وقد شاهدا هذا الموقف من فوق قمة رابية، ولم تعرف بريدا إذا كنّ هؤلاء النسوة يستطعن رؤيتها أم لا.

شعرت بوجود الساحر بجانبها، أرادت أن تسأله عن مغزى هذه الرؤية، ولكنها لم تستطع الحديث، فأشفق عليها حين رأى الرعب في عينيها، فعادا إلى دائرة الضوء في حقل القمح.

فسألته:

- ماذا كان ذلك؟

- هديتي إليك؛ فهذا واحد من المعابد الأحد عشر السرية الموجودة في حكمة القمر، وهي هدية ترمز للحب، والعرفان، والشكر على أنك على قيد الوجود؛ لأني بحثت عنك كثيرًا ولم أجدك.

فقالت له:

- خذني معك، دعني أرى كيف تمضي في عالمك.

انتقلا معًا بكلتا الحكمتين، عبر الأزمنة والأمكنة.

سافرا معًا عبر الزمان والفضاء، رأت بريدا خلالها حدائق غناء مليئة بالأزهار، والأشجار المورقة، وحيوانات لم تعرف عنها أي شيء، إلا من خلال الكتب، و قلاع، ومدن غامضة تهيم وتطفو على سحب الضوء، وما إن اقترب الساحر منها، سطعت السماء بضوء، أضاء كل الوجود على هذا الحقل، الذي يعد رمزًا مقدسًا للحكمة، وفي لحظة ما، ظهرت تلك الأرض وكأنها أرض جليدية، ولكن ليس على كوكبنا، فهناك مخلوقات أصغر حجمًا، ذات أظافر طويلة، وعيون غريبة، يعملون على سفينة فضاء كبيرة، وكلما همت بالحديث إليها، يتبدل المنظر، وتتغير معالمه، ويتحول إلى شيء جديد، ففهمت بريدا أن الرجل الذي يقف بجانبها يحاول أن يريها كل شيء تعلمه عبر السنين، ولابد أنه انتظر طويلًا حتى يقدم لها هذه الهدية، والآن، يمكنه أن يمنح نفسه إليها بدون خوف؛ لأنها رفيقة روحه، ومن الممكن أن تسافر معه إلى جنات الفردوس.

ولكنها، لم تدرك كم مر من الوقت، حتى عادت إلى تلك الدائرة التي رسمتها بنفسها، ومعها هذا الكائن المنير، لقد عرفت الحب من قبل، ولكن الحب كان يمثل لها الخوف، حتى جاءت تلك الليلة، وعلى الرغم من ضآلة هذا الخوف، إلا أنه كان دائمًا حاجبًا، من الممكن أن ترى من خلاله كل شيء، ما عدا الألوان، و في تلك اللحظة التي يقف أمامها رفيق روحها، أدركت أن الحب شعور مرتبط تمامًا بالألوان، مثل آلاف الألوان المتراصة في قوس قزح.

فكرت وهي تنظر إلى ألوان قوس قزح:

((لقد خسرت الكثير، فقط؛ بسبب خوفي من خسارته)).

وهي لا تزال مستلقية على الأرض، وتعتليها تلك الأنوار المضيئة، وكان هو الآخر يحمل على كتفه الأيسر، هالة من الضوء، وخيوطًا أخرى من الضوء تخرج من رأسه، ومن منتصف بطنه.

فقالت:

- أردت التحدث معك، ولكن لم أستطع.

فأجابها:

- كان ذلك؛ بسبب الخمر.

ولكن، لم تمثل لها الحانة والخمر سوى ذكريات بعيدة.

- أشكرك على تلك الرؤى.

أجابها هذا الرجل الذي يشع منه الضوء:

- لم تكن رؤى، إنما هي حكمة الأرض والكواكب البعيدة.

لم ترغب بريدا في الحديث عن هذا الموضوع، لم تكن تريد أن تسمع منه أي دروس في هذه اللحظة، لقد أرادت ما تراه الآن فقط.

- هل يشع مني الضوء أيضًا؟

- مثلي تمامًا، نفس اللون، ونفس الضوء، ونفس أشعة الطاقة.

لقد كان اللون ذهبيًا الآن، وأمواج الطاقة التي تخرج من الرأس والبطن ذات لون أزرق مائل إلى البياض.

فقالت له:

- أشعر بأننا قد فُقِدنا، والآن تمت نجدتنا.

- لنعد الآن؛ لأني أشعر بالتعب والإرهاق. لقد احتسيت الكثير من الخمر أيضًا.

فعرفت بريدا أنه في مكانٍ ما، يوجد عالم به الحانات، وحقول القمح، ومحطات الأتوبيس، ولكنها لم تشأ العودة إلى هذا العالم؛ فكل ما أرادته هو البقاء في هذا الحقل للأبد، ثم سمعت صوتًا بعيدًا يقوم بالدعاء والتضرع بينما يخبو هذا الضوء المحيط بها تدريجيًا، حتى تلاشت آخر معالمه، ثم بزغ القمر بضوئه الساطع، وقد أضاء الريف بأكمله، كانا عاريين تمامًا، ويد كل منهما في يد الآخر، لم يشعرا بالبرد، ولا بالخجل.

طلب منها الساحر أن تغلق الطقوس التي بدأتها، فنطقت بالكلمات التي تعرفها، وكان يساعدها عندما تحتاج إلى ذلك، وعندما نطقت بالعبارة الأخيرة لهذه الطقوس، قام الساحر وفتح الدائرة السحرية، ثم ارتديا ملابسهما، وجلسا على الأرض.

قالت بريدا بعد وقتٍ دام طويلًا:

- دعنا نغادر هذا المكان.

فقام الساحر من مجلسه، ثم تبعته، وهي لا تدري ما الذي يجب عليها قوله؛ فقد شعرت بالوهن، وكان هو الآخر على نفس القدر من الضعف فكل منهما صرح للآخر بحبه، و قد شعر كل منهما بالخجل من النظر في عيني صاحبه.

كسر الساحر جبال الصمت التي سادت لوقتٍ ما بينهما:

- يجب أن تعودي إلى دُبلن، لدى هاتف شركة سيارات الأجرة.

لم تعرف بريدا، هل تشعر بالخيبة، أو بالراحة؛ فشعورها بالسعادة كان غامرًا لدرجة أشعرتها بالدنيا تدور من حولها؛ مما سبب لها ألمًا برأسها، وتأكدت أنها بذلك الإحساس سوف تكون صحبة سيئة.

فقالت له حسنًا.

ثم عادا أدراجهما إلى القرية، واتصل طالبًا سيارة أجرة من أحد كبائن الهاتف، ثم جلسا على الرصيف في انتظار وصول السيارة.

- أريد أن أشكرك على هذه الليلة.

فلم يرد عليها الساحر.

- لا أعرف إذا كانت احتفالات الربيع للساحرات فقط، أم لا؟ ولكنه سيكون يومًا مهمًا بالنسبة لي.

- الاحتفال هو الاحتفال.

- إذن، فإنه يسعدني دعوتك.

قام الساحر بإيماءة أشعرتها أنه يريد أن يغير مسار الحديث؛ فلابد أنه يفكر في نفس الشيء الذي تفكر به، فكم هو مؤلم أن تترك رفيق روحك بعد أن التقيت به لتوّك. ثم تخيلت عودته إلى منزله وحيدًا، وهو يتساءل متى ستعود ثانيةً، ولابد أنها ستعود مرة أخرى؛ لأن قلبها يحدثها بذلك، ولكن العزلة في الغابة أشد قسوة من العزلة في المدن.

ثم استطردت بريدا:

- لا أعلم إن كان الحب يظهر فجأة، ولكن أعلم أني مستعدة للحب.

جاءت سيارة الأجرة، فنظرت بريدا إليه، وشعرت كما لو أن الساحر قد صغر سنه.

قال:

- وأنا أيضًا مستعدٌ للحب.

تسللت آشعة الشمس إلى داخل المطبخ، عبر نوافذه الواسعة النظيفة.

- هل نمت جيدًا يا حبيبتي؟

ثم سكبت والدتها كوبًا من الشاي، ووضعته على الطاولة، ووضعت بجانبه بعض الخبز المحمص، ثم عادت مرة أخرى إلى الموقد؛ فقد كانت تعد بيضًا مقليًا مع اللحم المقدد.

- نعم، لقد نمت جيدًا، بالمناسبة، هل أصبح ردائي جاهزًا؟ أحتاجه للحفلة التي ستقام بعد الغد.

أحضرت والدتها البيض واللحم ثم جلست.

شعرت بغريزة الأمومة، أن شيئًا غريبًا يحدث لابنتها، ولكنها لا تستطيع فعل شيء حيال هذا الأمر، لقد أرادت أن تتحدث إليها اليوم كما لم تفعل من قبل، ولكن، لا جدوى من حديثها، فقد أصبح هناك بالخارج عالمًا جديدًا لا تعرفه.

خافت على وليدتها؛ لأنها تحبها، ولأن بريدا وحيدة في هذا العالم.

- سوف يصبح ردائي جاهزًا، أليس كذلك يا أمي؟

قالت لها والدتها:

- نعم، سيكون جاهزًا بحلول وقت الغداء.

شعرت الأم بالسعادة؛ فعلى الأقل لم يتغير كل شيء في هذا الوجود؛ مازال هناك بعض المشكلات التي تواجه الفتيات، والتي تستمر الأمهات في حلها.

انتاب الأم بعض التردد، ثم سألت أخيرًا:

- كيف حال لورنس؟

- بخير، سيأتي لاصطحابي غدًا في المساء.

شعرت الأم بمشاعر مختلطة، راحة وحزنًا؛ فمشاكل القلب دائمًا ما تُدمي الروح، ولكنها شكرت الرب؛ لأن ابنتها لا تعاني من مثل هذه المشاكل، وأيضا فهذا هو الموضوع الوحيد التي تستطيع الأم أن تنصحها فيه، مع أن الحب قد تغير قليلًا على مر العصور.

انطلقا للسير حول القرية الصغيرة التي قضت بها بريدا طفولتها، وقد ظلت المنازل كما هي بدون تغيير، تقابلت مع عدد من أصدقاء الدراسة، الذين يعملون، إما في البنك الوحيد بالقرية، أو بالمحلات التي تبيع الأدوات المكتبية، سلموا عليها، وتوقفوا لتجاذب أطراف الحديث، تحدث البعض عن مدى نضوج بريدا والتفاف قوامها، وكم أصبحت يافعة وجميلة، وفي حوالي الساعة العاشرة ذهبت مع والدتها إلى المقهى، الذي اعتادت والدتها الذهاب إليه أيام السبت، قبل أن تقابل زوجها، حينما كان يراودها الأمل بأن تقابل شخصًا يجتاح قلبها، ويملأه بالعواطف الملتهبة، التي ستضع حدًّا لتلك الأيام المتشابهة التي تبعث على الملل.

نظرت إلى ابنتها مرة ثانية وهي تحدثها عن أخبار أهالي قريتها، ومازالت بريدا تبدو مهتمة لأخبارهم، فسعدت الأم كثيرًا لما رأت من اهتمام في عين صغيرتها بما تقوله لها.

قالت بريدا بعد أن بدا عليها القلق:

- لابد أن أحصل على الرداء اليوم.

ولكن، لا يمكن أن يكون هذا هو سبب قلقها؛ فهي تعلم تمامًا أن والدتها لن تخذلها أبدًا.

فقررت الأم أن تخوض التجربة، وتسأل بعض الأسئلة التي يكرهها الأبناء؛ لأنهم يشعرون بالاستقلال، والحرية، والقدرة على حل مشاكلهم بأنفسهم.

- هل هناك ما يُقلقك؟

- هل شعرت بالحب لاثنين في آنٍ واحد يا أمي؟

قالتها، وكأن الحياة قد نصبت لها وحدها فخًا.

فالتقمت والدتها جزءًا صغيرًا من كعكتها، وقد ارتسمت على عينيها نظرة شاردة، وهي تتذكر ذلك الوقت الذي ولت أيامه.

- نعم، لقد شعرت بذلك.

حدقت بريدا في وجه والدتها بذهول.

فابتسمت والدتها، ودعتها إلى الاستمرار في السير.

قالت فور أن غادرا المقهى:

- كان والدك هو أول وأعظم حب في حياتي، وما زلت أشعر بالسعادة معه، عندما كنت أصغر منك، كنت أمتلك كل شيء تحلم به أي فتاة. وفي هذا الوقت اعتقدت أنا وصديقاتي، أن الحب هو السبب الوحيد للعيش، فإذا فشلت في إيجاد الشخص المناسب لك، فلا تدعي أنك قد حققت أحلامك.

فردت بريدا وقد بدا أن صبرها قد نفذ:

- التزمي بالموضوع يا أمي، ولا تشتتي فكري.

- على الرغم مما قلته لك، كان عندي أحلام أخرى، وقد حلمت بالقيام بما تفعلينه أنت، كالذهاب إلى المدينة الكبيرة، واكتشاف العالم الذي يسكن وراء قريتي، وكانت الطريقة الوحيدة لكي يوافق والديّ على ذلك، هي أن أخبرهم برغبتي في تلقي بعض الدروس التي لم تكن موجودة في قريتنا.

فقضيت ليالٍ لم أذق فيها طعم النوم؛ أفكر كيف سأطرح الموضوع عليهم، فخططت لما سأقوله، وماذا سيكون ردهم، وكيف سأجيب

عليه.

لم يسبق لوالدتها أن حدثتها بهذه الطريقة من قبل، فشعرت بريدا بمزيج من العاطفة والندم؛ كان من الممكن أن يستمتعا بالكثير من هذه اللحظات، ولكن، كان كل منهما مستغرقًا في عالمه، وفي القيم التي بناها وتبناها لنفسه.

- وقبل أن أقابل والدك بيومين، كنت سأتكلم مع والديّ، فنظرت في عينيه، ورأيت ضوءًا خاصًا فيهما، كما لو كنت قد تقابلت مع أفضل شخص تمنيت أن ألتقي به في حياتي.

- نعم لقد مررت بنفس التجربة.

- بعد أن قابلت والدك، أدركت أيضًا أن بحثي قد انتهى، لم أعد أرغب في أية تفسيرات أخرى للحياة، ولم أشعر بالإحباط لعيشي هنا في تلك القرية، ولكوني أرى نفس الناس وأقوم بنفس الأعمال؛ فقد بدا لي أن كل يوم مختلف بسبب الحب العظيم الذي جمع بيننا .

وبدأنا نتواعد، ونخرج سويًا، ثم تزوجنا، ولم أتكلم معه مطلقًا عن رغبتي في العيش في مدينة كبيرة، وفي اكتشاف أماكن أخرى، وأشخاص آخرون؛ لأنني شعرت أن قريتي قد اتسعت لتشمل العالم بأسره، وأصبح الحب هو تفسيري للحياة.

- لقد ذكرت شخصًا آخر يا أمي

فردت أمها:

- دعيني أريك شيئًا.

فسارتا إلى أسفل الدرجات التي تؤدي إلى الكنيسة الكاثوليكية في القرية، التي تم تدميرها وإعادة بنائها عبر السنين، حيث اعتادت بريدا الذهاب إلى القداس في أيام الآحاد من كل أسبوع، وتذكرت وهيَ صغيرة، عندما كانت تتسلق تلك الدرجات بصعوبة بالغة، وفي

بداية كل امتداد لكل بهو، كان يوجد تمثال لأحد القديسين – القديس بولس على اليسار، والقديس جيمس على اليمين – وقد ظهرت عليه بعض آثار التلف بفعل الوقت والسائحين، وكانت الأرض مغطاة بأكملها بالأوراق الجافة، كما لو كان فصل الخريف هو القادم وليس الربيع.

كانت الكنيسة على قمة هذا التل، وكان يستحيل عليهم رؤيتها من مكانهم؛ بسبب تلك الأشجار الكبيرة الملتفة التي تحجب الرؤية، فجلست والدتها على أول هذا الدرج، ودعت بريدا للجلوس.

قالت الأم:

- هذا هو المكان الذي حدث به الأمر، ففي ظهيرة يوم ما، لسببٍ أو لآخر، قررت المجيء إلى هنا من أجل الصلاة، وقد شعرت برغبة في أن أكون وحيدة، أفكر في حياتي، ووجدت أن الكنيسة هي المكان المناسب لذلك.

وعندما جئت إلى هنا، قابلت رجلًا جالسًا هنا، مكانك بالضبط، وبجانبه حقيبتان، وتبدو على ملامحه علامات الضياع، يتصفح بيأسٍ شديد كتابًا يحمله بين يديه، ففكرت، أنه ربما يكون سائحًا يبحث عن فندق، فذهبت إليه، وتحدثت معه، فبدت عليه علامات الدهشة لبعض الوقت، ثم لم يلبث أن استرخى وأنس لحديثي.

علمت أنه ليس تائهًا، فهو عالم آثار وسوف يتجه إلى الشمال– حيث توجد بعض الآثار – حالما يأتي فني إصلاح السيارات؛ لإصلاح محرك سيارته، ولهذا، قرر أن يزور الكنيسة في وقت انتظاره، وسألني عن هذه القرية، وعن القرى الأخرى المجاورة، وعن الآثار التاريخية.

وفجأة، شعرت بأن كل مشكلاتي قد تلاشت تمامًا، كما لو كان سحرًا؛ فقد شعرت بذاتي وبأهميتي، وبدأت أحدثه عن كل شيء أعرفه، وشعرت أخيرًا أن كل السنوات التي قضيتها في هذه المنطقة،

قد أتت ثمارها ، وأصبح لها معنى؛ فكان أمامي رجل قام بدراسات عن الشعوب والمجتمعات، وربما يحمل في ذاكرته معلومات، قد استقاها مني ويقدمها للأجيال القادمة، فأخبرته بكل ما أعرفه،لقد جعلني هذا الرجل أشعر بأهميتي في هذا العالم ، وهذا هو أعظم شعور يمكن للفرد أن يشعر به.

ثم تحدثنا عن أشياء أخرى، فأخبرته بمدى فخري واعتزازي بقريتي، فأجابني ببعض الكلمات المقتبسة من كاتب لا أتذكر اسمه الآن، شيء ما عن كيفية فهمك لقريتك تساعدك على فهم العالم بأسره.

فأجابتها بريدا:

- إنه تولستوي.

ولكن والدتها لا زالت مبحرة في ذكرياتها، كما فعلت بريدا يومًا ما، غير أن والدتها، لم تحتجْ إلي تطاير الكاتدرائيات في الفضاء، ولا المكتبات التي توجد تحت الأرض، ، فكل ما طلبته هو تذكر الربيع في هذه الظهيرة، وتذكر الرجل الذي جلس على هذه الدرجات، وهو يحمل تلك الحقائب.

تحدثنا لبعض الوقت، ولأن لقاءنا مرهون بقدوم فني السيارات؛ قررت أن استفيد من كل لحظة، فسألته عن عالمه، عن التنقيب عن الآثار، والتحديات التي تواجهه في حياته، فكلمني عن المحاربين والحكماء والقراصنة، الذين سكنوا في هذه البلدة سابقًا.

وقبل أن أدرك كم مر من الوقت، لاح لي أن الشمس قد هبطت في الأفق، لم أشعر بمرور الوقت، ولم يسبق لي أن شعرت بهذا الشعور من قبل، وشعرت أنه يشعر بنفس الشيء، فظل يسألني بعض الأسئلة؛ في محاولة منه للحفاظ على مجرى الحوار، كي لا يمهلني وقتًا أقول فيه بأن علي المغادرة؛ فقد أراد هو الآخر أن يعرف كل شيء عني، ورأيت في

عينيه الرغبة بى، رغم أني في هذا الوقت، كنت تقريبًا ضعف عمرك الآن.

كنا في فصل الربيع، حيث يهب نسيم الهواء محملًا بروائح الأزهار، وبراعم الفواكه، والثمار، فشعرت بأني قد عدت صغيرة السن مرة ثانية، وكان هناك نوع من الورود، لا تزهر سوى في الخريف، فشعرت في هذه الظهيرة، أني مثل هذه الزهرة؛ فالحب لا يكبر مع الجسد، فالمشاعر هي جزء من عالم لا أعلمه. هو عالم لا يعرف الزمان، ولا المكان، ولا الحدود.

بقيت صامتة لبعض الوقت، وعيناها ما تزال شاردة، تفكر في هذا الربيع البعيد.

كنت كالمراهقة في الثامنة والثلاثين من عمري تقريبًا، وأشعر أن شخصًا يريدني ويرغب بى، لم يرد أن ينصرف، توقف فجأة عن الحديث، ونظر إلى عينيّ بعمق، ثم ابتسم، فبدا وكأنه أدرك بقلبه ما أفكر فيه، أراد أن يخبرني أنّي أمثل له الكثير من الأهمية، ولبعض الوقت لم نقل شيئًا، التزمنا الصمت، ثم ودع كل منا الآخر ،ولم يكن قد وصل الفني بعد.

ولكثير من الأيام، تساءلت، ما إذا كان لهذا الرجل وجود، أم أنه ملَكٌ أرسله الرب؛ ليعلمني أسرار الحياة،وفي النهاية، قررت أنه رجل من الواقع وقد أحبني، حتى ولو لظهيرة يوم واحد؛ فقد منحني كل شيء عرفه في حياته، وقد شاركني في كل شيء: أحزانه، أفراحه، صراعاته، وأحلامه.

وفي ظهيرة ذلك اليوم، قد أسلمت له كل كياني– فكنت رفيقته، وزوجته وجمهوره، وحبيبته. ففي تلك الساعات القلائل، ذقتُ الحب مدى الحياة.

نظرت الأم إلى ابنتها ، وتمنت أن تكون قد فهمت ما تعنيه، ولكنها

شعرت أن بريدا تعيش في عالم ليس فيه مكان لهذا النوع من الحب.

- لم أتوقف عن حب والدك ليومٍ واحد. فكان دائمًا بجانبي، يفعل ما بوسعه، وأريد أن أكون بجانبه حتى النهاية، ولكن القلب شيء غامض، ومازلت لا أفهم على وجه التحديد ما الذي حدث في هذه الظهيرة، ولكن ما أعرفه، هو أن مقابلتي مع هذا الرجل منحتني الثقة، وأظهرت لي أني ما زلت قادرة على الشعور بالحب، وأن يحبني شخص ما، وقد علمتني شيئًا آخر لن أنساه : العثور على شيء مهم في هذه الحياة، لا يعني التخلي عن باقي الأشياء المهمة فيها.

ومازلت أفكر فيه من وقت لآخر، أريد أن أعلم أين هو، وإذا ما عثر على ما كان يبحث عنه في تلك الظهيرة، أريد أن أعلم هل ما يزال على قيد الحياة، أو أن روحه قد فاضت إلى بارئها، أعلم أنه لن يعود إلى هنا ثانيةً؛ ولهذا أحبه بهذه القوة، وبهذا اليقين؛ لأني بهذا لن أفقده مطلقًا.

قامت والدتها ،وقالت:

- الأفضل لي أن أعود إلى المنزل، وأنهي رداءك

أجابتها بريدا:

- أعتقد أني سوف أبقى هنا لبعض الوقت.

ثم مالت على وليدتها وقبلتها برفقٍ وحنان:

- أشكرك؛ فقد استمعت لي باهتمام، هذه هي المرة الأولى التي أحكي فيها هذه القصة؛ لقد كنت خائفة من أن أموت قبل أن أرويها لأحد، وأن تُمحى من على وجه الأرض، أما الآن، فستحفظين هذا الأمر عني.

صعدت بريدا تلك الدرجات، ووقفت خارج الكنيسة ذات المبنى الدائري الصغير، التي تعد مصدر فخر لتلك المنطقة؛ حيث كانت أولى دور العبادة للديانة المسيحية التي شُيدت في أيرلندا، ويأتي لزيارتها السائحون والدارسون كل عام، ولم يبق من البناء الأصلي للقرن الخامس عشر سوى بعض الأجزاء في الأرضية، وتحتوي كل منطقة مهدمة، على بعض الأجزاء السليمة، حيث يمكن للزائر أن يقتفي تاريخ الأنماط الهندسية المتعددة التي تتألف منها هذه الكنيسة .

وقفت بريدا بالخارج، تستمع إلى صوت الموسيقى المنبعثة من داخل الكنيسة، وكان كل شيء منمقًا وموضوعًا بنظام داخلها، وأي شخص يدخل عبر أبوابها، لا يجب أن يقلق على أي شيء؛ فليس هناك قوى غامضة، ولا ليال مظلمة تدعو الفرد إلى الإيمان بدون فهم، ولا حديث عن حرق الأشخاص على محارق وأوتاد. كل العقائد الموجودة على الأرض تتعايش مع بعضها كالحلفاء،؛ للمساهمة في عودة البشر مرة أخرى إلى الرب، ولكن جزيرتها كانت مستثناة من هذا التعايش المسالم – ففي الشمال مازال بعض الأشخاص يقتلون بعضهم بعضًا تحت شعار الدين- ولكن لابد لهذا الأمر أن ينتهي؛ فالرب قد بيّن لنا الطريق: هو الكريم، وسوف ينقذنا جميعًا.

((إنني ساحرة)).

هكذا قالت لنفسها؛ لتقاوم رغبتها المتزايدة في دخول الكنيسة؛ فتعاليمها الآن أصبحت مختلفة، حتى وإن كان ربهم وربها واحدًا، والتعاليم من نفس الرب، فإن دخولها عبر تلك الأبواب سوف يدنس هذا المكان، و يدنسها هي الأخرى.

أشعلت سيجارة، وشردت عيناها بين الأفق، وهي تحاول أن تطرح تلك الأفكار عن ذهنها، وبدلًا من ذلك، فكرت في أن تهرع لوالدتها وتخبرها، أنه في خلال يومين سيتم استهلالها في أسرار السحر العظيمة، وأنها سافرت عبر الزمن، واكتشفت القوة الكامنة في الجنس، و

تستطيع أن تخمن الأشياء الموجودة في واجهة المحلات عن طريق حكمة القمر، إنها تحتاج إلى الحب والتفاهم أيضًا؛ لأن لديها الكثير من القصص التي لا تستطيع إخبار أحد بها.

توقفت الآلة عن العزف، وسمعت بريدا مرة أخرى الأصوات داخل القرية، سمعت الطيور وهي تغني، والرياح التي تدفع الأغصان والأوراق إلى الاحتكاك، فتصدر حفيفًا ينبئ بقدوم الربيع، وصوت باب فتح ثم أغلق ثانية في مؤخرة الكنيسة، مما يعني أن شخصًا ما قد غادر، وللحظة رأت نفسها أيام طفولتها في أيام الآحاد، وهي تقف حيث هي الآن، وقد شعرت بالقلق لأن الحشود كانت كبيرة، وكان يوم الأحد هو اليوم الوحيد الذي يتسع لها الوقت فيه لتكتشف الحقول.

((لابد أن أدخل)).

فربما تفهم والدتها مشاعرها في تلك اللحظة، ولكنها الآن بعيدة عنها، ولا يوجد أمامها سوى كنيسة خاوية، هي لم تسأل ويكا بالتحديد عن دور المسيحية في كل شيء حدث، كان يراودها شعور أنها لو دخلت عبر هذا الباب، فسوف تخون كل أخواتها اللاتي حرقن في المحارق.

قالت في نفسها:

((ولكنني عندها سوف أحرق أنا الأخرى))

تذكرت الصلوات، التي تلتها ويكا في الذكرى السنوية لحرق الساحرات، وقد ذكرت فيها المسيح والسيدة العذراء، لقد كان الحب أقوى من أي شيء آخر، وليس هناك كراهية في الحب.

وأخيرًا، دخلت الكنيسة، لم يكن هناك أحد غيرها، سوى بعض الشموع المضاءة التي تنبئ أن شخصًا، تولى مهمة إشعالها هذا الصباح؛ ليحيي ويجدد تحالفه مع القوى التي لا يراها، ولكن يشعر بها فقط، كي يعبر ذلك الممر الكائن بين العالم المرئي وغير المرئي، وقد ندمت

على أفكارها قبل دخول الكنيسة : لا يمكن تفسير أي شيء هنا أيضًا؛ يجب على البشر أن يخوضوا التجربة، وأن ينغمسوا في الليلة المظلمة من الإيمان، وكان الكائن الباسط ذراعيه أمامها، هو ببساطة، الإله.

إنه لا يستطيع مساعدتها، لقد كانت وحيدة مع قراراتها، ولا يستطيع أحد أن يساعدها، لقد تعلمت أن تجازف، فليست لديها نفس مميزات الرجل المصلوب أمامها، الذي علم يقينًا مهمته؛ لأنه كان نصف إله، لقد كان معصومًا عن الأخطاء والزلل؛ فلم يعرف مشاعر الحب العادية، كل ما يعرفه هو الحب للرب، وكل ما احتاج إليه، هو أن يكشف حكمته، وأن يعلم البشر الطريق الصحيح للجنة.

ولكن هل كان هذا كل شيء؟

تذكرت قداس الآحاد، عندما بدا الكاهن ملهمًا على غير المعتاد، وكان يشرح ذلك الجزء الخاص بالمسيح، حينما كان يتعرق دمًا بينما يصلي إلى الرب، ويدعوه أن يزيل تلك الكأس الذي أجبر على الشرب منها.ثم طرح الكاهن عليهم سؤالًا

((لكن، لماذا يفعل ذلك، إذا كان يعرف بالفعل أنه ابن الرب؟)).

((لأنه علم ذلك بقلبه فقط، فلو كان واثقًا تمامًا، فستكون مهمته بلا معنى؛ لأنه لن يكون بشريًا تمامًا، وكونك بشريٌ فهذا يعني أن لديك شكوكًا، وعندها سوف تستمر في طريقك.

ثم نظرت مرة أخرى على الصورة، وشعرت لأول مرة في حياتها بقربها منها. ربما كان هناك رجل خائف ووحيد يواجه الموت ويسأل:

((أيها الأب، أيها الأب، لماذا تخليت عني؟)).

إذا قال ذلك؛ فربما لأنه لم يكن متأكدًا إلى أين يسير، فقد أخذ الفرصة، وانغمس في الليلة المظلمة كما يفعل الرجال، وهو يعلم أنه سوف يجد الإجابة في نهاية الرحلة، وعاش وسط القلق؛ من اتخاذ

قرارات بترك والده ووالدته وقريته الصغيرة؛ ليذهب بحثًا عن أسرار الرجال وأسرار القانون .

ولو أنه عايش كل هذا، فلابد أنه قد عرف الحب، حتى وإن لم تذكر الأناجيل ذلك – فالحب بين الأشخاص العاديين هو أشد صعوبة في الفهم من الحب للكيان الأعظم- لكنها الآن تذكرت ذلك، فعندما صعد مرة أخرى، فإن أول من ظهر له كان امرأة، تلك المرأة التي رافقته حتى النهاية.

ثم بدا لها التمثال الصامت، وكأنه يوافقها الرأي؛ فقد عرف الناس، والخمر، والخبز، والحفلات، وكل الأشياء الجميلة في هذا العالم، ومن المستحيل أنه لم يعرف الحب لامرأة، تلك التي تعرق دمًا على جبل الزيتون بسببها؛ لأنه لو ذاق طعم الحب لأي شخص على هذه الأرض، سوف يكون من الصعب عليه أن يترك الأرض، ويضحي بروحه من أجل البشر.

لقد تعامل مع كل شيء تقدمه الحياة، وبرغم ذلك، واصل رحلته وهو يعلم أن الليلة المظلمة، يمكن أن تنتهي به إما على صليب، أو على محرقة.

- أيها الرب، نحن في هذه الحياة؛ لنخوض المخاطر في الليلة المظلمة، إني أخشى الموت، لكن ما أخشاه أكثر من الموت، هو أن تضيع حياتي هباءً، وأهاب الحب لأنه يحتوي على أشياء تفوق فهمنا ، فهو يلقي ضوءًا من نوعٍ خاص، ولكن ما يخيفني هو ما يلقيه هذا الضوء من ظلال.

أدركت فجأة، أن ما تقوم به الآن، هو تلاوة الصلوات، وأن هذا الإله- البسيط، الصامت، الواقف أمامها- ينظر إليها، ويفهم كلامها، بل ويأخذه على محمل الجد.

ولبعض الوقت، جلست تنتظر ردًا منه، ولكنها لم تسمع شيئًا، ولم

تر أي علامة، فكان الجواب أمامها في هذا الرجل المثبت على الصليب؛ فقد قام هذا الرجل بدوره، وأوضح للعالم أنه إذا ما قام كل شخص بواجبه، فلن يعاني أي شخص؛ لأنه عانى في سبيل أولئك الذين لديهم الشجاعة بأن يقاتلوا من أجل أحلامهم.

ثم وجدت بريدا نفسها تنتحب بصوتٍ خفيض، وهي لا تدر السبب الذي دفعها لهذا البكاء والنحيب.

كانت السماء ملبدة بالغيوم، ولكنها لم تمطر، فقد عاش لورنس في هذه المدينة لسنوات كثيرة، وعرف شكل السحب بها، فنهض وذهب إلى المطبخ؛ لإعداد القهوة ثم انضمت إليه بريدا، عندما بدأت المياه في الغليان.

فقال لها:

- لقد أويت إلى الفراش في وقت متأخر جدًّا الليلة الماضية.

فلم تجب عليه.

ثم استطرد:

- اليوم يومك، وأعلم كم هذا اليوم مهم بالنسبة لك، ولذا أرغب في أن أكون بجوارك.

فقالت بريدا:

- إنه احتفال.

- ماذا تعنين بذلك ؟

- نعم، إنه احتفال، وطوال المدة التي قضيناها معًا ذهبنا إلى العديد من الحفلات، فأنت مدعو أيضًا.

خرج الساحر؛ ليرى إذا ما كانت أمطار الليلة الماضية قد أتلفت النباتات في حديقته، ولكنها كانت بخير؛ فابتسم إلى نفسه؛ يبدو أن قوى الطبيعة تظهر بعض التعاون أحيانًا.

ثم فكر في ويكا ، فهي تستطيع أن ترى هالة الضوء التي توجد على كتفيهما ؛ فهي تظهر لكليهما فقط، ولكنها متأكدة من طاقة الضوء التي تسري بينه وبين طالبتها ، فالساحرات هم قبل كل شيء نساء.

وقد وصفت حكمة القمر رؤية هذه الهالة بـ (رؤية الحب).

وقد تخيل أن مشاعر الحب سوف تملأ روحها بالغضب الأنثوي، هذا النوع من الغضب الذي شعرت به زوجة الأب "لسنو وايت" ، ودفعها إلى عدم السماح لأي امرأة أخرى أن تكون أكثر جمالًا منها.

وعلى الرغم من أن ويكا معلمة ، وتدرك تمامًا مدى سخافة مشاعر الغضب ، على كل حال ؛ لابد وأن يكون لون طيفها قد تغير.

يمكن أن يذهب إليها ويقبل خديها ، ويقول أنه يستطيع رؤية ومعرفة مشاعر الغيرة التي تعتريها الآن، ستنكر في بادئ الأمر، ولكن ما أن يسألها عن سبب شعورها بالغضب، ستتعلل بأنها امرأة، ولا تحتاج لشرح مشاعرها ، سيُقبلها على وجنتيها مرة أخرى؛ لأن ما تقوله صحيحًا ، ثم يعبر لها عن مدى اشتياقه لها ، في الفترة التي قد افترقا خلالها ، وأنه مازال يعجب بها أكثر من أي امرأة أخرى في العالم، ما عدا بريدا لأنها رفيقة روحه .

وحيث أن ويكا امرأة عاقلة ، وحكيمة ، فسوف تشعر بالسعادة.

ثم جال في فكره:((لقد تقدمت كثيرًا في العمر، حتى صرت أتخيل حوارات وأحاديث من وقع خيالي)).

ثم أدرك أن خيالاته ليست بسبب التقدم في العمر؛ وإنما لوقوعه في الحب، فهكذا يفعل الرجال الغارقون في الحب .

سعدت ويكا كثيرًا عندما توقفت الأمطار، وتفرقت تلك السحب المليئة بالغيوم قبل حلول الليل، فلابد للطبيعة وأن تتعاون مع البشر.

ثم اتخذت كل الخطوات اللازمة، وقام كلٌ بدوره، وأصبحت كل الأشياء في موضعها.

ذهبت إلى المذبح، واستحضرت روح معلمها، وطلبت منه الحضور هذه الليلة؛ فهناك ثلاث ساحرات سيتم استهلالهن، وهي المسؤولة عن استهلالهن.

ثم ذهبت إلى المطبخ لعمل القهوة، وقامت بعمل عصير البرتقال، وبعض الخبز المحمص، ورقائق البسكويت السادة، وهي تتأمل جمالها، فمازالت تلك السيدة تعتني بجمالها ومظهرها، وتوليه الكثير من الاهتمام؛ لأنها تعلم مدى جمالها، ولم تهمله؛ حتى تثبت لنفسها وللآخرين أنها ليست جميلة فقط، ولكنها أيضًا امرأة ذكية وقادرة.

وبينما تقلب قهوتها، وذهنها شارد تمامًا، تذكرت يومًا مثل هذا اليوم منذ عدة سنوات مضت، عندما اختتم معلمها قدرها مع الأسرار العظيمة، وللحظة، حاولت أن تتذكر ما كانت عليه وقتها، والأحلام والآمال التي كانت تحملها في قلبها.

ثم قالت بصوتٍ عالٍ:

((لابد أنني أتقدم في العمر، أبحر في ذكريات الماضي بينما أجلس على مقعدي هذا)).

ثم احتست قهوتها وبدأت في الإعدادات، فمازال أمامها الكثير لتفعله، وهي تعلم تمامًا أنها لا تتقدم في العمر، ففي عالمها، لا قيمة لمرور الوقت.

تملكت الدهشة من بريدا؛ عندما رأت عددًا كبيرًا من السيارات على جانبي الطريق، وقد انجلت سماء الصباح الملبدة بالغيوم، وانقشع ضبابها واستبدلت سماء صافية، ثم تلاشت آخر آشعة الشمس، وعلى الرغم من أن الهواء مازال محملًا ببرودة قارسة تسري في الأبدان، غير أن ذلك هو أول أيام فصل الربيع .

استحضرت بريدا حماية الأرواح الموجودة في الغابة، ونظرت إلى لورنس الذي أخذ يردد نفس الكلمات، ولكنه كان يتعتع في نطقها، وبدت على ملامحه السعادة لقدومه إلى هذا المكان، فإذا أرادا البقاء سويًّا؛ فلابد لكل منهما أن يدخل في عالم الآخر وواقعه من حينٍ لآخر، فبينهما أيضًا ممر يربط بين المرئي واللامرئي، فالسحر موجود في كل فعل يقومون به.

سارا سريعًا حتى وصلا إلى الغابة، ومن ثم إلى العراء، وقد أعدت بريدا نفسها الآن لما رأته، رجال ونساء من كل الأعمار، ومما لاشك فيه أنهم يمتهنون الكثير من المهن، وقد تجمعوا اليوم في مجموعات وهم يتحدثون، ويحاول كل منهم أن يبدو طبيعيًّا، وأن يجعل هذا الاحتفال يبدو كما لو كان طبيعيًّا ومألوفًا، على الرغم من شعورهم بالارتباك والحيرة، ولورنس وبريدا لا يمثلا استثناء من بين هؤلاء الحضور.

وقد التفت لورنس إلى بريدا وسألها:

- هل كل هؤلاء الأشخاص جزء من الاحتفال؟

لم يكن يتوقع هذا الكم الكبير من الحضور .

اختارا جانبًا ليضعا فيه أغراضهما، ومن بينها الحقيبة التي تحتوي على رداء بريدا، وثلاث زجاجات كبيرة من النبيذ، فقد طلبت ويكا من كل الحاضرين أن يحضروا معهم، زجاجة كبيرة من النبيذ لكل شخص، سواء كان مشاركًا أم ضيفًا، وقبل أن يغادرا المنزل، سألها لورنس عن الضيف الآخر، فأخبرته بريدا أنه الساحر الذي سبق وأن

ذهبت إلى زيارته بين الجبال، فلم يفكر لورنس في هذا الأمر كثيرًا، ولم يوله اهتمامًا زائدًا.

. سمع لورنس صوت امرأة بالقرب منه تتحدث قائلة:

- تخيلوا ماذا سيقول أصدقائي عندما يعلمون أني كنت في عطلة حقيقية للساحرات.

عطلة الساحرات، هذا الاحتفال الذي أبقى على الدم المسكوب والنيران، وعلى عصر المنطق والعفو، ثم حاول لورنس أن يطمئن نفسه بأن هناك الكثير من الأشخاص مثله، وعلى الرغم من ذلك فقد سارت في جسده قشعريرة باردة كالثلج، تملكت جسده بأكمله؛ عندما رأى أكوامًا من الخشب في منتصف هذه المنطقة الخالية.

وكانت ويكا تتحدث إلى بعض الأشخاص، ولكن ما أن رأت بريدا حتى جاءت إليها، وسلمت عليها، وسألت عن حالها، فشكرتها بريدا على ما أظهرته نحوها من عطف وود، ثم قدمت إليها لورنس.

ثم قالت:

- لقد قمت بدعوة شخص آخر أيضًا.

فنظرت إليها ويكا وهي مندهشة، ثم اتسعت ابتسامتها، فقد كانت بريدا متأكدة تمامًا من أن معلمتها تعي تمامًا من تقصده.

ثم قالت ويكا:

- إنني سعيدة، بعد كل هذا، إنه احتفاله أيضًا، فقد مضى الكثير من الوقت منذ أن رأيت هذا الساحر العجوز، ربما تعلم شيئًا أو بعض الأشياء الجديدة خلال هذه المدة.

وصل المزيد من الأشخاص، ولم تستطع بريدا أن تعرف إن كانوا من الضيوف أم من المشاركين، وبعد نصف الساعة وصل عدد الحضور إلى حوالي المائة، وتجمعوا جميعًا في الخلاء وهم يتحدثون بصوتٍ

خفيض، طلبت ويكا من الجميع التزام الصمت.

ثم قالت:

- نعم، إن هذا التنظيم هو مراسم شعائرية، ولكنه أيضًا احتفال، ولا يمكن أن يبدأ أي احتفال بدون أن يملأ الجميع كؤوسهم.

ثم فتحت زجاجتها، وملأت كأس الشخص الذي بجوارها، وبعدها تدفقت زجاجات الخمر، وبدأت الأصوات تعلو، لم تشأ بريدا أن تحتسي الخمر؛ فمازال في خيالها صورة حقل القمح، الذي أراها فيه رجل المعابد السرية لحكمة القمر، كما أن الضيف الذي تنتظره لم يأت بعد .

وعلى الجانب الآخر، بدأ لورنس الشعور بالراحة والاسترخاء أكثر من ذي قبل، وبدأ يتجاذب أطراف الحديث مع الأشخاص من حوله.

ثم قال لبريدا وهو يبتسم:

- يالها من حفلة رائعة بالفعل!

لقد جاء إلى هنا، وهو يتوقع شيئًا غير مسبوق، ولكن وجدها مجرد حفلة وأروع بكثير من الحفلات التي يقيمها أصدقاؤه العلماء.

ثم رأى رجلًا ذا لحية بيضاء يقف بعيدًا، وبعد جهد، عرف أنه أستاذ بالجامعة؛ فارتبك لورنس ولم يعرف كيف يتصرف، ولكن بعد فترة، تعرف عليه أستاذ الجامعة هو الآخر، ثم رفع كأسه تحية للورنس.

شعرت بريدا بالراحة؛ فمطاردة الساحرات لم تعد مستمرة، ولم يعد أحد يتعاطف من أجلهم.

سمعت بريدا شخصًا ما يقول:

- إنها أشبه بنزهة.

نعم، لقد كانت أشبه بنزهة، وقد أريكها هذا الشعور كثيرًا؛

لقد توقعت شيئًا يتسم بمراسم الطقوس الشعائرية، أكثر من مجرد عطلة للساحرات، مثل التي ألهمت جويا والقديس سين و بيكاسو، ثم التقطت الزجاجة من جانبها وبدأت في الشراب.

الاحتفال، عبور الجسر الذي يربط بين المرئي وغير المرئي عن طريق الاحتفال، دفعها الفضول لتعرف؛ كم من الأشياء المقدسة يمكن أن تحدث في جو دنيوي.

خيم الليل سريعًا، واستمر الناس في الشراب، بينما هدد الليل الجميع بقدومه، ولاحت أولى عوارضه، قام أحد المجتمعين بإشعال النيران للإضاءة- وليس كجزء من الطقوس والشعائر- فقد كانت النار في الماضي مجرد مصدرًا للضوء والإنارة، تلتف حوله النساء للتحدث عن الرجال وتجاربهم السحرية، وعلاقاتهم الخاصة، ومقابلاتهم مع إنكوبي وسكوبي، وهما أكثر شياطين العلاقات الخاصة التي تبث الرعب في النفوس في العصور الوسطى، الحفلة: هي الاحتفالية والمهرجان الشعبي الكبير، و الاحتفال الممتع للربيع، والأمل في عصر كان من يشعر فيه بالسعادة، كأنه خارج على القانون ويتحدى النظام؛ لأنه لا يشعر الفرد بالسعادة في عالم خُلق خصيصًا لمحاربة الضعفاء، وقد أغلق ملوك الأرض على أنفسهم أبواب قلاعهم الحصينة، وجلسوا يُحدقون في النيران الموجودة في الغابات، ويشعرون كما لو أنهم قد تمت سرقتهم وخيانتهم – فهؤلاء الفلاحون تواقون إلى السعادة، وليس من السهل على فرد ذاق طعم السعادة، أن يشعر بالحزن مرة أخرى، ويعتاد عليه، فالفلاحون عندها، سيتوقعون أن يكونوا سعداء على مدار العام بأكمله، وبالتالي سوف يشكلون خطرًا وتهديدًا على النظام السياسي والديني.

قام أربعة أو خمسة أشخاص، أصابهم شيئ من الثُمالة، بالالتفاف حول النيران؛ ربما تقليدًا لاحتفالية الساحرات وطقوسهن، ووسط هؤلاء الراقصين، رأت بريدا إحدى النساء اللاتي سيتم استهلالهن، وقد رأتها بريدا من قبل، في يوم احتفال ويكا بذكرى استشهاد الأخوات،

فهالتها الصدمة؛ لقد توقعت أن طلاب حكمة القمر، سوف يتصرفون بطريقة أكثر تحفظًا في حضرة هذا المكان المقدس، ثم تذكرت الليلة التي قضتها مع الساحر، وكيف عمل الشراب على إعاقة التواصل فيما بينهما أثناء رحلتهما عبر الزمن.

ثم سمعت شخصًا ما يقول

- إن أصدقائي سوف يقتلهم الحسد؛ فهم لن يصدقوا أنني هنا.

لقد كان وصفًا زائدًا عن الحد، إنها تحتاج أن تبتعد قليلًا لتعي ما يدور حولها، وأن تقاوم رغبتها المتزايدة في الرحيل، إلى منزلها قبل أن تفقد إيمانها بكل شيء تعلمته، على مدار عام كامل تقريبًا، أخذت أعداد الأشخاص الذين يرقصون حول النار يزداد شيئًا فشيئًا، بعضهم كان يصفق ويغني، وآخرون يضربون على أعناق الزجاجات الفارغة، بالعصي، والمفاتيح، وكأنهم يُحافظون على حركة الوقت من حينٍ لآخر.

ثم قالت للورنس:

- أريد أن أتمشى قليلًا.

وقد احتشد حوله جمهرة من الناس، الذين انبهروا بما يقوله لهم عن النجوم القديمة، وعن المعجزات التي تم اكتشافها في الفيزياء الحديثة، ولكن، ما أن قالت له بريدا ذلك، ترك كل هذا، وسألها:

- هل ترغبين أن أرافقك؟

- لا، أفضل أن أكون بمفردي.

ثم تركت ذلك الحشد من الناس، وانطلقت إلى الغابة، وقد ازدادت أصوات الحضور وارتفعت، وبدا الصوت صاخبًا أجشًا — صوت الثُمالة، والتعليقات، والأشخاص الذين يلعبون لعبة السحرة والساحرات، حول النيران- أصبحت الصورة مشوشة، ومختلطة في رأسها، لقد انتظرت

كثيرًا من أجل هذه الليلة، لكن الأمر بدا وكأنه مجرد احتفال آخر، مثل الحفلات التي يأتي إليها الناس ليأكلوا، ويحتسوا الخمر، ويتبادلوا النكات والطرائف، ثم يتلوا الخطب العصماء، عن الحاجة الملحة لمساعدة الفقراء والمنكوبين في العالم.

ثم بدأت تسير في أرجاء الغابة، وهي تحاول إبقاء صورة النيران بين ناظريها، واتخذت طريقًا يسمح لها برؤية الصخرة المركزية من أعلى، على الرغم من أن المشهد من أعلى كان محبطًا للغاية : فقد اشتغلت ويكا بالدوران حول المجموعات المختلفة، وهي تحاول الاطمئنان بسؤال الجميع الذين يلتفون حول النيران، إذا ما كان كل شيء على ما يُرام، وقام بعض الرفقاء بتبادل أولى قبلاتهم الثملة، وكان لورنس يتحدث وهو مفعم بالحيوية والنشاط إلى رجلين، ربما عن أمور ملائمة لجو الحانات، ولكن ليس لاحتفال مثل هذا، ثم دخل إلى الغابة أحد الأشخاص المتأخرين عن موعد الحفل.

لقد تعرفت عليه بريدا من طريقة سيره.

إنه الساحر !!!

هرعت بريدا من فورها إلى الحفل؛ فقد أرادت اللحاق به قبل أن يصل إلى الحفل، فهي تحتاج إلى مساعدته كما كان يفعل في السابق؛ لقد أرادت أن تعرف وتفهم ما الذي يحدث حولها.

ويكا بارعة في تنظيم الحفلات.

هذا ما جال برأس الساحر وهو يقترب من الحفل؛ فقد استطاع أن يرى ويشعر بتدفق الطاقة النابعة من الحضور، وفي تلك المرحلة من الطقوس، يجب التأكد والاطمئنان من أن كل الضيوف على نفس طول الموجة، ففي أول استهلال له انتابته الصدمة من كل ما يرى، وتذكر نداءه لمعلمه وسؤاله عما يجري .

فسأله معلمه بطريقة مثيرة للاستفزاز؛ لأنه قطع عليه حوارًا ممتعًا قائلًا:

- ألم يسبق لك أن ذهبت إلى احتفال من قبل؟.

فرد عليه الساحر بالإيجاب، فبالطبع قد ذهب إلى احتفالات كهذه.

- وما هو الشيء الذي يميز الاحتفال، وما الغرض من وراءه؟.

- أن يستمتع الجميع.

فقال معلمه:

- لقد أقام البشر الحفلات منذ أن كانوا يعيشون بالكهوف، فهم أول مجموعة قاموا بالشعائر، وقد حملت حكمة الشمس على عاتقها أن تحيي هذه الشعيرة؛ فالاحتفال الجيد يطهر عقل كل من يشارك فيه، ولكن من الصعب حدوث ذلك؛ فعدد قليل من الأشخاص يُمكن أن يُفسد الجو العام لهذا الاحتفال، باعتقادهم أنهم أكثر أهمية من الآخرين، ومن الصعب إسعادهم، فهم يظنون أنهم يهدرون أوقاتهم؛ لأنهم لا يستطيعون التواصل مع الآخرين، وينتهي بهم الأمر، أن يكونوا ضحايا الشكل الغامض للعدالة الشعرية: فهم يميلون إلي التقليل من شأن الأشخاص، الذين تمكنوا من التواصل مع الآخرين، وتذكر أن أول طريق إلى الله هو الصلاة، والثاني هو السعادة.

لقد مضت سنوات كثيرة على هذا الحوار، وقد اشترك الساحر في

كثير من هذه الاحتفالات منذ ذلك الوقت، وقد علم أن هذه الاحتفالية قد تم تنظيمها بشكل جيد، وقد بدأ مستوى الطاقة الكلية يزداد تدريجيًا.

بحث عن بريدا، فقد كان هناك الكثير من الأشخاص، ولم يعتد هذا الرجل على الزحام، وقد علم أنه بحاجة إلى المشاركة في هذه الطاقة الكلية، وقد أعد نفسه لذلك، ولكنه يحتاج أولًا أن يعيد تأقلمه مع هذا الجو الذي أضحى غريبًا عنه بعض الشيء، وبريدا تستطيع مساعدته في هذا الأمر، فسوف يشعر براحة أكثر عندما يجدها.

لقد كان ساحرًا، ويعلم بأمر هالة الضوء، وكل ما يحتاجه الآن، هو أن ينبه إدراكه، وسوف يرى هالة الضوء الخاصة برفيقة روحه، وسط هذا الزحام، لقد بحث عن ذلك الضوء لسنواتٍ، والآن هو على بعد خطوات منه.

نبه الساحر حالة الإدراك لديه، ونظر مرة ثانية إلى الحضور، ولكن بمفهوم ونظرة جديدة، واستطاع أن يرى مدىً واسعًا من الأضواء لأطياف مختلفة الألوان، ولكن تميل كل الألوان إلى اللون الغالب على ذلك الطيف الضوئي.

ثم دار برأسه مرة أخرى:

((إن ويكا معلمة بارعة بالفعل، وتعمل بسرعة كبيرة، فسريعًا سوف تعمل كل ترددات الطاقة التي تحيط الأجساد وفق تردد واحد، وعندها سوف يبدأ الجزء الشعائري لهذا الحفل)).

التفت يمينًا ويسارًا، ثم حدد بقعة الضوء التي يريدها، وقرر أن يفاجئها ويقترب منها دون أن يصدر أدنى صوت.

ثم قال:

- بريدا.

فالتفت رفيقة روحه.

- لقد ذهبت بريدا للتنزه قليــــلًا

!!!

لم تكن بريدا.. ، وإنما شاب قد أجابه بكل أدب على سؤاله.

نظر الساحر إليه للحظة، بدت وكأنها الدهر بأكمله.

فقال لورنس:

- لابد، أنك الساحر الذي حدثتني عنه بريدا، إنها لن تغيب طويلًا.

ولكن بريدا أصبحت بالفعل تقف أمام الرجلين وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، وقد اتسعت عيناها، و على الجانب الآخر من النار، لا حظ الساحر أن أحدًا ما يرمقه بنظرات يعرفها ويألفها، ولكنه لا يستطيع أن يرى بقعة الضوء التي لديه؛ لأن هالة الضوء للفرد لا تظهر إلا لرفيق روحه، وكانت تلك النظرات عميقة وقديمة، لا تصدر إلا من شخص يعلم حكمة القمر، ولديه علم بقلوب الرجال والنساء.

لقد كانت ويكا، فاستدار الساحر وقابلها، فابتسمت إليه من الجانب الآخر من النار، ولم تستغرق سوى جزء من الثانية لكي تفهم كل شيء.

كانت بريدا هي الأخرى تنظر مشدوهة إلى الساحر، وعيناها مرتكزتان عليه في سرور وسعادة بالغة، فها قد حضر الساحر أخيرًا.

ثم قالت:

- أريد أن أقدم لك لورنس.

وفجأة أصبحت الحفلة مليئة بالمتعة والسمر، ولم تشعر بحاجتها إلى أية تفسيرات.

مازال الساحر في تلك الحالة من الوعي والإدراك، ثم رأى أن لون هالة الضوء الخاصة ببريدا، تتغير بسرعة إلى اللون الذي اختارته ويكا وحددته لإقامة حفلتها، لقد كانت بريدا سعيدة بحضوره، وأي شيء سيقوله أو يفعله، من الممكن أن يفسد حفل استهلالها، فيجب عليه أن يتحكم في مشاعره.

فقال للورنس:

- أنا مسرور لرؤيتك، ما رأيك في أن تسكب لي كأسًا من النبيذ؟

فابتسم لورنس وأمسك بالزجاجة ثم قال:

- مرحبًا بك معنا، أنا متأكد أنك سوف تستمتع بالحفلة.

شردت ويكا ببصرها بعيدًا، ثم أطلقت تنهيدة عميقة؛ فبريدا لم تلاحظ شيئًا، لقد كانت بريدا تلميذة مجتهدة، و ويكا تكره أن تنحيها عن احتفال الليلة؛ لأنها فشلت في أبسط خطوة على الإطلاق، بعدم مشاركتها في البهجة الجماعية والساحر يستطيع الاعتناء بنفسه.

لقد كان لدى الساحر سنوات من العمل والنظام خلفه، وسيكون قادرًا على الحفاظ على مشاعره، لفترة تكفي حتى يستبدل تلك المشاعر مع شخص آخر، احترمت ويكا محاولته المضنية، ومثابرته؛ لإخفاء مشاعر الحزن لديه حتى لا يفسد المزاج العام لهذه الليلة، ولكنها شعرت بالخوف من قوته الهائلة.

تحدثت مع القليل من الأشخاص الآخرين المدعوين في الحفل، ولكنها لم تستطع التغلب على مشاعر الدهشة التي اعترتها مما رأته......

((ألهذا السبب، أعار الساحر بريدا كل هذا الاهتمام، إن هذه الفتاة هي قبل كل شيء ساحرة مثل باقي الساحرات، التي قضت الكثير من مراحل الإحياء؛ حتى تتعلم حكمة القمر)).

فقد كانت بريدا هى رفيقة روحه.

((حدسي الأنثوي لا يعمل بشكل جيد؛ لقد تخيلت كل شيء ما عدا أكثر الأشياء وضوحًا)).

واست نفسها، فعلى الأقل كانت نتيجة فضولها إيجابية: لقد كان ذلك هو الطريق الذي اختاره الرب لها؛ لكي تتمكن من إعادة اكتشاف تلميذتها.

رأى الساحر شخصًا يعرفه وسط الزحام؛ فاستأذن للذهاب والتحدث إليه، ولكن بريدا كانت تأنس لوجوده، وتستمع بوجوده بجانبها، ولكنها شعرت أنه من الأفضل أن تدعه يذهب، فقد أخبرها حدسها الأنثوي أنه من الأفضل له وللورنس ألا يقضيا الكثير من الوقت سويًا؛ فمن الممكن أن يصبحا صديقين، وعندما يقع رجلان في حب امرأة واحدة، فمن الأفضل لهما أن يصبحا عدوين؛ لأنهما إذا صارا صديقين، فسوف تفقد كليهما.

نظرت إلى الأشخاص الملتفين حول النار، وشعرت برغبة فجائية في الرقص؛ فطلبت من لورنس أن يرافقها، تردد قليلًا، ثم واتته الشجاعة، ووافق على طلبها، ومازال الحضور يلتفون حول النار، ويصفقون وهم يحتسون الخمر ويضربون على أعناق الزجاجات الفارغة، وكلما مرت على الساحر أثناء رقصها، يبتسم لها ويرفع كأسه تحية لها، فقد كانت هذه الليلة من أفضل ليالي عمرها.

انضمت ويكا إلى دائرة الراقصين، حيث كان الجميع يشعر بالراحة والاسترخاء؛ فالربيع قد جاء، ويحتاجون إلى الاحتفال؛ ليملأوا نفوسهم بالإيمان، في أيام المستقبل المشرق، وينسون قدر الاستطاعة، الليالي الكئيبة والموحشة التي قضوها في منازلهم، والوحدة تقطع أواصرهم.

ثم ارتفع صوت التصفيق؛ فقد نظمت ويكا الإيقاع، أصبح منتظمًا، وعلى فترات زمنية متساوية، وكانت أعين الجميع مسلطة على النيران، ولم يشعر أحد بالبرد؛ فقد بدا الطقس كما لو كان في الصيف، وبدأ الأشخاص بجانب النيران ينزعون عنهم معاطفهم.

فقالت ويكا:

- دعونا نغنى !

ثم غنت أغنية بسيطة من بيتين، وكررتها عدة مرات، وبعد ذلك

أخذ الجميع في الغناء معها؛ فقد اعتبرها البعض تعويذة سحرية، ولكن لا يهم، فالمهم هو صوت هذه الكلمات وليس معناها، لقد كان صوت اتحاد المواهب، مع من لديهم القدرة على الرؤى السحرية، مثل الساحر، والمعلمين الآخرين الموجودين في هذا الاحتفال.

أصاب لورنس الملل من الرقص؛ فانضم إلى العازفين، وابتعد بعض الأشخاص عن النار، وبعضهم فعل ذلك لشعورهم بالتعب، والبعض الآخر فعل ذلك؛ لأن ويكا طلبت منهم الإبقاء على استمرار الإيقاع، ولم يلاحظ هذا التغير سوى الذين سيتم استهلالهن اليوم، فقد شعرن أن الحفلة بدأت الدخول في النطاق المقدس، وقريبًا سوف يخلو المكان حول النيران، من الأشخاص ما عدا هؤلاء النساء من حكمة القمر، والساحرات اللائي سيتم استهلالهن هذه الليلة .

وحتى طلاب ويكا من الذكور، قد توقفوا عن الرقص؛ فاستهلال الذكور يختلف عن النساء، ويحدث في موعد آخر، والذي كان يتحول شيئًا فشيئًا في الشكل النجمي، الموجود فوق النيران، كان الطاقة الأنثوية، طاقة التحول، تلك الطاقة الموجودة منذ القدم.

شعرت بريدا بحرارة الجو؛ ولم يكن بسبب الخمر، فلم تحتس الكثير منه، ولكن، ربما بتأثير ألسنة النيران المشتعلة بالقرب منهم، وظهرت لديها رغبة شديدة في خلع قميصها الفوقي، ولكنها قاومت تلك الرغبة بشدة؛ لأنها شعرت بالخجل، ولكن سرعان ما فقد هذا الخجل كل معانيه؛ عندما بدأت في التصفيق والغناء هذه الأغنية البسيطة، ورقصت حول النيران، وأصبحت الآن عيناها مرتكزتين على ألسنة اللهب، وعندها شعرت بأن أهمية هذا العالم، بدأت تتضاءل شيئًا فشيئًا، وهذا الشعور كان يشبه إلى حد بعيد، ذلك الشعور الذي راودها عندما كشفت لها أوراق التارو أسرارها لأول مرة .

ثم فكرت:

«يبدو أني سوف أدخل في طورٍ من أطوار السحر الآن، ولكن، ما

النتيجة؟ هذه الحفلة مليئة بالمتعة!)).

وبينما لورنس يضرب على الزجاجة في إيقاع منتظم، جال بذهنه:

((يا لهذه الموسيقى الغريبة)). فأذناه التي تعودت الاستماع إلى جسده، لاحظت أن إيقاع التصفيق، وصوت الكلمات، يترددان بالضبط في منطقة الوسط من صدره، كما حدث له عندما سمع صوت (طبلة الباس) في إحدى حفلات الموسيقى الكلاسيكية، والشيء الغريب، أن هذا الإيقاع يبدو وكأنه يملي على القلب الضربات الذي سوف يقوم بها.

وعندما أسرعت بريدا في الإيقاع، أسرع قلبه في النبض أيضًا، ولابد أن نفس الشيء يحدث للجميع.

وعندها قام الجزء العلمي من تفكيره بتحليل الموقف قائلًا:

((تم ضخ المزيد من الدم إلى عقلي)). ولكنه كان جزءًا من طقوس الساحرات، ولم يكن ليتطرق إلى فكره مثل هذا الأمر، فيمكن أن يتحدث إلى بريدا عن هذا الأمر لاحقًا.

ثم قال بصوتٍ عالٍ:

- إنني في حفلة وأريد أن أستمتع.

ثم صاح رجل بجانبه:

- اسمعوا، اسمعوا !

ثم ازدادت سرعة تصفيق ويكا شيئًا قليلًا.

ثم أصبحت حرارة النيران لا تُطاق، وقد بدا العالم بعيدًا، ولم تعد تأبه للأشياء السطحية، فهي مازالت على قيد الحياة ومازال الدم يتدفق داخل جسدها، وقد أسلمت جسدها وروحها لبحثها هذا، فلم يكن الرقص حول النار شيئًا جديدًا عليها، غير أن هذا الإيقاع قد أيقظ ذكرياتها الكامنة، عندما كانت معلمة لحكمة الزمن، ولم تكن

وحيدة، فالحفلة قد أعادت لقاءها مع نفسها بالحكمة، والتراث، التي حملته طوال فترات تجسيداتها المختلفة في فترات إحيائها المختلفة، ثم شعرت بإجلال واحترام لذاتها.

لقد عادت ثانية في صورة جسد، وبالروعة هذا الجسد الذي عادت إليه؛ ذلك الجسد الذي حارب منذ ملايين السنين؛ من أجل البقاء في عالم عدائي، فقد عاشت في البحار، وزحفت على الأرض، وتسلقت الأشجار، والآن، تشعر بالفخر لأنها تقف على قدمين، فيستحق هذا الجسد الإجلال، والاحترام؛ لصراعه لفترات طويلة من أجل البقاء، فليس هناك أجساد جميلة أو قبيحة؛ لأن الجميع يسلك نفس المسار، فكلها تجسيدات للجزء المرئي من الروح الذي يسكنها.

لقد شعرت بالفخر العميق لجسدها.

فنزعت عنها قميصها الفوقي.

ولم تكن ترتدي حمالة للصدر، ولم تكترث لهذا؛ فقد كانت فخورة بجسدها ولا يستطيع أحد أن ينتقدها أو يلومها على ذلك، حتى ولو بلغت من العمر أرذله، فستظل فخورة بجسدها؛ لأنه من خلال الجسد تقوم الروح بأداء وظيفتها ومهامها، ففعلت النساء الأخريات حول النار ذلك.

ثم حررت الحزام عن بنطالها، ووقفت عارية تمامًا، فشعرت أنها أكثر حرية من أي وقتٍ مضى، ولم يكن هناك سبب لقيامها بهذا الأمر، ولكنها قامت بذلك؛ لأن التعري كان هو الطريقة الوحيدة، لإظهار مدى حرية الروح في تلك اللحظة، ولا يعنيها وجود أشخاص آخرين يرتدون كامل ملابسهم وينظرون إليها، فكل ما أرادته هو أن يشعروا بأجسادهم كما شعرت هي بجسدها، فقد استطاعت أن ترقص بحرية، ولم يعق حركتها أي شيء، وكان الهواء يلمس كل ذرة من جسدها، وكان الهواء كريمًا معها؛ فقد أحضر معه أسرارًا وعطورًا من أماكن بعيدة، ألبسها من رأسها حتى أخمص قدمها.

لاحظ الرجال وباقي الضيوف الذين يضربون زجاجات الخمر، أن النساء الملتفات حول النار أصبحن عاريات تمامًا، فصفقوا، وتشابكت أيديهم وقاموا بالغناء - أحيانًا بصوتٍ رقيق، وأحيانًا بصوتٍ أجش تكسوه الرغبة- ولم يعرف أحد، من الذي ينظم الإيقاع؟ هل الذين يضربون على زجاجات الخمر؟ أم التصفيق؟ أم الموسيقى؟. فقد بدا كل منهم على وعي بما سيحدث، ولكن، لم يملك أحد منهم الشجاعة أن يكسر سير هذا الإيقاع، وفي هذه المرحلة من الطقوس، أكبر مشكلة تواجه المعلم هي ألا يدرك أحد أنهم يقومون بطورٍ من أطوار السحر؛ فهم يحتاجون إلى التظاهر بأنهم تحت السيطرة والتحكم، حتى وإن لم يكونوا كذلك، ولم تكن ويكا تخالف القانون، الذي ينص على عدم التلاعب بالإرادة الحرة للآخرين؛ لأن كل الأشخاص الموجودين، يعرفون أنهم يحضرون احتفال الساحرات، وأن الحياة تعني بالنسبة للساحرات التواصل مع العالم.

وحينما تنتهى تلك الأمسية،وتصبح مجرد ذكرى، لن يستطيع أحد البوح بما رآه، لم يكن هناك تحريم بهذا الشأن، ولكنهم جميعًا يشعرون بوجود قوة عظيمة غامضة لا يستطيع شخص أن يتحداها.

ثم قالت المرأة المتشحة بالسواد حتى كاحل قدميها:

- هيا، استديروا.

وكانت هي المرأة الوحيدة، التي مازالت ترتدي ملابسها، بينما كانوا جميعًا عراة، وهم يرقصون ويصفقون ويدورون.

وضع رجل بجانبها كومة من الملابس، ثلاثة منهم سوف يتم ارتداؤها لأول مرة، اثنين على نفس الطراز والتصميم، وهما لشخصين لهما نفس الموهبة التي اتخذت نفس الشكل المادي للرداء الذي حلمت به كل امرأة .

ولم يكن هناك حاجة إلى تصفيق ويكا؛ فالآخرين قد استمروا في

فعل ذلك كما لو كانت هي من يمسك زمام الأمور.

ثم ركعت على الأرض، وقد ضغطت على رأسها بإبهام كل يد ، من كلا الجانبين، وبدأت في إعمال القوى.

وقد حضرت كل من قوى حكمة القمر، وحكمة الزمن، وقد كانت قوى خطيرة جدًا، لا تستطيع الساحرات استحضار مثل هذه القوى، إلا بعد أن يصبحن معلمات، وعلى الرغم من علم ويكا بهذه القوى، فقد طلبت من معلمها الحماية أولًا.

في هذه القوى، تكمن حكمة الزمن، حيث توجد الحيات الحكيمة، والقوية، ولا يستطيع أحد قهرها سوى العذراء، بسحق رأسها تحت قدميها؛ ولهذا صلت ويكا للعذراء أيضًا؛ لتطلب منها طهارة الروح، وثبات اليد، والحماية من عباءتها؛ لكي تحل القوة على تلك المرأة التي تقف أمامها، بدون إغوائهم أو السيطرة على أي منهم.

وبينما وجهها إلى السماء، و بصوت ثابت، تلت كلمات القديس بولس:

((إذا لوث أي شخص معبد الرب، فسيقوم الرب بتدميره؛ لأن معبد الرب مقدس، وهذا المعبد هو أنت.

لا ينبغي على أي شخص أن يخدع نفسه، وإذا بدا على أي شخص من بينكم الحكمة في هذه الحياة؛ فهذا لأنه أحمق، ولهذا يكون حكيمًا.

لأن الحكمة في هذه الحياة تعني الحماقة، ولأنها مكتوبة؛ فهو يأخذ الحكمة من الأشخاص الذين يدعون البراعة والمكر.

وثانيةً، فإن الرب يعلم تمامًا أفكار الحكماء، وأن لهم عظيم الفائدة.

ولهذا لا تدع أي مجد يلحق بالبشر؛ لأن كل الأشياء تخصك أنت.

أبطأت ويكا إيقاع التصفيق ببعض الحركات القليلة بيدها، فأصبح النساء يلتفون بطريقة أكثر بطئًا، واستطاعت ويكا أن تبقي القوة تحت السيطرة، واستطاعت كل الفرقة أن تقوم بعمل جيد تمامًا، كما هو المطلوب من أعلى نغمة إلى أهدى نغمة، ولتحقيق ذلك؛ احتاجت إلى مساندة القوى، ولكن بدون الاستسلام إليها بالكلية.

فصفقت بكلتا يديها، وقامت بالأصوات اللازمة، ثم تراجع الجميع عن العزف والرقص تدريجيًا، وجاءت الساحرات إلى ويكا، والتقطن ثيابهن - ولم يبق سوى ثلاث نساء عاريات، وفي هذه اللحظة كان قد مر ساعة وثمان وثلاثون دقيقة على العزف المتواصل، ولم يفقد أي من الحضور إدراكه لما يقومون به، والمكان الذي يتواجدون فيه، سوى الثلاث نساء العاريات.

وقد دخلن في طورٍ من أطوار السحر لم ينتهين منه، فمسكت ويكا بخنجرها الشعائري، وركزت كل طاقتها نحوهن.

فسوف تظهر مواهبهن قريبًا ، فتلك هي طريقتهن في خدمة العالم، بعد أن سلكوا مسالك عظامٍ، وأخيرًا، وصلن إلى مرادهن، وقد اختبرتهم الحياة بكل الطرق الممكنة، وكانوا يستحقون كل ما وصلوا إليه، وما حققوه، وسيستمرون على ضعفهم في حياتهم اليومية، شأنهم شأن البشر جميعًا، وسيقومون بأفعالهم من الخير و الشر، ويحيون على السراء والضراء، شأنهم شأن من يحيا على هذه الأرض، حتى تأتي لحظة ما، ويعلم كل منهم أن كل شخص يحمل بين جنبيه شيئًا أكثر أهمية من ذاته، وهي بالتحديد موهبته الخاصة؛ لأن الرب قد وضع في يد كل شخص موهبة، وهي الأداة التي استخدمها الرب ليكشف عن ذاته أمام العالم بأسره، وقد اختار الرب البشر ليكونوا خلفاءه على أرضه.

البعض قد أتى ليفهم موهبته عبر حكمة الشمس، والآخر عبر حكمة القمر، ولكن الجميع في النهاية، علموا ماهية موهبتهم، حتى

ولو كلفهم الأمر، المرور على عدة تجسيدات ومراحل للإحياء لفعل ذلك.

ثم وقفت ويكا بجانب الصخرة العظيمة، بجانب الكهنة والساحرات في ملابسهن السوداء، حيث كن ملتفين حولها مشكلين نصف دائرة.

ثم نظرت إلى النساء الثلاث العاريات:

- تعالين إلى هنا.

سارت المرأة إلى نصف الدائرة، وطلبت منهم ويكا أن يستلقوا ووجوههم للأرض، ويد كل منهم ممدة، لتشكل صليبًا.

وعندما رأى الساحر بريدا ممدة على الأرض، حاول أن يركز على هالة الضوء لديها، ولكنه رجل، والرجل دائمًا ما ينظر إلى جسد المرأة.

لم يشأ أن يتذكر، ولم يرد التفكير في ما إذا كان يعاني أم لا، لقد كان على وعي بشيء واحد فقط، أن مهمته مع رفيقة روحه قد انتهت ثم قال لنفسه:

((من المخزي أنك لم تقض معها سوى القليل من الوقت، ففي وقتٍ ما من الزمن كانا يشتركان في نفس البدن، ويشعران بنفس الألم، ونفس السعادة، وربما سارا سويًا إلى الغابة، وحدقا بسماء الليل، حيث تتلألأ نفس النجوم التي تبرق الآن، ابتسم من معلمه الذي جعله يقضي كل هذا الوقت في الغابة وحيدًا؛ لكي يجعله يفهم مقابلته مع رفيقة روحه)).

وهكذا كان الحال مع حكمة القمر؛ فكل إنسان مجبر على تعلم ما يحتاج إلى تعلمه، وليس ما يرغب في تعلمه، وشعر من أعماق قلب الرجل الذي بداخله، أنه يريد أن ينتحب لوقتٍ طويل، ولكن في قلب الساحر شعور بالامتنان للغابة.

نظرت ويكا إلى النساء المستلقيات عند أقدامها، ثم شكرت الرب؛

على أنها تستمر في أداء نفس العمل، الذي تقوم به منذ فترات الإحياء المختلفة التي مرت بها، فلم يكن طريق حكمة القمر منهكًا، فقد تم تقديس تلك المنطقة الخالية من الغابة، على يد الكهنة السيلتيك منذ غابر الأزمان، ولم يبق سوى القليل من طقوسهم، وربما تكون تلك الصخرة الكبيرة قد تم نقلها بواسطة البشر، ولكن القدماء كان لديهم من العلم، ما يمكنهم به نقل تلك الصخور بواسطة الوسائل السحرية، فقد شيدوا الأهرامات، والمراصد الفلكية، والمدن الكاملة في الجبال التي تقع في شمال أميركا، باستخدام قوى معلومة لحكمة القمر، ومثل هذه المعلومات لم يكن البشر بحاجة إليها، ولهذا تم محوها من الزمن؛ لكي لا تتحول إلى طاقة مدمرة، غير أنها وبدافع الفضول، أرادت ويكا أن تعلم الطريقة التي كانوا يستخدمونها للقيام بذلك.

فقد حضرت بعض الأرواح السلتيكية، وألقت عليهم التحية، لقد كانوا معلمين توقفت مراحل الإحياء لديهم، ولهذا أصبحوا جزءًا من تنظيم الأرض السري؛ فبدونهم وبدون قوة معلوماتهم، سوف يفقد الكوكب مساره، وفوق الأشجار على اليسار من الخلاء، كان يحوم المعلمون السلتيك في الهواء، بأجسادهم النجمية الشكل، محاطة بالضوء الأبيض الشديد عبر الأزمان والعصور، فقد اعتادوا القدوم إلى هنا في كل عيد للربيع، عندما يتساوى مقدار الليل مع النهار؛ ليتأكدوا ويطمئنوا أنه قد تم صيانة الحكمة والتراث.

ثم قالت ويكا بصوتٍ يكسوه ثقة محققة:

- قد استمر الاحتفال بأعياد الربيع، حتى بعد أن اختفت الثقافة السلكتية من التاريخ الرسمي للعالم؛ لأنه لا يستطيع أحد القضاء على حكمة القمر سوى الرب.

ثم راقبت الكهنة لوقتٍ طويل، وتساءلت:

- ما الذي سيفعلونه للبشر اليوم؟

هل شعروا بالحنين للأيام التي اعتادوا فيها المجيء إلى هذا المكان، عندما كان التواصل مع الرب أبسط وأكثر مباشرة؟

فكرت ويكا أن هذا ليس صحيحًا، وتأكد حدسها.

فإن حديقة الرب تم إنشاؤها من عواطف البشر، ولكي يحدث ذلك؛ توجب على البشر أن يعيشوا لفترات طويلة، في عصور مختلفة، وغالبًا ما كانوا يتخذون عادات وتقاليد مختلفة، وكأي مكان على وجه الأرض، كان الإنسان يتبع مساره التطوري وكل يوم يكون أفضل من اليوم السابق، حتى ولو نسى الإنسان دروس اليوم السابق، حتى ولو اشتكى وادعي ان الحياة غير عادلة.

لأن مملكة الجنة، مثل البذرة التي يزرعها الرجل في الأرض؛ فهو ينام ويستيقظ بالليل والنهار، ولا يعرف كيف نبتت، وقد حُفرت تلك الدروس في روح العالم، وخُلِقت من أجل مصلحة البشرية كلها، وكان مهمًا أن يكون هناك أشخاص، مثل هؤلاء المدعوين لحضور تلك الحفلة، الذين لا تساورهم المخاوف، بشأن الليلة المظلمة كما وصفها القديس جون الصليبي. وكل خطوة وكل عمل يعمله الفرد بدافع الإيمان، يخلص البشرية بأسرها، ويجددها، وطالما وُجد بعض الأشخاص، الذين علموا أن الجنون في نظر الرب، هو حكمة البشر؛ فسوف يستمر العالم في طريق النور.

شعرت بالفخر من تلاميذها ذكورًا وإناثًا؛ فقد أثبتوا قدرتهم على التضحية بعالم التفسيرات المنمقة واللطيفة، من أجل التحدي باكتشاف عالم جديد.

نظرت مرة ثانية إلى النساء العاريات المستلقيات على وجوههن إلى الأرض، و حاولت إلباس كل واحدة منهن مرة أخرى، بلون الضوء الذي ينبعث منها، فكل واحدة منهن تهيم الآن عبر الزمن، وتلتقي بالعديد من رفقاء الروح، الذين قضوا وانتهى أمرهم، وانطلاقًا من هذه الليلة، تستطيع كل واحدة منهن أن تتولى المهام المنوطة بها منذ أن خُلقن،

وكانت واحدة منهن فوق الستين عامًا، ولكن العمر ليس له أهمية؛ المهم، أنهن في نهاية الأمر أصبحن وجهًا لوجه مع القدر، الذي ينتظرهن، ومن الآن فصاعدًا، سوف يستخدمون قدراتهم للحفاظ على بعض النباتات الخاصة في حدائق الرب؛ فقد جاءت كل واحدة منهن الليلة؛ لحاجة في نفسها تختلف عن صاحبتيها- الفشل في علاقة عاطفية، أو الشعور بالملل من الحياة الروتينية، أو ربما للبحث عن القوة- لقد سبق لهن أن قابلن الخوف، والقصور، ومواطن ضعفهن، والأشياء المحبطة التي تغير على من يسلك طريق السحر، ولكن الواقع أصبح الآن مختلفًا؛ فقد وصلن إلى المكان الذي يردن الوصول إليه؛ لأن أيد الرب دائمًا ما تمتد إلى من يسلكون طريقهم متسلحين بالإيمان .

لا يزال الساحر ينظر إلى بريدا ، كما كان يشعر بالقليل من الحسد لويكا؛ التي تمكنت من البقاء بجانبها لوقتٍ طويل، وفكر في نفسه:

((إن حكمة القمر طريق خلاب، ويأسر القلوب بمعلميه وطقوسه الخاصة، ولكن هناك حكمة أخرى أيضًا، ولكن، طريقها أشد صعوبة؛ لأنها أكثر بساطة، والأشياء البسيطة تبدو دائمًا أكثر تعقيدًا ، فقد عاش معلموها في العالم ولم يلحظوا أهمية ما يعلمونه؛ لأن الدافع وراء تدريس تلك التعاليم، غالبًا ما كان دافعًا سخيفًا؛ فقد كانوا نجارين، وشعراء، ورياضيين، وأشخاصًا من كل المهن، وعاشوا في أرجاء متفرقة من هذا العالم ، وقد شعروا بالحاجة إلى التحدث مع شخص ما؛ ليعبروا له عن شعور راودهم، ولم يستطيعوا فهمه، وكان من المستحيل عليهم إبقاء وإخفاء هذه المشاعر بداخلهم، وعدم البوح بها، وقد كانت تلك هي الطريقة التي حفظت بها حكمة الشمس وجودها ، وهو الدافع وراء الخلق.

وحيثما وُجِد الناس، وُجِدت آثار حكمة الشمس، ربما تمثلت في صورة نحتية كتمثال، أو منضدة، أو بيتين من قصيدة ما تناقلتها الأجيال، فالأشخاص الذين تتحدث، وتتكلم حكمة الشمس من

خلالهم، كانوا أشخاصًا مثل الآخرين، ولكنهم في صباح ما، أو ليلة ما، نظروا إلى العالم، فشعروا بوجود كيان ما أكبر وأعظم، ثم انغمسوا بلا وعي، في بحار المجهول، ولم يقوموا بذلك مرة أخرى، فكل واحد يمتلك سر الكون، على الأقل في مرحلة تجسيدية واحدة من مراحل الإحياء التي يعيشها .

فوجدوا أنفسهم فجأةً قد انغمسوا في الليلة المظلمة، ولكن لأنه ينقصهم ما يكفي من الإيمان بالذات، فنادرًا ما يعودون إليها مرة أخرى، وهذا القلب المقدس الذي يمد الكون بالحب، والسلام، والسكينة، يجد نفسه مرة أخرى محاطًا بالأشواك.

كانت ويكا تشعر بالسعادة؛ لأنها معلمة حكمة القمر، فكل من يأتي إليها يكون شغوفًا بالعلم، بينما يكون معظم الدارسين لحكمة الشمس في غياب عما تعلمه الحياة لهم.

ولكن ذلك لا يهم؛ فعصر المعجزات قد عاد، ولا يستطيع الجميع، الاستمرار في عدم المبالاة للمتغيرات التي ستطرأ على الحياة والكون، وفي خلال بضعة سنين، سوف تكشف حكمة الشمس عن نفسها، بكل تألقها، وبريقها، وسوف يشعر بالخيبة؛ كل من لم يختر طريقه بعد، وعندها سيكون الفرد مجبرًا على الاختيار: وسوف يكون عليهم، إما الرضوخ لخيبة الأمل والألم، أو إدراك أن كل شخص خُلِق كي يكون سعيدًا. وبعد أن يتخذوا قراراتهم، لن يكون أمامهم أي اختيار، سوى التغيير والنضال ، وعندها سوف يبدأ الجهاد الأكبر.

رسمت ويكا بحركة ماهرة، دائرة في الهواء بخنجرها، وبداخل تلك الدائرة المرئية، رسمت نجمة ذات خمس رؤوس، التي تسميها الساحرات الشكل المخمس، الذي كان رمزًا لعناصر العمل في الجنس البشري، ومن خلالها، سوف تستطيع النساء المستلقيات على الأرض، التواصل مع عالم الضوء .

قالت ويكا:

- أغلقن أعينكن.

وقامت ويكا بحركات شعائرية بالخنجر، فوق رأس كل واحدة منهن.

- والآن، افتحن عيني روحكن.

فتحت بريدا عين روحها، فوجدت نفسها داخل صحراء، وبدا المكان مألوفًا لها .

فتذكرت أنها قد سبق لها المجيء إلى هنا مع الساحر.

فتلفتت حولها، لكنها لم تستطع رؤيته، وعلى الرغم من ذلك، لم تشعر بالخوف، بل شعرت بالهدوء والسعادة، لقد كانت تعلم من هي، ومكان منزلها، وعلمت أن هناك حفلة في مكان ما عبر الزمن، ولكن لا يهم ذلك؛ لأن المكان كان بديعًا بشكل كبير: لقد كان هناك الرمال ،والجبال، والصخرة الكبيرة.

ثم جاءها صوت يقول:

- مرحبًا بك.

فانتبهت، وجدت رجلًا يقف بجانبها، يرتدي ملابس مثل التي يرتديها جدها.

- أنا معلم ويكا، فعندما تصبحين معلمة، سوف يجد تلاميذك ويكا هنا، وهكذا حتى تظهر وتتجلى أخيرًا روح العالم نفسها.

قالت بريدا:

- أنا في طقوس الساحرات ...احتفال الساحرات.

فضحك المعلم.

- لقد وجدت طريقك، والقليل من الناس يملكون الشجاعة لفعل ذلك؛ فهم يفضلون اتباع طريق غير طريقهم، فلكل شخص موهبة، ولكنهم اختاروا ألا يروها ،أما أنت، فقد قبلت موهبتك، ولقاؤك مع موهبتك، هو لقاؤك مع العالم.

- ولكن، لماذا؟

- كي تتمكني من زراعة حدائق الرب.

فقالت بريدا:

- الحياة مازالت أمامي، أريد أن أحيا فيها مثل أي شخص آخر، أريد أن أرتكب الأخطاء، أن أكون أنانية، وأن يكون لدي بعض العيوب، مثل باقي البشر.

فابتسم المعلم، وظهر فجأة على يمينها عباءة زرقاء اللون.

- يمكنك أن تكوني قريبة من الناس، فقط، إذا كنت واحدة منهم.

ثم تبدل المنظر من حولها، فلم تعد في الصحراء، ولكنها أصبحت مغموسة في نوع من السائل، ويسبح حولها مخلوقات عديدة غريبة.

قال المعلم:

- إن الحياة تدور حول ارتكاب الأخطاء، فتبني الخلايا نفسها، بنفس الطريقة منذ ملايين السنين؛ حتى تحدث إحداها خطئًا وخللًا ما، وتحدث تغيرًا في تلك الدورة التي تتكرر بلا نهاية.

كانت بريدا تحدق في البحر، ولم تسأل كيف يستطيع هؤلاء الأشخاص التنفس هناك؛ فكل ما استطاعت سماعه هو صوت المعلم، وكل ما استطاعت التفكير به، هو رحلة مشابهة قامت بها من قبل، بدأت في حقل القمح.

فقال المعلم:

- الخطأ هو الذي جعل الحياة تتحرك، فلا تخافي من ارتكاب الأخطاء.

- ولكن، آدم وحواء قد طُردوا من الجنة.

- وسوف يعودون إليها يومًا ما، بعد أن علموا معجزات الجنة والأرض معًا، بل والكون بأكمله، لقد كان الرب يعلم ما يفعل، عندما جذب انتباههم إلى شجرة العلم والمعرفة، للخير والشر، فإذا لم

يرد لهم أن يأكلوا من تلك الشجرة، ما كان عليه ذكرها من البداية.

- إذن، لماذا فعل ذلك؟

- لكي يتحرك الكون.

ثم تغير المنظر، وعاد مرة أخرى إلى مشهد الصحراء والصخرة، مازال الوقت في الصباح، وقد تلون الأفق باللون الوردي، ثم جاء إليها المعلم بالعباءة.

- أعلنك مقدسة منذ هذه اللحظة، وأعلن أن موهبتك وقدرتك هي أداة الرب، وأتمنى أن تثبتي أنك مفيدة.

التقطت الرداء المخصص، لأصغر النساء الثلاث عمرًا، وحملته، وعلقته بكلتا يديها، ثم قامت بعرض رمزي للكهنة، الذين يظهرون في شكل نجمي، ويشاهدون كل شيء من فوق الأشجار، ثم عادت إلى المرأة الشابة.

قالت:

- قفي.

فوقفت بريدا، وقد انعكست ألسنة اللهب على جسدها العاري، ففي وقتٍ ما من الزمان، كانت تلتهم تلك الألسنة من اللهب جسدًا آخر، ولكن هذا الوقت قد انتهى.

- ارفعي يديك.

فرفعت بريدا يديها، ثم وضعت ويكا الرداء عليها.

ثم قالت للمعلم، وهو يلف العباءة حول جسدها:

- لقد كنتُ عارية، ولكني لم أشعر بالخجل.

- لولا الخجل، لما اتضح أمر آدم وحواء، وأكلهما من التفاحة المحرمة.

كان المعلم يراقب شروق الشمس، وبدا وكأنه مصروف الانتباه، لكن بريدا تعلم أنه لم يكن كذلك.

ثم قال لها:

- لا تشعري بالخجل مطلقًا، فقط اقبلي ما تمنحه لك الحياة، وحاولي أن تشربي من كل كأس؛ فيجب أن تتذوقي كل أنواع الخمور، فالبعض يؤخذ منه رشفة واحدة، والبعض يجب أن تشربي زجاجته بأكملها.

- وكيف لي أن أفرق بينهما.

- بالمذاق، يمكنك أن تعلمي النبيذ الجيد، إذا تذوقت النبيذ السيئ.

ثم أدرات ويكا وجه بريدا إلى النار، و ذهبت إلى المرأة الأخرى التي سيتم استهلالها؛ فسوف تقوم النيران بانتقاء واختيار طاقة موهبتها، ثم تظهرها لها، وفي تلك اللحظة، كانت بريدا تشاهد شروق الشمس، تلك الشمس التي سوف تضيء حياتها الباقية.

ثم قال المعلم بمجرد أن أشرقت الشمس

- والآن، يجب أن تذهبي.

فأخبرته بريدا:

- لست خائفة من موهبتي، أعلم أين سأذهب، وماذا سأفعل، وأعلم أن شخصًا ما ساعدني في الوصول إلى هنا.

لقد سبق لي المجيء إلى هنا، وكان هناك أشخاص يرقصون، ومعبد سري تم بناؤه للاحتفاء بحكمة القمر.

لم ينطق المعلم بشيء، استدار إليها، ثم رسم إشارة بيده اليمنى.

- لقد تم قبولك، لعل طريقك يكون مليئًا بالسكينة، في زمن

مليء بالسكينة، وبالراحة، في زمن مليء بالراحة، ولا تخلطي بين الأمرين.

وبدأت صورة المعلم تتلاشى، وتختفي مع الصحراء والصخرة، ولم يبق سوى الشمس، ولكن الشمس بدأت تتحد مع السماء، وبدأت السماء في الظلام، ثم بدأت الشمس تشبه إلى حدٍ بعيد ألسنة اللهب.

عادت بريدا وهي تتذكر كل شيء الآن : الضوضاء، التصفيق، الرقص، ونوبة السحر، وتتذكر أنها تجردت من ملابسها، أمام كل الأشخاص، والآن تشعر بالوهن إلى حد ما، ولكنها تتذكر لقاءها مع المعلم، ثم حاولت أن تسيطر على شعورها بالخجل، والخوف، والقلق- فسوف تلازمها تلك الأشياء، ويجب أن تعتاد عليها.

أما عن الثلاث نساء المبتدئات، اللاتي سوف يستهللن طريقهن في عالم السحر، فقد طلبت منهن ويكا أن يقفن في وسط نصف الدائرة، التي كونتها النساء، ثم مسكت كل واحدة منهن بيد الأخرى، وكونوا حلقة.

وقمن بالغناء، ولم يجرؤ أي شخص غيرهن، على متابعتهن في الغناء، وتدفقت الأصوات من أفواههن، التي تكاد تكون مغلقة وهي تخلق ترددًا غريبًا، وازدادت علوًّا وحدة، حتى أشبهت صيحات بعضهن صيحات الطيور الهائجة، وفي وقت ما في المستقبل، سوف تتمكن من القيام بهذه الأصوات، وسوف تتعلم المزيد من الأشياء، حتى تصبح معلمة هي الأخرى، وسوف تقوم باستهلال نساء ورجال آخرين في حكمة القمر.

ولكن، سوف يحدث كل ذلك في الميعاد المحدد، ولديها كل الوقت المدخر في العالم، حتى تجد قدرها مرة أخرى، وتجد من يساعدها، فالخلود هو مصيرها.

ثم بدا لها أن هناك ألوانًا مختلفة تحيط بجميع الأشخاص، ثم شعرت بريدا بالقليل من الحيرة، لقد أحبت العالم أكثر في الماضي.

ثم توقفت الساحرات عن الغناءو قالت ويكا:

- لقد انتهى الاستهلال، لقد أصبح العالم حقلًا، وسوف تعمل كل واحدة منكن، حتى تتأكد وتطمئن أنه يوجد حصاد جيد.

قالت إحداهن:

- أشعر بالكثير من الغرابة؛ فكل شيء يبدو براقًا.

- إن ما ترينه، هو مجال الطاقة التي تحيط بكل فرد، والهالة الخاصة بهم- كما نسميها- وهذه هي أول خطوة على طريق الأسرار العظيمة، وسوف يتلاشى هذا الإحساس سريعًا، وسوف أعلمكن كيف تضعفن من قدرته مرة ثانية.

وبحركة سريعة، قذفت ويكا خنجرها المقدس على الأرض، فالتصق بالأرض بشدة، وظل المقبض يهتز من قوة الارتطام.

ثم قالت:

لقد انتهى الاحتفال.

ذهبت بريدا إلى لورنس، ولاحظت كم كانت عيناه تلمعان، وشعرت بمدى فخره بها وحبه لها، فمن الممكن لهما أن يعيشا سويًا حتى يتقدما في العمر، وينسجا سويًا مسلكًا جديدًا لحياتهما، وأن يكتشفا العالم الذي أمامهما، ذلك العالم الذي ينتظر أشخاصًا ذوي شجاعة من أمثالهما.

ولكن، هناك رجلًا آخرًا أيضًا، قامت باختياره بينما كانت تتكلم مع معلم ويكا ، فهذا الرجل يمكنه أن يخرجها من عثراتها، وأن يقودها- بخبرته الواسعة، وبما بداخله من حب- عبر تلك الليلة المظلمة، التي تتجلى بها أبلغ وأسمى معاني الإيمان، وسوف تتعلم أن تحبه، وسوف يساوي حبها له قدر احترامها له، فكلاهما قد عبرا نفس الطريق إلى المعرفة، ولولاه، لما حققت ما وصلت إليه الآن، ومعه سوف تتعلم يومًا حكمة الشمس.

والآن، بعد أن تعلمت السحر على مر العصور والأزمان، وأصبحت ساحرة، وعادت حيث ينبغي أن تكون، فبدءًا من هذه الليلة سوف تكون الحكمة والمعرفة هي أهم الأشياء في حياتها.

ثم قالت للورنس:

- يمكننا المغادرة الآن.

وهو يحدق بإعجاب شديد في تلك المرأة المتشحة بالسواد، وعلمت بريدا أن الساحر سوف يرى رداءها أزرق تمامًا.

ثم حملت بريدا الحقيبة التي تحتوي على ملابسها الأخرى.

- انطلق أنت، واسبقني، وابحث لنا عن وسيلة مواصلات نركبها؛ فأنا أريد أن أتحدث إلى شخص ما.

فحمل لورنس الحقيبة، وانطلق في طريقه لمسافة قصيرة نحو طريق يؤدي إلى الغابة، فقد انتهت الطقوس، وعادوا إلى عالم البشر، وما

يحملونه من مشاعر حب، وغيرة، ثم دب الخوف في قلب بريدا مرة أخرى، فأصبحت تتصرف على نحو غريب.

وبينما يسير لورنس في طريقه وسط ظلام الليل، تحدث إلى الأشجار التي تحيط به قائلًا:

- لست متأكدًا من وجود الرب، ولكني لا أستطيع التفكير في هذا الأمر الآن؛ لأني أقف وجهًا لوجه مع عالم من الغموض والأسرار.

ثم شعر أنه يتكلم بطريقة مختلفة، وبثقة غريبة، لم يعهدها في نفسه من قبل، ولم يشعر بوجودها بداخله حتى تلك اللحظة، كان يعتقد أن الأشجار تستمع إليه. ربما لن يفهمني الأشخاص الموجودون هنا، وربما يقللون من شأني، ويحقرون جهدي، ولكن، أعلم أني على نفس القدر من الشجاعة مثلهم؛ لأني بحثت عن الرب، حتى وإن كنت لا أومن به، فلو صح وجوده، فهو رب الشجعان.

ثم شعر لورنس بيديه ترتعشان قليلًا.

لقد انقضت تلك الليلة، ولم يفهم شيئًا مما جري.

عرف أنه دخل في حالة أشبه بالغيبوبة أو الانتشاء، لكن، كان هذا كل شيء.

على كل حال، الحقيقة هى أنه ليس بيده شيئًا حيال الانغماس في تلك الليلة المظلمة، كما تسميها بريدا.

فنظر إلى السماء التي تغطيها سحب قليلة الارتفاع.

إن الرب هو رب الشجعان، وسوف يفهم الرب أمره؛ لأن الشجعان هم من يتخذون قرارات، بالرغم من الخوف، والقلق الذي يساورهم، ذلك الخوف الذي يزرعه الشيطان في كل خطوة على الطريق، ويصيبهم القلق بكل فعل يفعلونه، وهم يتساءلون، هل يفعلون الصواب أم الخطأ؟ وعلى الرغم من ذلك، فهم يفعلون؛ لأنهم يؤمنون أيضًا بالمعجزات مثل

الساحرات اللاتي رقصن حول النيران في هذه الليلة.

من الممكن أن يحاول الرب العودة إليه، عن طريق تلك المرأة التي تذهب الآن إلى رجل آخر، وإذا غادرت، ربما يتركه الرب إلى الأبد، لقد كانت هي فرصته؛ لأنها علمت أن أفضل الطرق لمعرفة الرب عن طريق الحب، فهو لا يريد أن يفقد فرصة رجوعها إليه، أخذ نفسا عميقا وشعر ببرودة الطقس وبهواء الغابة النقي داخل رئتيه، ثم قام بقسم مقدس لنفسه :

((إن الرب هو رب الشجعان)).

ذهبت بريدا إلى الساحر، وتقابلا أمام النيران، وخرجت الكلمات بصعوبة. كانت هي من كسر جدار الصمت .

- نحن على نفس الطريق.

فأومأ برأسه إيجابًا

- إذن، دعنا نتبعه سويًا.

فقال الساحر:

ولكنك لا تحبيني.

- أنا أحبك بالفعل، ولكني لا أعلم حتى الآن بحبي لك، ولكني أحبك، فأنت رفيق روحي.

مازال الساحر شارد النظر؛ كان يفكر في حكمة الشمس، وكيف أن دروس الحب كانت من أهم الدروس، فقد كان الحب هو الممر الوحيد المعلوم لدى الناس جميعًا، الذي يربط بين العالم المرئي وغير المرئي، وكان هو اللغة الوحيدة الفعالة؛ لترجمة الدروس التي يلقنها الكون إلى البشر كل يوم.

فقالت :

- لن أذهب إلى أي مكان، سوف أبقى هنا معك.

فأجابها الساحر:

- إن رفيقك ينتظرك، وسوف أبارك حبك.

فنظرت بريدا إليه، و عيناها ممتلئة بالحيرة والارتباك، حين أردف قائلًا:

- لا يتسنى لأحد أن يملك غروب الشمس، مثلما رأينا هذه الليلة، كما لا يستطيع أحد أن يملك ظهيرة يوم ممطر تتساقط أمطار سمائها على النوافذ، أو هدوء وبراءة نوم الطفل، أو اللحظة السحرية عندما ترتطم الأمواج بالصخور، لا يستطيع أي شخص أن يملك الأشياء الجميلة على وجه الأرض، ولكن، يمكننا فقط أن نعرفها، وأن نودع بها ما بداخلنا من الحب، في تلك اللحظات يكشف الرب عن نفسه إلى البشر.

فلسنا أسياد الشمس، والظهيرة، والأمواج، أو حتى الرؤية التي يظهرها لنا الرب، فنحن لا نملكها؛ لأننا لا نملك أنفسنا.

ثم أخرج الساحر يده و بها زهرة، أعطاها إلى بريدا.

- عندما تقابلنا لأول مرة، وبالرغم مما بدا لي أني أعرفك؛ لأنني لا أستطيع أن أتذكر العالم قبل الليلة التي أريتك فيها الليلة المظلمة، وأردت أن أرى كيف تواجهين نقاط ضعفك وقصورك، فكنت أعرف أنك رفيقة روحي، وأنك سوف تعلمينني كل ما أحتاج إلى تعلمه – ولهذا قسم الرب البشر إلى رجال ونساء.

فلمست بريدا الزهرة، ثم بدا لها أنها الزهرة الأولى التي رأتها منذ عدة أشهر، فقد حل الربيع.

- يتهادى الناس بالزهور؛ لأنها تحتوي على المعنى الحقيقي للحب، وأي شخص يحاول أن يمتلك تلك الزهرة، سوف يكلف نفسه عناء

النظر إلى جمالها وهو يذبل، ولكن، إن نظرت إليها في بستانها، فستحافظين عليها حتى النهاية؛ لأن الزهرة جزء من الليل والغروب، كما أنها تحمل عبق الأرض الندية، والسحب الشامخات في أفق السماء.

فأطالت بريدا النظر إلى الزهرة، ثم أخذ الساحر الزهرة من يدها برقة شديد، وأعادها إلى بستانها.

فاغرورقت عينا بريدا بالدموع، وشعرت بالفخر من رفيق روحها .

- هذا هو ما علمتني الغابة إياه، أنك لن تكوني لي مطلقًا ، وبهذا فلن أفقدك أبدًا ، لقد كنت أملي في أيام وحدتي، وكنت حيرتي عندما لازمتني الشكوك، وكنت يقيني عندما ملأ الإيمان قلبي.

كنت أعلم أن رفيقة روحي، سوف تأتي إلي في يومٍ من الأيام، ولهذا كرست نفسي لتعلم حكمة الشمس، فكان وجودك هو السبب الوحيد لاستمرار حياتي.

لم تستطع بريدا في تلك اللحظة إخفاء دموعها .

- ثم أتيتِ أنت، وأدركت كل ذلك. لقد جئت لتحررني من العبودية التي خلقتها لنفسي، ولكي تخبريني أنني حر طليق، وأستطيع الرجوع إلى العالم وما يوجد به من أشياء، وعندها ، فهمت كل الأشياء التي احتجت إلى فهمها ، فأنا أحبك أكثر من كل النساء اللاتي سبق وعرفتهن في حياتي، بل أحبك أكثر من المرأة التي تسببت في نفيي وإبعادي إلى هذه الغابة، وسوف أتذكر دائمًا أن الحب هو الحرية، وهذا هو الدرس الذي كلفني فهمه العديد من السنين، حتى أدركته تمامًا ، وهذا الدرس نفسه، هو الذي تسبب في إقصائي عن العالم وعن متع الحياة ولذاتها ، والآن يحررني هو بذاته هذه المرة.

ثم سُمع صوت أزيز لألسنة اللهب، وبدأ المدعوون الذين تأخروا في المجيء في الانصراف، ولكن بريدا لم تكن تسمع ما يدور حولها.

ثم سمعت صوتًا يأتي من مسافة بعيدة:

- بريدا.

ثم قال الساحر:

- ها أنا الآن أنظر إليك أيتها الطفلة.

وشعر بالسرور؛ لأنه أنهى صفحة مهمة في رحلته مع حكمة الشمس، ثم شعر بوجود معلمه الذي اختار هذا اليوم لاستهلاله هو الآخر.

- سوف أتذكرك دائمًا، وسوف تتذكرينني، مثلما نتذكر الليل والمطر الذي يتساقط على النوافذ، وكل الأشياء التي حولنا، ولا نستطيع امتلاكها.

ثم نادى لورنس مرة ثانية:

- بريدا!!

فقال الساحر:

- اذهبي في سلام، وجففي هذه الدموع، و أخبريه أنها بسبب الدخان.

ولا تنسيني أبدًا...... اذكريني دائمًا.

كان يعلم أنه لا يحتاج إلى تلك العبارة، ولكنه نطق بها على كل حال.

كتب أخرى للأديب العالمي

باولو كويليو

- الخيميائي
- بريدا.. أسطورة الحب والحرية
- فتيات فالكيرى
- مكتـــــوب
- كالنهر الذي يجري
- فارس النور
- الحياة.. وقصص أخري
- حياة محارب (السيرة الذاتية)



www.ecabook.com

إلى كل عشاق باولو كويليو

كتاب حياة المحارب

Warrior's Life

السيرة الذاتية الكاملة للأديب العالمي باولو كويليو

ترجمة خالد صاوى

الناشر



رحلة فتاه تسعى لكشف أسرار الحياة والكون.
بدأت من الغابة بين يدي الساحر، ثم انتهت إلى قلبها.
.حينما اكتشفت أن الحب هو لغة الكون.
.فبالحب وحده تستطيع أن تفهم الكون والعالم من حولها.
بحثت عن الحب وعن رفيق روحها، بين أشجار الغابة، بين أوراق
.التارو، بين الكواكب والنجوم، بين الرمال والبحار
حتى إذا ما عثرت عليه ...!!!!

بريدا ليست مجرد رواية، وإنما هي رحلة يقود بها كويليو قرائه داخل أعماق النفس الإنسانية، ليكشف أسرارها، ويضئ جوانبها المعتمة، عبر أحداث مليئة بالتشويق والإثارة، والكثير من المشاهد والأحداث التي تحبس الأنفاس
.و تأسر قلوب كل من يقدر كتابات باولو كويليو

بريدا قصة مليئة بالحب والعاطفة والغموض والروحانية.
يقدمها لقراءة أحد أبرز وأبرع الروائيين في العالم



باولو كويليو هو أكثر الروائيين شهرة على مستوى العا
عالمية يفهمها العالم بأسره.